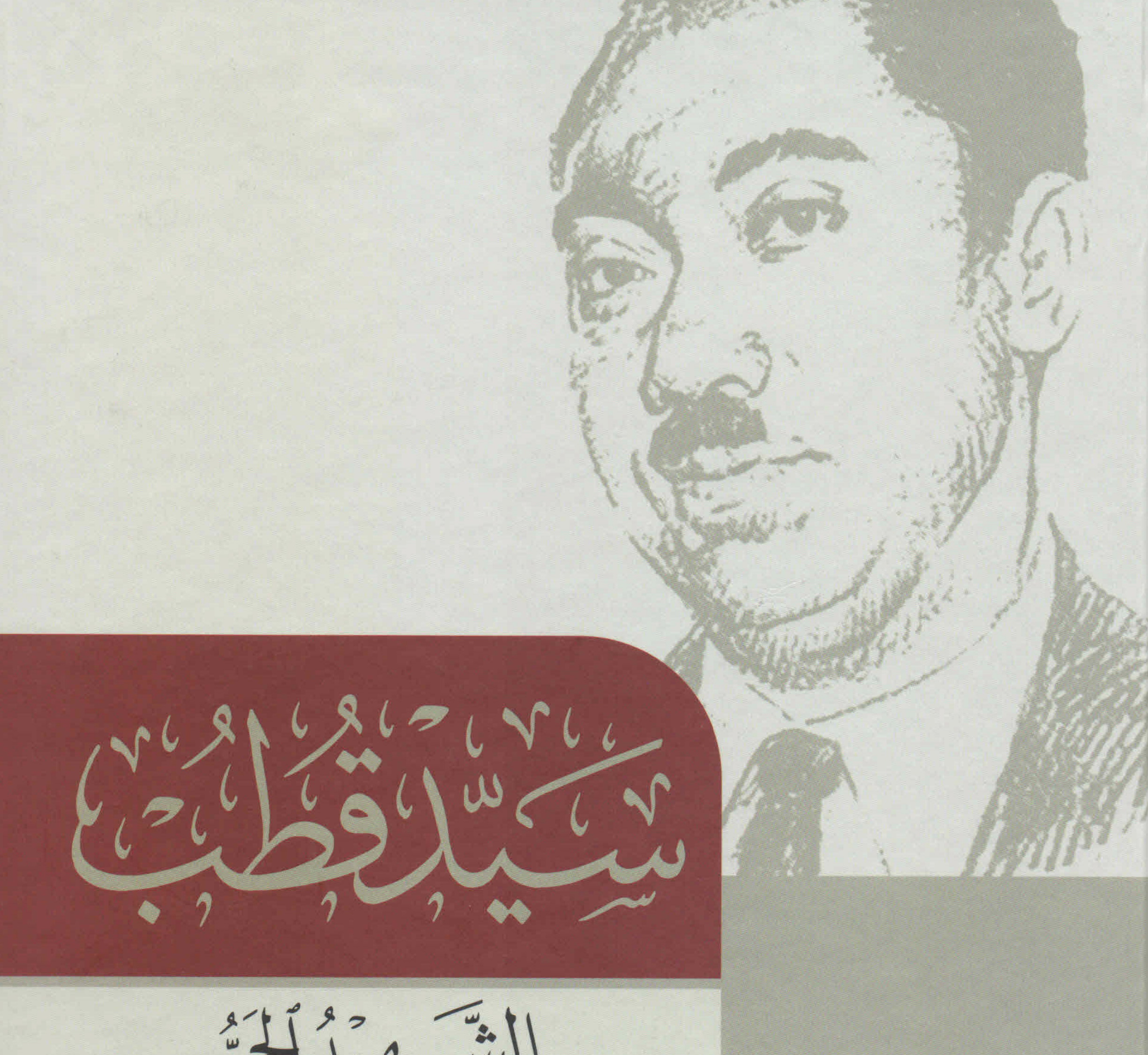
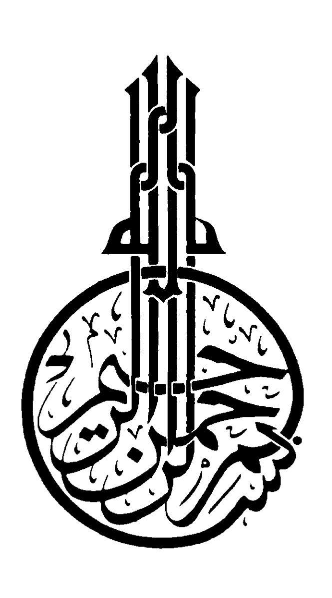


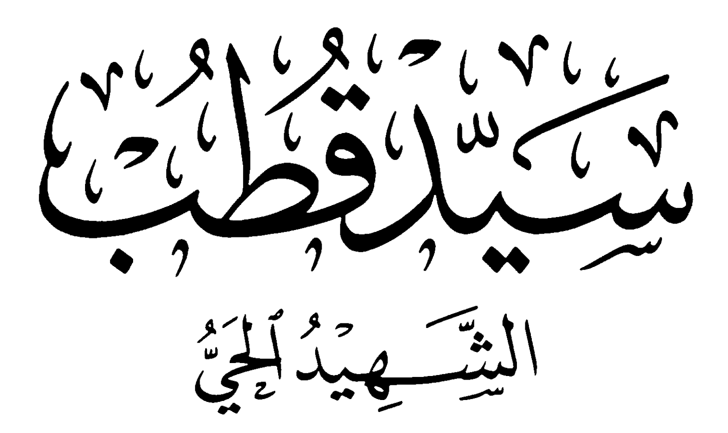
سيد قطب

الشهيد الحي

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

الدار الشامية | تركيا


بسم الله الرحمن الرحيم



الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

الدار الشامية
تركيا

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

طبعة منقحة

هذه الطبعة المنقحة



هذا الكتابُ في أصله القسمُ الأولُ من رسالةِ الماجستير: «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن»، والتي تمَّتْ مناقشتُها في شهر نيسان ١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ، في كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

وكانت لجنةُ المناقشةِ من العلماء:

الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات ـ المشرف على الرسالة.

الأستاذ الدكتور محمد الراوي ـ رئيس قسم التفسير في الكلية.

الأستاذ المفكر محمد قطب.

وشهد الأستاذ محمد قطب للرسالةِ شهادةً عظيمةً ثمينة، أعتزُّ وأفتخرُ بها. وقد أثْبَتُّها بعد هذه الكلمة مباشرة. ولله الحمد والشكر.

وقد ارتأيتُ أن أُقسِّم تلك الرسالة إلى قسمَيْن:

القسم الأول: دراسة شخصيةِ وحياة سيد قطب.

القسم الثاني: دراسة نظريتِه حول التصوير الفني في القرآن.

وقد أصدرتُ القسم الأول بعنوان «سيّد قطب الشهيد الحيّ»، ونشرَتْه مكتبةُ الأقصى في عمانَ عام: ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ.

ثم نشرتُ الكتاب الثاني «نظرية التصوير الفني عند سيد قطب»، ثم تابعتُ دراساتي حولَ شخصيةِ وحياةِ وفكرِ وإبداعِ سيد قطب، حيثُ حصلت عام ١٩٨٤م على الدكتوراه، وكانت الرسالة بعنوان «في ظلال القران دراسة وتقويم..».

وتابعْتُ دراساتي وأبحاثي، عَبْرَ أكثر من ثلاثين عاماً، أصدرتُ فيها أكثر من خمسين كتاباً ولله الحمد والمنة.

وأصدرتُ عن الأستاذِ الرائدِ المفسرِ المفكرِ المجاهد سيد قطب رحمه الله مجموعةً من الكتب هي:

١ ـ سيد قطب الشهيد الحي.

٢ ـ نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.

٣ ـ أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.

٤ ـ مدخل إلى «في ظلال القرآن».

٥ ـ المنهج الحركي في ظلال القرآن.

٦ ـ في ظلال القرآن في الميزان.

٧ ـ سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.

٨ ـ سيد قطب: الأديب الناقدُ والمفسر الرائد والداعية المجاهد.

٩ ـ الحربُ الأمريكية بمنظار سيد قطب.

أي: إنَّ حوالي خُمُسِ كتبي كانت عن سيد قطب رحمه الله.

ومن طريفِ ما يُقالُ: إنَّ الأستاذ محمد قطب سأله سائلٌ عن أمْرٍ يتعلَّق بسيد قطب، فأجابه مازحاً: لا تسألني، واسأل صلاح الخالدي في الأردن، فإنه أدرى بسيد قطب منّي!!

وقد وضعتُ في كتابِ «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» كُلَّ ما عرفْتُه عن حياة سيد، وطُبِعَ عدةَ طبعاتٍ، وبعد أكثر من ثلاثين عاماً من نَشْرِ كتابي الأول: «سيد قطب الشهيد الحي» فإنني أعتقدُ أنّ فيه من المعلومـات والتحليلات حول سـيد قطـب وحياته وفكـره، ما ليسَ موجوداً في الكتب الأخرى التي أصدرتُها عنه.

وأعترفُ أنـه كان في الطبعـة الأولى من الكتاب بعـضُ الأخطاءِ التاريخية النادرة، المتعلقة بالمفكر الشهيد.

لذلك عُدتُ إلى الكتاب، وأَعَدْتُ قراءتـه بإمعان، وصَحَّحْتُ تلك الأخطاءَ وغيرها.

وأقدمُ هذه الطبعةَ المنقحة من كتابي الأول «سـيد قطب الشـهيد الحي» بعد مرورِ خمسـة وثلاثين عاماً على طبعتهِ السابقة، وأرجو أن يجد فيها القراءُ الكرام جديداً من المعلومات والتحليلات المتعلقة بهذا المفكر الشهيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

صلاح عبد الفتاح الخالدي

١٥ رمضان ١٤٣٦هـ

٢٠١٥/٧/١م

* * *

شهادة الأستاذ محمد قطب للكتاب

من باب حمْد اللهِ وشكره، والتحدث بنعمه عَلَيَّ ﷻ.. يطيب لي أن أسجل هنا شهادة المفكر الإسلامي الكبير الأستاد محمد قطب، وذلك عندما ناقش رسالتي للماجستير «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن» عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م. فقد قال ـ جزاه الله خيراً ـ بين يَدَيْ مناقشته: «ممتازٌ.. مِنْ أنضجِ الدراسات وأدَقِّها وأوفاها وأشملِها، وصاحبُها كاتبُ تراجمٍ ممتازٌ. وعنده صبرٌ على التنقيب، والتجميع، واستخلاص الدلالات، وإيجاد الروابط بينها، وتجميع خيوط الشخصية منها، وإبراز الشخصية واضحة السِّمات.. وكان يمكن أن يكون هذا القسمُ وحده رسالة ماجستير مستقلّة!».

ثم قال جزاه الله خيراً: «أمّا القسم الأول من الدراسة ـ وهو المتعلِّقُ بدراسة حياةِ سيد قطب، وهو هذا الكتاب ـ» فهو: دقيق، مُحَبَّبٌ، ممتازٌ في طريقة العرض.. وبصرف النظر عن الشخص الذي تناوَلَتْهُ الدراسة، فإنني أتكلمُ عن كاتبِ هذه الدراسة فأقول: إنّ لـه قدرةً غير عاديّة في ترجمةِ حياة الناس، لو أنه استخدَمها في ما بعد في ميادين أخرى، فإنها موهبةٌ تستحقُ أن تسجَّلَ، وتستحقُّ أن يُهَنَّأَ عليها!

له قدرةٌ على الصبر على تجميع مفردات المادَّة، التي يستخرج منها دراسته للشخصية.. له قدرة على تعمُّقِ الحَدَث، لا يمرُّ به مُروراً سريعاً،

ولو كان حادثـــاً صغيراً في صورته، لكنه يتعمَّقُ دلالته، ليســتخرج منه خيطاً من خيوط الصورة التي يرسمُها!

له صَبْرٌ على تمحيص الوقائع.. له قدرةٌ على تجميع الخيوط..

إنَّ بعض الناس قد يوفَّق في تجميع نقاط، وفي تعمُّقها واستجلائها، لكنه لا يوفَّق في تجميعها، ليتكوَّن منها صورةٌ حية، صورة شـــاخصة، صورة معبِّرة.

المزيَّة، أو الموهبةُ التي وُهِبها كاتبُ الرسالة هي: قدرتُه على تجميع الشـــخصية من مفرداتِها المتناثرة.. وإذا علمنا أنـــه جمع هذه المفردات من صحفٍ متعدِّدة، تُغطّي حوالي عشـــرين عامـــاً أو أكثر، وأنَّ بعضها أصبح مجهـــولاً اليوم، لأنه لم يعد يصدر.. وعَنّى نفســـه أن يبحث عن هذه الصحف، وأن يبحث عن مقالات أو قصائد ســـيد قطب فيها، وهو جهد ضخمٌ جداً. أعتقد لو أنه تقدَّم به لنيل درجة الماجســـتير، لنالها، وكان مستحقاً فيها لتقديرٍ عظيم.

أقول: إنه في هذا القســـم كان موهوباً، وكان مقتدراً، وأبدى موهبة مبكرة، تبشِّر ـ إن شـــاء الله ـ بمزيدٍ من الإنتاج في هذا الطريق، تكون بإذن الله مباركة وطيبة..».

إنني أعتز بهذه الشـــهادة العظيمة من الأستاذ المفكر محمد قطب، والتي سجَّلها بقلمه، ونطقها بلسانه، وأحمدُ الله على نِعَمِه وأفضاله، فله وحده الحمدُ والشكر، والفضل والمنَّة.

* * *

تقديم
«سيد قطب... الشهيد الحي»

قليلاً ما تنطبق الأسماء على مسـميـاتها تمام الانطباق! وسيد قطب من الذين تنطبق أسماؤهم عليهم تماماً، فقد كان سيداً، وكان قطباً!

ويحلو لي في هذا المقام أن أورد عبارات لسيد قطب، قالها عن الإمام الشـهيد حسـن البنا رَحِمَهُ اللهُ، في مقاله «حسـن البنا... وعبقرية البناء».

«في بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور، وحكمة مدبرة في كتاب مسطور.. حسن البنا.. إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه.. ولكن من يقول إنها مصادفـة، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء، وإحسان البناء، بل عبقرية البناء؟.

لقد عرفت العقيدة الإسـلامية كثيراً من الدعاة.. ولكن الدعاية غير البناء.. ما كل داعيـة يملك أن يكـون بنّاءً، وما كل بنّـاءٍ يوهب هذه العبقرية الضخمة في البناء.. هذا البناء الضخم.. الإخوان المسـلمون.. إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة في بناء الجماعات..»[1].

---

(١) دراسات إسلامية ٢٢٥، طبعة دار الشروق.

إلى أن يقول «.. تُرى أكانت مصادفة عابــرة أن يكون هذا لقبه؟ أم إنها الإرادة العليا التي تنسق في كتابها المسطور بين أصغر المصادفات وأكبر المقدورات، في توافق واتساق؟»[1].

وسيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاش سيداً، كان سيداً منذ صغره، فكانت اهتماماته هي اهتمامات الكبار، وكان سيداً في شبابه، ملك نفسه، ولم يسمح لها أن تقوده إلى الشهوات، وكان ســيداً في انتمائه إلى الإسلام، وانتسابه إلى الحركة الإســلامية المجاهدة، وتحركه بالإسلام، وجهاده في سبيل الله، وكان سيداً في اســتعلائه على الطغيان، وثباته على الحق، وصبره على المحنة، ومواقفه أمام الطغاة، وكان ســيداً حتــى في مفارقته هذه الدنيا، حيث رزقه الله الشهادة، أمنية كل مسلم صادق! لقد عاش سيداً، ومات سيداً، وصدق فيه قول الشاعر:

علو فــي الحياة وفــي الممات   لحق تلــك إحــدى المكرمات

وكما كان سيداً، فقد كان قطباً، قطب في الأدب والنقد، يُقبِل القراء والمثقفون على مقالاته وقصائده وتحليلاته، بشــغف واستمتاع، وقطب في فكره الإســلامي، حيث يعتبر في طليعة المفكرين الإســلاميين في العصر الحديث، وقطب في جهاده وثباته واستشهاده، وقطب في اقتداء الشباب الإسلامي المجاهد به، في عالم الدعوة والحركة والجهاد.

وأعتقد أن هذه «القطبية» ســيكون لها أبلغ الأثر في مسيرة الحركة الإســلامية في المســتقبل، وفــي الجهــود المبذولة لقيــام المجتمع الإسلامي، وتحكيم منهج الله في حياة البشر من جديد!.

---

(١) المرجع السابق ٢٢٧.

وإنّ سيد قطب هو الشهيد الحي، بالمعنى الكبير لكلمتي «الشهادة» و«الحياة»، لا بمعناهما الضيق، المتبادر إلـى أذهان بعض الناس، عند إطلاقهما!.

إن المعنى القريب، الذي يتبادر إلى بعض الأذهان، لكلمة «الشهيد» هو من يموت في سبيل الله! ولكن للشهيد معنى أشمل من هذا! إنه شهيد وشاهد!.

يقول سيد قطب ـ رحمة الله عليه ـ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

«إن الشهداء لمختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه ـ سبحانه ـ فما هي رزية إذن ولا خسارة، أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء، وتكريم واختصاص..».

وعن تضمن كلمة «الشهيد» معنى «الشاهد» يقول: «ثم هم شهداء، يتخذهم الله، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداء لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت، في سبيل إحقاق هذا الحق، وتقريره في دنيا الناس»(١).

وكما كان سيد قطب شهيداً، فقد كان حياً! وما زال حياً! فرغم أنه رحل عنا بجسده الفاني، إلا أنه بقي حياً بيننا في فكره وجهاده، وإبائه واستعلائه، ومواقفه واستشهاده! إن أفكاره حية، وإن كلماته دبت فيها الحياة؛ لأنه سقاها بدمه ـ دم الحياة ـ ومات في سبيلها، فاستوت على

(١) في ظلال القرآن ٤٨١/١، طبعة الشروق.

سوقها، وضربت جذورها في أعماق الأرض، وارتفعت فروعها في السماء، واستعصت على القلع والاجتثاث، أو القطع والبتر، وصارت تعطي أُكُلَها الشهي في قلوب مؤمنة صادقة، متعطشة للدعوة والجهاد والثبات.

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

«هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتاً.. إنهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتاً في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفَّة واللسان. إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه. فهم لا بد أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد، وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.. وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله، فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله، فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قُتلوا، ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد، فهم لا يزالون عنصراً فعالاً دافعاً مؤثراً في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى. فهم أحياء أولاً بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس»[1].

هذا عن حياته بيننا بمواقفه وحركته، وأفكاره وكلماته، أما حياته عند الله ﷻ ـ كشهيد ـ فيبينها حديث رسول الله ﷺ، الذي وصف فيه

(١) في ظلال القرآن ١/١٤٣، طبعة الشروق.

حياة الشـــهداء في الجنة بقولـــه: «أرواحهم في جـــوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتْرَكوا من أن يُســـألوا. قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نقتل في ســـبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُرِكوا»[1].

بهذه المعانـــي والإيحاءات، وبهذه الظلال والاعتبارات، كان ســـيد قطب شهيداً حياً، ولذلك اخترت لدراســـتي هذا العنوان «سيد قطب.. الشهيد الحي».

والله من وراء القصد.

* * *

(١) صحيح مسلم بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ٣: ١٥٠٢ ـ ١٥٠٣، دار إحياء التراث العربي ـ لبنان.

مقدمة



إن الحمد لله، نحمده ونستيعنه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد:

فلقد كان سيد قطب رائداً ـ والرواد في تاريخ البشرية قليلون ـ في ميدان الأدب والنقد، ورائداً في ميدان الفكر والبحث، ورائداً في ميدان الدعوة والحركة، ورائداً في ميدان الجهاد والاستشهاد.

عاش ـ رحمة الله عليه ـ حياة حافلة، وتثقف بثقافة عريضة، وترك آثاراً ضخمة، وختم الله حياته في هذه الدنيا بخاتمة سعيدة، حيث جاءته الشهادة تسعى إليه في سجنه.

إن سيد قطب شخصيةٌ عجيبة حقاً! والأعجب من ذلك هو الجحود الذي قوبل به في حياته من الأدباء والدارسين! والتجاهل الذي لحقه بعد استشهاده من الباحثين! ولقد كان حرياً بعشاق الثقافة والأدب أن

ينشــروا تراثه الأدبي، الموجود في المجلات الأدبيــة المختلفة، التي كانت تصدر فيما بين العشــرينيات والخمســينيات من هذا القرن، وأن يتبعوها بدراسات عن شــخصيته وبحوثه ومقالاته وأدبه، كما كان حرياً بالباحثين الإسلاميين أن يعدوا دراســات عن فكره الإسلامي، ومنهجه الحركي، ومواقفه الجهادية.

ولو كان ســيد قطب عند غيرنــا، لكتبوا عنه الكثيــر، وفاخروا به الدنيا! إنهم يجعلون من بعض رجالهم علماء وعباقرة وفلاســفة، وقادة رأي، ورواد فكر، وهم بجانب سيد قطب أقزام أقزام!

إن سيد قطب قمة عالية شامخة، قمة في عالم الأدب والنقد، وقمة في عالم البحــث والتأليف، وقمة في عالم الفكــر والثقافة، وقمة في عالم الدعــوة والحركة والجهاد! إن هذه القمة قــد عرفت، ولكنها لم تكتشف!

وليــس عجيباً أن يكون قمةً، ولكن الغريب أنهــا لم تُثِرْ في نفوس المعجبين حوافز لاكتشافها! حيث اكتفوا بالنظر إليها من بعيد، معجبين مبهورين! وإنّ محاولات اكتشــاف هــذه القمة ما زالت فــي مراحلها الأولى تستنهض همم الباحثين.

ظهرت بعض الدراسات عن ســيد قطب، والدراسات التي ظهرت باللغة العربية حتــى الآن هي: «العالم الرباني الشــهيد ســيد قطب»، للمرحوم العشماوي أحمد سليمان، و«سيد قطب: خلاصة حياته ومنهجه في الحركة والنقد الموجه إليه»، لمحمد توفيق بركات، و«مع سيد قطب في فكره السياســي والديني» للدكتور مهدي فضل الله، و«ســيد قطب وتراثه الأدبي والفكري»، لإبراهيم عبد الرحمن البليهي، و«ســيد قطب

أو ثورة الفكر الإسلامي» لمحمد علي قطب[١]، و«الشهيد سيد قطب»، وهو مجموعة من المقالات نشـــرتها جماعة أصدقاء الشهيد سيد قطب. بالإضافة إلى العديد من المقالات نشرت عنه في المجلات الإسلامية، في ذكـــرى استشـــهاده، وهناك عدد من الدراســـات عنه مـــا زالت قيد التحرير[٢]، أو تحت الطبع[٣].

ولكن معظم هذه الدراســـات تنقصها الدقة والموضوعية، والتوثيق والبحث المســـتقصي، حيث صيغت بأســـلوب عاطفي، ووجدت فيها أخطاء كثيرة، أثناء الحديث عن حياة ســـيد قطب الأدبية أو الإسلامية، أو أثناء الإشارة إلى تراثه الأدبي والفكري.

---

(١) نشر محمد علي قطب كتابه هذا في لبنان، حيث صدرت طبعته الثانية عن دار الحديث عام ١٣٩٥هـ، وقد نشرت له حديثاً دار المختار الإسلامي في القاهرة كتاباً آخر تحت عنوان «سيد قطب.. الشهيد الأعزل» وكان المتوقع أن يكون دراسة ثانية للمؤلف عن سيد قطب!! ولكنه لم يكن كذلك!! وإنما هو نفس كتابه الأول أعاد طباعته في مصر، واختار له عنواناً جديداً، وأضاف له كلمة قصيرة عن «التكفير والهجرة» و«العزلة»!! وقد وضع في مقدمة كتابه «القديم الجديد» كلمة للأستاذ محمد قطب ـ شقيق الشهيد ـ نشرتها مجلة الشهاب اللبنانية قبل سنوات حول فكر الشهيد. وقد أَوْهم القراء بأن الأستاذ محمد قطب قرأ كتابه وقدم له!! أقدم هذه الحقيقة للقراء بدون تعليق، فهي تغني عن التعليق!

(٢) من هذه الدراسات دراسة الأخ الأستاذ عبد الله الخباص عن «سيد قطب الأديب الناقد» التي يعدها للحصول على الماجستير في الآداب من الجامعة الأردنية. ودراسة الأستاذ أحمد البدوي بعنوان «سيد قطب ناقداً» التي يعدها للحصول على الدكتوراه في الأداب من جامعة الخرطوم.

(٣) صدر أخيراً ـ وبعد الانتهاء من هذه الدراسة ـ كتاب الأستاذ يوسف العظم عن «رائد الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب» وهو من أجود الدراسات التي صدرت عن سيد قطب ـ حتى الآن!.

لذلك أعددت هذه الدراسة عن سيد قطب، وأَملي أن أكون قد وُفقت في تقديم صورة حقيقية صادقة عن سيد قطب، وأن تكون علمية موضوعية موثقة، ولائقة بالشخصية الفذة التي تناولتها.

وقد بذلت جهداً كبيراً أثناء جمع المادة، حيث بحثت عن المعلومات والأخبار في مظانها، وحرصت على مقابلة الأشخاص الذين كانت تربطهم بسيد قطب علاقة وثيقة، وكان في مقدمة الذين قابلتهم وأفدت منهم فائدة عظيمة شقيقه الأستاذ محمد قطب جزاه الله خيراً، وقد حالت ظروف قاهرة بيني وبين مقابلة بعض الأشخاص في مصر.

كما بذلت جهداً كبيراً في الاطلاع على مقالات سيد قطب في الصحف والمجلات، التي كانت تصدر في الفترة ما بين ١٩٢٤م ـ ١٩٥٤م، وقد اطلعت على مقالاته في مجلات: الرسالة، والثقافة، والكتاب، والكاتب المصري، والمقتطف، والعالم العربي، والمسلمون. واطلعت على بعض مقالاته في مجلات: الأسبوع، والبلاغ الأسبوعي. وهناك العديد من المجلات لم أتمكن من الاطلاع على مقالاته فيها، حيث حالت الظروف القاهرة ـ ثانية ـ دون ذلك، مثل: الجهاد، والحياة الجديدة، والأهرام، والوادي، والسوادي، والأفق الجديد، وروز اليوسف، واللواء الجديد، والاشتراكية، والدعوة، والإخوان المسلمون.

وقد جعلت هذه الدراسة في بابين:

الباب الأول: عصر سيد قطب وبيئته وحياته، وهو ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عصر سيد قطب: انتقيت أربعة مظاهر للحياة في هذا

العصر: الحياة السياسية وأهم أحداثها، والحياة الاجتماعية وأبرز ملامحها، والحياة الإسلامية وأوضح مظاهرها، والحياة الأدبية وأشهر رجالها.

الفصل الثاني: بيئة سيد قطب: تحدثت فيه عن قريته في الصعيد، وعن أصله، وفصلت الحديث عن أسرته، ورسمت ملامح لوالده ووالدته، وعرَّفت بإخوته، وتحدثت عن نشأته وسط هذه الأسرة، وتربيته فيها، وختمت هذا الفصل بالحديث عن وصفه.

الفصل الثالث: مشاهد من حياة سيد قطب: عرضت فيه لمشاهد مختلفة من حياته، واخترت من المشاهد ما له دلالة واضحة على حياته وشخصيته.

والمشاهد التي عرضتها هي: دراسته في القرية، ودراسته في دار العلوم، وسيد قطب في وزارة المعارف، وسيد قطب مع عباس العقاد، وعمله في الصحف والمجلات، والمرأة في حياته، وسيد قطب في أمريكا، وسيد قطب مع جماعة الإخوان المسلمين، وختمت هذه المشاهد بذكر محنته واستعلائه، ثم صدور حكم - جائر غشوم - بإعدامه. ووصفت اللحظات الأخيرة التي سبقت استشهاده.

الباب الثاني: ثقافته ومواهبه وآثاره، وهو أربعة فصول:

الفصل الأول: تحدثت فيه عن مصادر ثقافته وأثرها على فكره، ذكرت فيه مصادر ثقافته في القرية، وفي كلية دار العلوم، ومصادر ثقافته العربية في القاهرة، كما تحدثت عن مصادر ثقافته الغربية، وأثرها السلبي على شخصيته ونفسيته وفكره، والتي أوصلته إلى «رحلة الضياع»، وصحبته قليلاً في رحلة ضياعه، وأثبت بعض أشعاره

التي قالها وهو يقطع هذه الرحلة. ثم تحدثت عن ثقافته الإسلامية التي أنهت ضياعه، ونقلته «نقلة بعيدة» إلى عالم الرضا والاطمئنان، عالم المعرفة الصحيحة والتصور السليم، عالم الدعوة والجهاد في سبيل الله.

الفصل الثاني: ملامح شخصيته وخصائص أسلوبه: رسمت فيه أهم ملامح شخصيته، وهي: الصدق، والجدية، والحركة، والعصامية، والعزة، والنزاهة، وذكرت أهم خصائص أسلوبه وهي: التصوير، والوضوح، والسلاسة، والثورية.

الفصل الثالث: مواهبه: بينت فيه أبرز مواهب سيد قطب باختصار، واخترت سبعة جوانب تجلت فيها مواهبه، وهي: الأدب، والشعر، والنقد، والقصة، والمحاضرة، والبحث، والتحليل السياسي.

الفصل الرابع: تراثه الأدبي والفكري: ذكرت فيه أهمية نشر تراثه كله، وبخاصة مقالاته الأدبية في الصحف والمجلات، ثم تحدثت عن كتبه المطبوعة، ورتبتها حسب صدور طبعاتها الأولى، وعرفت فيها بإيجاز، وختمت هذا الفصل بذكر بحوث له أعدها أو بدأ في إعدادها، ولكنها لم تنشر.

وبعد:

فها هي هذه الدراسة، أقدمها ـ الآن ـ بهذه الصورة، وإنني أرجو من القراء الكرام، أن يتكرموا بتصحيح ما قد يوجد فيها من أخطاء، وإضافة ما قد يوجد عندهم من معلومات.

وإنني أشكر الله ﷻ على نعمه الكثيرة التي أنعم بها عليّ، ومنها هذه الدراسة، فما كان فيها من حق أو صواب فمن الله، وأشكره أن

وفقني إلى ذلك، وما كان فيها من خطأ أو نقص فمن نفســي، وأعتذر عن ذلك، وأعوذ بالله من فتنة القول، وفتنة العمل.

دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمــد لله رب العالميــن، وصلى الله على ســيدنا محمــد، وعلى آله وصحبه وسلم.

صلاح عبد الفتاح الخالدي

١٤٠١/١/٤هـ

١٩٨٠/١١/١١م

* * *



الباب الأول

عصره وبيئته وحياته



الفصل الأول
عصر سيد قطب

من الضروري أن يسبق دراسة شخصية سيد قطب، الحديث عن عصره الذي عاش فيه، ورسم ملامح بارزة لمختلف مظاهر الحياة في ذلك العصر.

لأن سيد قطب أديب كبير، ومفكر عظيم، عاش في هذا العصر، وتأثر بما يجري حوله، وتفاعل معه، فلا بد من معرفة الحياة التي عاشها، والاتجاهات التي خبرها، وسبر غورها، والشخصيات التي اتصل بها، والبيئة التي تفاعل معها، والأحداث التي أثر فيها، أو أثرت فيه.

لذا لن يكون حديثنا عن عصر سيد قطب، تقليداً لدارسي الشخصيات القديمة ـ الذين يتحدثون عن عصر الشخصية التي يدرسونها قبل حديثهم عن الشخصية نفسها ـ وإنما نتحدث عن عصره لنكَوِّنَ صورة واضحة لهذا العصر، الذي عاش فيه هذا الرجل الكبير.

وسوف نرسم في هذا الفصل صورة بارزة الملامح لمظاهر الحياة السياسية، والحياة الاجتماعية، والحياة الأدبية، والحياة الإسلامية، لهذا العصر، لأنها هي التي كان لها أثر مباشر على سيد قطب، وكان له فيها دور بارز ملموس.

* * *

المبحث الأول
الحياة السياسية

مصر ـ أرض الكنانة ـ مركز ثقل العالم الإسلامي، ومنطلق الريادة الفكرية والأدبية والإسلامية في العصر الحديث، وأحداثها السياسية تؤثر على العالم الإسلامي ـ سلباً أو إيجاباً ـ، لذلك يهتم المراقبون برصد ما يجري فيها بعناية، ويركز أعداء الإسلام عليها في مؤامراتهم ضد المسلمين.

فكرت فيها فرنسا كثيراً، وكانت تنافس بريطانيا في حبك المؤامرات ضدها، وتسابقها على استعمارها، وقام نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا باحتلالها في سنة (١٧٩٨م)، وبقيت فيها فرنسا بعده حوالي ثلاث سنوات، إلى أن اضطرت للرحيل عنها في سنة (١٨٠١م)[١].

مصر تحت حكم أسرة محمد علي:

حكم مصر بعد رحيل فرنسا محمد علي، كوالٍ من قبل الخليفة العثماني في أول الأمر، ثم استقل بالحكم، بعد أن ضعفت علاقته بالخلافة، وتقرب من دول الغرب وبخاصة فرنسا وانجلترا[٢].

استمر الحكم في أسرته وراثياً، ولم يكن الخديويون[٣] يستقلون بأنفسهم في تسيير دفة الحكم، بل كانوا يعتمدون على الخبراء الأجانب، وبخاصة الفرنسيين والبريطانيين، فلم يكن عندهم الإرادة

---

(١) انظر تفاصيل الحملة الفرنسية في كتاب (الحملة الفرنسية) للدكتور محمد فؤاد شكري.

(٢) عصر محمد علي للرافعي ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٣) الخديوي: لقب أطلق على ملوك مصر: (إسماعيل وتوفيق وعباس).

القوية، ولا الثقة بالنفس، فكانوا يشعرون بأنهم عالة على الغرب، لقد كانوا مهزومين روحياً أمام الحضارة الغربية المادية الصاعدة، يطلقون على الغرب لقب «العالم المتنور»، ويسمون باريس «مدينة النور»!

كان الخديويون بلاء على الشعب المصري، حيث احتفظ لهم الشعب بمشاعر الكره والبغضاء، وإن لم يكن يجرؤ على إظهار هذه المشاعر.

لقد غدت مباذلهم ذائعة، وإسرافهم مشهوراً، حتى إنّ الخديوي إسماعيل كان يستدين من الدول الغربية ملايين الجنيهات للإنفاق على ملذاته وشهواته، فصارت الخزينة المصرية مثقلة بالديون الباهظة للغرب، وبعد أن عجزت عن سداد هذه الديون، شكلت الدول الغربية مجلساً من أعضائها، للوصاية على نفقات الدولة في مصر، ولتتمكن من استيفاء هذه الديون من واردات الدولة[1].

في سنة (١٨٨١م) قام أحمد عرابي ـ الضابط في الجيش المصري ـ بثورة على الخديوي توفيق، عرفت فيما بعد بالثورة العرابية، وأيدته فئات كبيرة من الجيش والشعب، وأوشكت ثورته أن تنجح، لولا أن تدخلت بريطانيا لصالح الخديوي، وقامت بإخمادها، حيث ضرب الأسطول البريطاني الإسكندرية، ثم نزل الجيش إلى البر، واتجهوا صوب القاهرة، وفي الطريق انتصروا على جيش عرابي في معركة (التل الكبير)، فدخلوا القاهرة، وقضوا على الثورة والثوار، ونفوا زعماء الثورة كأحمد عرابي، ومحمود سامي البارودي إلى الخارج، وأعادوا الخديوي إلى الحكم.

---

(١) انظر «مصر والمسألة المصرية» للدكتور أحمد مصطفى ١٨ ـ ٨١.

مصر تحت الاستعمار الإنجليزي الشامل:

حكمت بريطانيا مصر حكماً مباشراً، وانتشر الجيش البريطاني في طول البلاد وعرضها، وقامت باعتقال الفئات الوطنية، أو نفيها وتشريدها، وحلت مجلس النواب، وأصبح لدار المندوب السامي البريطاني في مصر من النفوذ ما يقارب نفوذ قصر عابدين مقر الخديوي(١).

لم تكتف بريطانيا بالاحتلال العسكري لمصر، فاستعمرتها استعماراً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً، وأحضرت الخبراء والمستشارين البريطانيين، وعينتهم في الوزارات والمؤسسات والمصالح، على حساب الخزينة المصرية، وحرصت على أن تكون مصر تابعة لها في كل شيء، وكان من أشهر هؤلاء المستشارين القس (زويمر)، واللورد (كرومر) المعتمد البريطاني، و(دنلوب) مستشار وزارة المعرف، وواضع الأسس العلمانية للتعليم الحديث في مصر، والذي تخرجت على يديه أفواج من قادة مصر السياسيين والفكريين فيما بعد، مثل سعد زغلول، وأحمد لطفي السيد وعبد العزيز فهمي(٢).

وكعادة الأمم المغلوبة، وجدت فئة من الوصوليين والانتهازيين المصريين، كانت تعتبر نفسها تبعاً لبريطانيا، وقفت حياتها على خدمتها، وتفانت في تنفيذ برامجها وخططها، كانت هذه الفئة تمثل قطاعات مختلفة: فكان منها رؤساء وزارات، ووزراء، وزعماء أحزاب،

---

(١) انظر «الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي» لعبد الرحمن الرافعي.

(٢) الاعتصام العدد الثاني السنة الثانية والأربعون نوفمبر ١٩٧٨، مقال أنور الجندي عن سعد زغلول صفحة ١٨، والاتجاهات الوطنية لمحمد محمد حسين ٢: ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

وحزبيون، ورجال سياسة، ورجال اقتصاد، ومؤسسو جمعيات، وقادة فكر ورأي، مثقفون كبار... إلخ، فلا غرابة في أن يطول عمر الاحتلال البريطاني، ولا عجب أن تنجح بريطانيا في تحقيق ما تريد.

ظهور أحزاب عديدة في مصر:

نشأت في مصر أحزاب كثيرة، معظمها استمد برامجه وأهدافه من الغرب، وأغلب مؤسسي هذه الأحزاب وقادتها كانوا مهزومين روحياً أمام الغرب، يرون في مبادئه وقيمه ونظمه المثل الأعلى، وتنافس رجالات الأحزاب في كسب أصوات الشعب في الانتخابات النيابية، وتهالكوا على المناصب الحكومية والوظائف الرسمية، وتسابق أكثرهم في كسب ود المندوب السامي البريطاني ورجاله، وتنفيذ ما يشير به[١].

كان من أوائل الأحزاب ظهوراً (الحزب الوطني) الذي أنشأه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧م، وهو زعيم شعبي محبوب، كان مخلصاً لأمته، يسعى لإخراج بريطانيا من البلاد، ولا يُخفي تعاطفه مع الخليفة العثماني، ولا اتجاهاته الإسلامية التي اصطبغ بها حزبه فترة من الوقت، ولم يعمر مصطفى كامل طويلاً، فقد مات في ريعان شبابه بعد عام من إنشائه للحزب[٢].

وفي عام ١٩٠٧م ظهرت ثلاثة أحزاب ذات أهداف متشابهة: الحزب الوطني الحر بزعامة عبد الخالق ثروت ومحمد فريد، وحزب

---

(١) الاتجاهات الوطنية ٢: ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٢) لمعرفة شخصية مصطفى كامل انظر كتاب (مصطفى كامل، لعبد الرحمن الرافعي) ٤٠٨ ـ ٤٣٣، والاتجاهات الوطنية: ١: ٩٢.

الأمة بزعامة الشيخ حسن عبد الخالق ومحمود سليمان، وحزب الإصلاح بزعامة الشيخ علي يوسف[١].

ظهور الزعيم سعد زغلول:

كذلك ظهر سعد زغلول في هذه الفترة زعيماً شعبياً في مصر، وأنشأ حزب الوفد، الذي ضم كبار الملاك والباشوات بشكل خاص، وصار وزيراً أكثر من مرة، ثم شكل الوزارة المصرية عدة مرات، وقد تتلمذ سعد زغلول على الشيخ محمد عبده[٢]، بل كان من أبرز تلاميذه.

أقام سعد زغلول علاقات مع اللورد كرومر، وترك هذا الأخير بصماته واضحة على شخصية زعيم مصر الأول، فصار سعد فرعوني الاتجاه، وصار يتفلت من الإسلام في تصوراته وأخلاقه، فنادى بفصل الدين عن الدولة، ودعا إلى تجميد اللغة العربية[٣]، وراح يستخدم الأساليب السياسية الملتوية، التي تقوم على الدجل والخداع، في محاولة منه لاستقطاب الجماهير حوله، وكان مفتوناً بحب ذاته! كذلك اعتاد سعد لعب القمار، فذهب بثروته التي تقدر بالملايين، وقد ترك مذكراته التي اعترف فيها بالكثير، ولكنها لم تنشر حتى الآن[٤].

ـ عندما قامت الحرب العالمية الأولى انضم الخديوي عباس حلمي

---

(١) مع سيد قطب لفضل الله: ٢٤، والاتجاهات الوطنية ١: ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) الاتجاهات الوطنية: ٢: ٣٩٢ والفكر الإسلامي المعاصر ٥٩.

(٣) محمد فريد: ٨٠.

(٤) الاتجاهات الوطنية ٢: ٤٠٦ ـ ٤١٤ ومجلة الاعتصام: نوفمبر ١٩٧٨م ١٨ ـ ٢١.

الثاني إلـى تركيا في حربها ضـد الحلفاء ـ ومنهـم بريطانيا ـ فقامت بريطانيا بخلعه ونصبت مكانه حسـين كامـل[١]، ودخلت مصر الحرب إلى جانب الحلفاء، وأصبحت قاعدة ضخمة لبريطانيا، وانضم شـعبها للمعركة، ووضعت مواردها في خدمتها، ومنها انطلق الجيش البريطاني بقيـادة اللنبي، إلى فلسـطين وسـوريا، هـذا وقد كانت مصـر مركزاً للمؤامرات التي تدبر ضد الخلافة.

ولقد وقعت ثورة عارمـة في مصر ضد الإنجليز سـنة ١٩١٩م، اشترك فيها الشعب بكل فئاته، وكان اسم سـعد زغلول زعيم الثورة يتردد على كل لسان، واستمرت الثورة مدة طويلة، وفي النهاية قضت عليها بريطانيا، ونفت زعماءها كسـعد زغلول وعبد العزيز فهمي إلى خارج البلاد[٢].

أصبح حزب الوفد الذي شكله سـعد زغلول، الحزب الجماهيري الشـعبي في البلاد، نظراً لما قـام به في الثورة، وفـاز الحزب بأغلبية مقاعد المجلس النيابي، وشـكل الوزارة أكثر من مرة، وبعد وفاة سعد زغلول، أُعْلِن عن مصطفى النحاس زعيماً للحـزب، وبقي في زعامته حتى حلته الثورة مع غيره من الأحزاب عام ١٩٥٢م.

وفي سـنة ١٩٢٨م أنشـأ الشـيخ حسـن البنا جماعـة الإخوان المسلمين، حيث كان يعمل مدرساً في مدينة الإسماعيلية، وأخذ يلقي الدروس العامة، يدعو فيها إلى الالتزام بالإسلام، وراح يربي الشباب، وينظمهم في الجماعة، وقد ظهر ثقل الجماعـة الواضح على الحياة

---

(١) محمد فريد ٣٤٨.

(٢) الاتجاهات الوطنية ١٤٢ وما بعدها.

السياسية والإسلامية والفكرية في مصر والعالم العربي في الأربعينيات وأوائل الخمسينيات[1].

حزب الوفد يحكم مصر بأمر من الإنجليز:

وفي سنة ١٩٣٦م وقع مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد اتفاقية مع بريطانيا، اعترفت فيها باستقلال مصر، ولكنه كان استقلالاً ظاهرياً، فوجود بريطانيا ظاهر ملموس، وبخاصة معسكرات جيشها على ضفاف قناة السويس، وأدى هذا الوضع إلى قلق الشعب المصري، ثم إلى قيام مظاهرات عارمة، تندد بوجود المستعمر، وتحولت المظاهرات إلى أعمال فدائية فردية وجماعية، استهدفت أفراد الجيش البريطاني ومنشآته في البلاد[2].

انضمت مصر في الحرب العالمية الثانية إلى بريطانيا، ضد دول المحور ـ ألمانيا وإيطاليا واليابان ـ، ودخلت بذلك في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل، اللهم إلا إرضاء سيدتها بريطانيا، ووضعت كافة الإمكانات البشرية والمادية والمعنوية في المعركة، وقد أدى دخول الحكومة والقصر الحرب، إلى تململ في البلاد، وقامت الفئات الوطنية بإعلان معارضتها لهذا الأمر.

وفي شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢م قامت بريطانيا بتدخل مباشر مفضوح في سياسة مصر الداخلية، حيث حاصرت دباباتها قصر الملك، وقدم مندوبها السامي إنذاراً له، بأنه إن لم يكلف مصطفى

(١) انظر: كتاب (الإخوان المسلمون والمجتمع المصري) لمحمد شوقي زكي وكتاب (الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية) للدكتور إسحق موسى الحسيني.

(٢) مع سيد قطب في فكره السياسي والديني: ٢٨، والاتجاهات الوطنية ٢: ٤٢٨.

النحاس ـ زعيم حزب الوفد ـ بتشكيل الوزارة، فإن عليه أن يستقيل. وأحدث هذا التدخل استياءً عاماً عند الشعب وفئاته الوطنية، التي راحت تندد به بأسلوب مباشر وغير مباشر، وسقطت آخر أسهم حزب الوفد الشعبية، الذي جاء هذه المرة للحكم على أسنة وحراب الجيش البريطاني(١).

وحتى منتصف الأربعينيات لم يكن للجهات الرسمية في مصر ولا لمعظم قادة الرأي فيها وجه عربي معروف، بل على العكس كانوا يمجدون الفرعونية، وينادون بأن مصر للمصريين، وإلى جانب هؤلاء كانت فئات إسلامية في البلاد تبرز وجه مصر الإسلامي، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، وقد أحدثت مبادئ وأهداف هذه الجماعة تياراً إسلامياً عاماً، ينادي بالإسلامية كبديل للفرعونية والوطنية، واستقطبت هذه الجماعة فئات كبيرة من مختلف قطاعات الأمة، فخشيت بريطانيا على البناء الذي أشادته في البلاد أن يتحطم تحت مطارق الإسلاميين، وعلمت أن الوطنية الضيقة لم تعد تصلح رابطة تجمع للشعب!.

وبعد البحث وجدت بريطانيا ضالتها في القومية كرابطة جديدة، فعملت ـ من وراء ستار ـ على تأسيس جامعة الدول العربية. وأصبحت القاهرة ـ التي كانت بالأمس تنادي بالفرعونية ـ مقراً لهذه الجامعة، وراحت مصر حكومة وأحزاباً تنادي بالقومية، وتحولت إلى رائدة للقومية العربية، وأبرز وجهها العربي، وانطلت

---

(١) مع سيد قطب ٢٩، ومقال سيد قطب (أين أنت يا مصطفى كامل) في الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الثاني، عدد ٦٤٨ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥: ١٣٠٩ ـ ١٣١٠.

الحيلة على الشعوب العربية، وظنوا الجامعة العربية نتاجاً عربياً صرفاً، كما توهموا أن في القومية العربية الحل السحري لكافة مشكلاتهم[١].

اشتراك فئات مصرية في حرب فلسطين:

وفي هذه الفترة بدأت الاشتباكات بين الشعب الفلسطيني والعصابات اليهودية المهجرة إلى فلسطين، وكانت جماعة الإخوان المسلمين ـ بفروعها في مصر وسوريا والأردن ـ هي الوحيدة من بين جميع الهيئات والجمعيات والأحزاب في مصر والعالم العربي، التي ساهمت مساهمة فعلية جادة في الجهاد على أرض فلسطين، وقامت بواجبها الإسلامي في هذا المجال، فأقامت معسكرات للتدريب، وأرسلت أفرادها إلى ميدان الجهاد، وقادت المتطوعين من الشعب ـ حتى من غير الإخوان ـ، وأظهر متطوعو الإخوان شجاعة عجيبة في القتال، شهد بها الجميع[٢]. ورغم ضعف إمكاناتهم المادية فإنهم بثوا الرعب والهلع في قلوب اليهود، ولو خلي بينهم وبين اليهود لتغيرت معالم خارطة المنطقة السياسية! ولكن كيف تسمح بريطانيا بهذا الأمر؟ كيف تسمح بالقضاء على إسرائيل؟ وعلي يد من؟ على يد ألد أعدائها وهم الإخوان المسلمون؟[٣].

---

(١) الاتجاهات الوطنية ٢: ١٤٥ ـ ١٥٨ و١٧٢ ـ ١٧٣ و١٨٦ ـ ١٨٩.

(٢) منها شهادة اللواء فؤاد صادق قائد الجيش المصري في فلسطين في «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين»: ٢٤٠ ـ ٢٤٦، واللواء أحمد المواوي في (مذابح الإخوان): ١٢.

(٣) لمعرفة بعض بطولات الإخوان في حرب فلسطين انظر (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين) لكامل الشريف.

قررت الـــدول العربيـــة ـ أعضاء الجامعـــة ـ إدخال جيوشـــها إلى المعركة بهدف إنقاذ فلســطين في الظاهر! وأرسلت مصر وحدات من جيشــها إلى جنوب فلســطين، وزودته بأسلحة فاســدة، ومُني الجيش المصري بهزيمة بشعة أمام عصابات اليهود[١]!

أمــا المجاهــدون الصادقــون علــى أرض المعركة، فقــد حيكت المؤامرات للتخلص منهم، حيث اجتمع مندوبون عن كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا، في معسكرات الجيش البريطاني في فايد ـ في مصر ـ ووضعوا خطة عاجلة للقضاء على جماعة الإخوان المســلمين، وطلبوا من محمود فهمي النقراشــي ـ رئيس الــوزارة المصرية ـ التخلص من الجماعة والقضاء عليها[٢]!، وما كان النقراشــي ليتأخر في تنفيذ طلبات أسياده، فدبر للجماعة تهماً ملفقة، وحلها وأغلق شُعَبَها، واعتقل أفرادها في مصر، وجرد مجاهديها في فلسطين من السلاح، وأخذهم من ميدان الجهاد إلى معسكرات الاعتقال مثخنين بالجراح[٣].

وهكــذا كان عند حســن ظن (موشــي دايان) الذي قــال في ذلك الوقت: إن إســرائيل لا تخشــى الدول العربية مجتمعة، ولكنها تخشى المتعصبين من الإخوان المسلمين! أما هؤلاء فحكوماتهم كفيلة بهم!.

أما مرشد الإخوان ومؤسس جماعتهم حســن البنا، فلم يعتقل مع أفــراد جماعته، وإنما أبقتــه الحكومة المصرية طليقــاً لتدبر له عملية

---

(١) انظر كتاب (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين) للشريف.

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر لغازي التوبة: ٣٤٥. وانظر الإخوان المسلمون والمجتمع المصري لزكي: ٢٩ ـ ٣١ و(مذابح الإخوان في سجون ناصر) ١٣ ـ ١٤.

(٣) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين للشريف: ٢٢١ ـ ٢٢٣ و٢٢٨ ـ ٢٩١.

اغتيال نكراء، فتم اغتياله في وسط القاهرة ليلة عيد ميلاد فاروق ملك مصر، حيث اخترقت جسمه الطاهر عدة رصاصات، لقي على أثرها ربه شهيداً[١].

وانهزمت الجيوش العربية في فلسطين، وأعلن عن قيام إسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨.

الإخوان المسلمون يقودون المقاومة ضد الإنجليز:

وفي عام ١٩٥١م، وبعد أن أُخرج الإخوان من السجون، قادوا المقاومة الشعبية ضد قوات الاحتلال البريطاني في مصر، فقاموا ضدها بعمليات فدائية جريئة، مما عجل في رحيل هذه القوات بعد ذلك[٢].

بعد ظهور خيانة المسؤولين في مصر لفلسطين، وعودة الجيش المصري مهزوماً إلى القاهرة، حصلت الأزمات الوزارية المتعددة، واشتركت الأحزاب في لعبة تشكيل الوزارة، ثم حجب الثقة عنها وإسقاطها، حتى لقد شُكلت أكثر من وزارة في عام واحد، وسقطت هيبة القصر، وفقد الملك سيطرته الفعلية على البلاد، وصارت أيام الملك في الحكم معدودة[٣]. وتجلي هذا في حريق القاهرة الكبير الذي حدث سنة (١٩٥٢م) حيث احترقت شوارع تجارية في وسط القاهرة.

كان للإخوان المسلمين السيطرة الفعلية على الشارع المصري، حيث ضمت الجماعة القطاعات الشعبية المختلفة، وأثبتت وجودها

---

(١) اغتيل الإمام الشهيد في ١٢ فبراير عام ١٩٤٩م.

(٢) انظر كتاب المقاومة السرية في قناة السويس. لكامل الشريف.

(٣) لعبة الأمم ٨٤ ـ ٨٦.

بفعالية في أية قضية وطنية، سـواء في فلسـطين ضـد اليهود، أو على ضفاف قناة السـويس ضد الاحتـلال البريطاني، أو غيـر ذلك، وبهذا أصبحت قاب قوسـين أو أدنـى من تحقيـق أهدافها النهائيـة، وقيام المجتمع الإسلامي في البلاد.

غير أن أعداء الإسـلام، الذين كانوا يرصدون ما يجري في مصر عن كثب، خافـوا أن يحكم الإسـلام؛ لأنه سـيقضي على خططهم ومطامعهم وأهدافهم، وبمـا أن الملك فاروق أصبح ورقة خاسـرة، فكان لا بد من البحث عـن بديل له، وكان هـذا البديل متمثلاً في تنظيم عسكري داخل الجيش، يسمى تنظيم «الضباط الأحرار» فأقاموا مع المسـؤولين عنه اتصالات سـرية، لم يكشـف النقاب عنها إلا مؤخراً[١].

قيام الانقلاب العسكري عام ١٩٥٢م:

وفي ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ قـام هذا التنظيم ـ الضبـاط الأحرار ـ بانقلاب عسكري، وظهر اللواء محمد نجيب كقائد له، ومن ثم ألغيت الملكية في البلاد وشـكل الانقلاب مجلساً لقيادة الثورة، وعين محمد نجيب أول رئيس للجمهورية.

وبدت الثورة إصلاحيـة، وحلت الأحزاب، وقامـت خلافات بين رجال الثورة والإخوان المسـلمين، ودبرت مسـرحية أعلـن فيها عن محاولة اغتيال رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر، من قبل أحد شباب

(١) انظر: مقالات أحمد معروف في المجتمع عدد: ١٦٥ تاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٧٣ من ١٨ ـ ٢١ وتاريخ ٤ سبتمبر ١٩٧٣ من ١٨ ـ ٢٠، ولعبة الأمم ٨٢ ـ ٩٣.

الإخوان[1]. وأعلنت الحرب على الجماعة، وزج بعشـرات الألوف من الإخوان في السجون وتعرضوا لأسـوأ أنواع التعذيب، واستشهد منهم نتيجة له من استشـهد، وشـكلت محاكم صوريـة لمحاكمة الإخوان، وحكم على العديد منهم بالسـجن مدداً طويلة، وحكم على سبعة من قادة الجماعة بالإعدام، ونفذ الحكم في ستة منهم، وخفض السابع إلى السـجن المؤبد، وبذلك حيل بين مصر وبين وجهها الإسلامي، ونجح أعداء الإسلام ـ مؤقتاً ـ في ضرب هذه الحركة الإسلامية العالمية.

وفي عام ١٩٥٦م، وبعـد أن أعلن رئيس الجمهوريـة عبد الناصر تأميم قنـاة السـويس، وقع العـدوان الثلاثـي ـ البريطاني الفرنسـي الإسرائيلي ـ على مصر، واحتلت إسرائيل سيناء، وأجريت المفاوضات لخروج قوات الاحتلال من مصر، وقامـت أمريكا بضغط كبير في هذا المجال، وانسـحبت إسرائيل من سـيناء، بعد أن أخذت من مصر ثمناً لانسـحابها، تمثل هذا الثمن في توقيع اتفاقية سـرية بين عبد الناصر وأمريكا، تعهد فيهـا عبد الناصر بتجميد الوضع على حدود إسـرائيل عشر سـنوات مقابل انسحابها من سـيناء وغزة، وجاء بقوات الطوارئ الدولية على الحدود، ومرت سفن إسرائيل في خليج العقبة، وأسقطت السيادة المصرية عن شرم الشيخ ومضائق تيران[2].

توجه عبد الناصر نحو الاشتراكية:

وأعلنت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨م، وبدأت مصر تميل نحو المعسكر الاشتراكي، ولبست الثوب اليساري، وقدمت لها روسيا

(١) انظر حقيقة هذا الحادث في كتاب «مذابح الإخوان في سجون ناصر» ٢٠ ـ ٢٦.
(٢) انظر (الناصرية في قفص الاتهام) لعبد المتعال الجبري ١١٨ ـ ١٢٠.

المساعدات، وأعلن عن قيام الاتحاد الاشتراكي العربي كتنظيم سياسي وحيد في البلاد، وتغلغل الشيوعيون في أجهزة الدولة، وبخاصة وسائل الإعلام، حيث مكن لهم عبد الناصر، وفي عام ١٩٦١م أعلنت القرارات الاشتراكية، وظهر (الميثاق) الذي وضعته الدولة، وأحاطته بهالة كبرى من القداسة.

وفي أيلول عام ١٩٦١م وقع انقلاب عسكري في سوريا، وانفصلت عن مصر، وفشلت أول تجربة للوحدة العربية على أساس العروبة، وكشف قادة الانفصال عن الكثير من أخطاء نظام حكم عبد الناصر[1].

وفي عام ١٩٦٣م وقع في اليمن انقلاب جمهوري، واستنجد رجال الانقلاب بمصر، وأرسل عبد الناصر وحدات من الجيش المصري لمساعدتهم، وتورط الجيش المصري هناك، حيث ذهب ضحية حرب اليمن آلاف الجنود المصريين، واستنفذت ملايين الجنيهات من خزينة الدولة، واستمر التورط المصري في اليمن إلى عام ١٩٦٨م.

وفي حزيران عام ١٩٦٧م وقعت النكبة العربية. حيث هزمت إسرائيلُ جيوش ثلاث دول عربية ـ مصر وسوريا والأردن ـ في ساعات، واحتلت فلسطين كلها وسيناء والجولان.

من هذا الاستعراض الموجز للحياة السياسية في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى ما بعد منتصف القرن العشرين، يتبين لنا أن الشعب المصري لاقى صنوفاً من الظلم السياسي والكبت طوال هذه الحقبة، سواء على يد محمد علي وأسرته، أو رجال الاحتلال البريطاني، أو رجال

(١) انظر تحليل سيد قطب لبواعث هذه الوحدة وأسباب فشلها في مبحث «سيد قطب المحلل السياسي» من هذا الكتاب.

الثورة، ونلاحظ كذلك أن هذا الشعب قدم الكثير من التضحيات، وأدى ما يطلب منه، وكثيراً ما كان يقوم بانتفاضات شعبية رافضاً للاستعمار[١] أو يدبر اغتيالات للبريطانيين وأعوانهم من المصريين[٢].

على أن هذه الأوضاع السياسية المتغيرة، والتدخل الاستعماري المباشر، والفساد السياسي الذي عم رجالات الأحزاب، هذا كله ـ رغم تضحيات الشعب ومقاومته ـ ولد عند الجميع حيرة وقلقاً، دفعت المصلحين إلى التفكير الجدي في العلاج.

سأم وقرف الشعب المصري:

وخير ما يصور هذه الحيرة، عبارات سجلها سيد قطب في الأيام الأخيرة للملكية في مصر، حيث نشر مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان (سأم) بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢م ـ قبل أكثر من شهرين من قيام الثورة! ـ جاء فيه:

(ذلك الذي تلمحه على وجوه الناس في هذه الأيام ، وتلمسه في أحاديثهم في كل مكان، سأم من كل شيء، ومن كل فكرة، ومن كل عمل، ومن كل أحد، ومن كل اتجاه، سأم هو مزيج ألم قد مات! ويأس من الأعمال والرجال، ومن قرف شامل، ومن استهتار، يقلب الناس صفحات الصحف، ويمرون على العنوانات الضخمة بلا اكتراث، كأن لم يعد شيء يدعو إلى الاكتراث)[٣].

---

(١) كالثورة العرابية، وثورة عام ١٩١٩م، ومظاهرات عام ١٩٣٦م، والمقاومة على ضفاف القنال في الفترة ما بين ٥١ ـ ١٩٥٣.

(٢) كاغتيال السيرلي ستاك، وبطرس غالي، وأمين عثمان.

(٣) مجلة الرسالة السنة العشرون المجلد الأول عدد ٩٨٥ مايو، ١٩٥٢م ص٥٤٥.

ويجيب في نفس مقاله المذكور على تساؤل عن الشعر الحر الذي فُقِدَ في تلك الفترة، ونلمح من إجابته صورة لقلق الشعب وحيرته:

(الشعر تعبير أحرار يملكون التعبير، لا جمجمة عبيد، أو أسرى خلف القضبان، الشعر انتفاضة قلب، وتحليق روح، لا وسوسة السلاسل، ولا جرجرة الأغلال، انظر يا سيدي حولك! انظر إلى ذلك الذي تلمحهُ في الوجوه، وتراه في السمات. إنه مزيج من ألم قد مات، ومن يأس من الأعمال والرجال، ومن قرف شامل، ومن استهتار، إنه السأم، السأم الذي تموت منه الكلمات في الشفاه)[1].

وكتب سيد قطب مصوراً حالة الاضطراب السياسي في مصر، وفقدان هويتها السياسية، وأن الأدب الصادق هو الذي يعكس هذه الحالة:

(ونستطيع من دراسة الأدب في مصر في العصر الحديث، أن نلمح أنها تجتاز فترة اضطراب، وبحث عن اتجاه، لم تستقر عليه الأفكار، حينما نرى عدة اتجاهات، إلى أقصى اليمين، وإلى أقصى اليسار، بعضهم يفتش عن المثل في إطواء تاريخنا القديم في عصر النهضة الإسلامية، وبعضهم يتمجد بالفرعونية، وبعضهم يتجه إلى أوروبا وأمريكا، وبعضهم يتجه إلى روسيا، كما أن بعضهم ينطوي على نفسه، عازفاً عن المجتمع وما فيه. هي حالة تَمَوُّج واضطراب، قد تتمخض عن انقلاب، وقد تتمخض عن استقرار)[2].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) النقد الأدبي لسيد قطب ١٤٩ ـ ١٥٠.

وهكذا أحس سيد قطب بالثورة قادمة قبل أكثر من خمس سنوات من وقوعها.

ويرفع صوته بالشكوى عالياً في موضع آخر:

(كل ما في البلد جدير بالشكوى، كل ما فيها يلذع بالألم، وإنّ التألم والشكاة لدليل عدم الرضا، ودليل السعي لتغيير هذه الحال). (إن الأمة التي لا تشكو من مثل هذه الحالة أمة لا تحس، فهي أمة في طريقها إلى الفناء الرهيب، وإن الذين يهزلون اليوم، أو يغنون ويمرحون هم أحد فريقين: فريق أناني مجرم، لا يعنى بهذه الأمة ولا يحفل بآلامها، لأنه في ظل نعمة، ولا علاقة له بالآخرين، وفريق ميت الوجدان، ذليل الكرامة، لا تنبض به حياة، إلا كالدواب والجراثيم)[١].

دعوة سيد قطب إلى السخط والثورة:

هذه الحياة السياسية التي وصفناها، جعلت من سيد قطب ساخطاً! ساخطاً على جميع المظاهر والأوضاع!! معلناً سخطه بصوت صارخ، من غير يأس ولا سأم ولا تشاؤم، ويعتقد أن بإمكانه أن يغير شيئاً ولو كان وحده.

نشر مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان (مدارس للسخط) جاء فيه قوله:

(إنه لو وكل إليَّ الأمر لأنشأت ضعف هذه المدارس التي تنشئها الدولة، لأعلم الشعب فيها شيئاً واحداً، هو السخط! السخط على

---

(١) مهمة الشاعر في الحياة ٩٢ ـ ٩٣.

الأوضاع والمظاهر الشائهة، التي تسيطر على حياة هذا الجيل في كل اتجاه)[١].

وقد حدد الطوائف التي سيصب سخطه عليها، فهي تتمثل في رجال السياسة، والكتّاب والصحفيين، والوزراء الحكوميين، والباشوات وغير الباشوات، والأرستقراطيين الذين ينهبون الناس، والمثقفين الذين تنكروا للشعب، ومحطة الإذاعة والصحافة الداعرة، وأخيراً الشعب الذي يرضى بالفساد، ويسكت على هذه المظاهر والأوضاع[٢].

* * *

(١) مجلة الرسالة، السنة الرابعة عشرة، المجلد الثاني عدد ٦٩١ سبتمبر، ١٩٤٦م، ص ١٠٨١.

(٢) الرسالة ـ المرجع السابق ـ ١٨٠١ ـ ١٨٠٢.

المبحث الثاني
الحياة الاجتماعية

قديماً قيل (مصر هبة النيــل)، والأراضي المصرية الصالحة للزراعة هي التي تقع على ضفتي النهر، والمدن والقــرى متناثرة حوله، ولهذا كانت الموارد محدودة.

طبقتان متميزتان في مصر:

تميزت في مصر طبقتان، واضحتا الملامح والسمات:

الأولــى: طبقة كبــار الملاك من الباشــوات، وأصحــاب الأراضي الواســعة، وأفراد الأســرة المالكة، كانت تشــبه طبقــة الإقطاعيين في الغرب، والإقطاع في مصر لم يكن إقطاعــاً بالمعنى الصحيح للكلمة، لأن أصحاب هذه الأراضي رغم ســعة أراضيهم إلا أنها لم تبلغ حجم أراضي الإقطاع الأوروبي. ورغــم أنهم لم يصلوا درجة الإقطاعيين، إلا أنهم ملكوا من السلطات والصلاحيات، ما جعلهم يحكمون ويتحكمون في الأُجراءِ والعمال والمزارعين، الذين كانوا يعملون في مزارعهم، لقد ورث هؤلاء المترفون ـ أصحاب الكروش ـ الأراضي بدون جهد بذلوه، وساموا المزارعين عندهم ســوء العذاب، فقد فرضوا عليهم أن يسلموا لهم مــا تنتجه الأراضي، ليصرفــوه على ملاذهم وشــهواتهم، وهم لا يذهبون لأراضيهم إلا من أجل المتعة والتنزه، والمزارعون الذين يبذلون قصارى جهدهم في العمل لا يكادون يحصلون على القوت الضروري اللازم لاستمرار حياتهم.

الثانيــة: طبقــة المزارعيــن والعمال، الذيــن يعملون فــي أراضي الباشــوات، وكانت طبقــة محرومة من أبســط معاني الحيــاة اللائقة

بالإنســـان، فهم يحيون حيـــاة لا تفترق عن حياة بهائمهم ومواشـــيهم، لا يشتركون في رأي أو مشورة، أسيادهم يستغلون أصواتهم، ويبيعونها لمن يريدون، ولا يرون لهم أي حق، إلا في بذل المزيد من الجهد، في سبيل خدمة أسيادهم وأراضيهم[1].

كانت الطبقة الأولى المترفة، تسكن القاهرة، وقد نال أولادها حظاً عالياً مـــن المعرفة والثقافة والدراســـة، في الداخل والخـــارج، وعادوا يتسلمون المراكز الكبيرة في أجهزة الدولة.

أما الطبقـــة الثانية: فكانت تســـكن القرى والأرياف، وكانت نســـبة الأمية عالية فيها، ولم تكن تملك الأموال، لترســـل أولادها للدراســـة العالية ـ إلا ما ندر ـ لذلـــك كان الأولاد عندما يشـــبون، إما يصبحون عمالاً في الأراضي مع أهاليهم، أو عمالاً يرحلون إلى مناطق أخرى، أو يأتون للعاصمة طلباً للعمل.

وقد ساعد إنشاء المصانع في العاصمة والمدن الكبيرة، على ازدياد الهجـــرة، حيث هاجر العمال إلـــى هذه المصانع للعمـــل فيها، وراحوا يسكنون في أحياء شعبية، وكثرت المفاسد الأخلاقية، لأن الشاب عندما يأتي إلى مدينة كبيرة لا يكاد يعرفه فيها أحد، ويجد في يديه فائضاً من المال، يريد أن يشبع شهواته، فيســـعى للحصول على الملذات والمتع بأي سبيل، وينتج عن ذلك الفساد الأخلاقي!.

وبعد أن حكم مصطفى كمـــال تركيا، ألغـــى الخلافة، وحارب الإسلام، ومنع الحجاب، وفرض السفور، وخرجت المرأة المسلمة في تركيا ســـافرة، وكان لا بد أن تتأثر مصر بمـــا يجري هناك، وقد

---

(١) مع سيد قطب لفضل الله: ٨٢.

كانت النســـاء قبل ذلك في مصر محجبات، لا يخرجن للعمل، ولا يزاحمن الرجال في الأســـواق، وكانت الفتاة تتلقى التعليم في بيت أبيها.

دعوة قاسم أمين وهدى شعراوي لتحرير المرأة:

ثم ظهر في مصر قاسم أمين، الذي كان تلميذاً لمحمد عبده، وذهب إلى الغرب للدراســة هناك، وبعد أن عاد إلى البــلاد راح ينادي بإلغاء الحجاب، وبخروج المرأة ســافرة للعمل، وبتحررهـــا من الظلم الواقع عليها! وظهر ما يسمى بقضية «تحرير المرأة»، وانقسم الشعب المصري حيال دعوته إلـــى فريقين: فريق يناصـــره، وفريق يعلـــن عليه الحرب، واستجاب لدعوته عدد من النساء المتفرنجات[1].

واستلمت «هدى شـــعراوي» الراية من قاســـم أمين، وراحت تبشر بدعوته، وشيئاً فشـــيئاً انتشـــرت هذه الدعوة في مصر، وخلعت المرأة المصريـــة الحجاب، وخرجت للأســـواق ســـافرة، وتخصصت مجلات بشـــؤون المرأة، وراحت تدعو إلى تحريرها[2]، وخرجت المرأة للعمل، وحصل الاختلاط بيـــن الرجال والنســـاء، وكانـــت النتيجـــة الطبيعية للاختلاط هي وقوع الفواحش، وانتشار الفساد الأخلاقي!.

انتشار الفساد الأخلاقي في البلاد:

وبعد أن فتحت الجامعة المصرية، قـــرر اللورد «كرومر» ومن تابعه من المصريين أن ينفذوا سياســـتهم في الجامعة، فجعلـــوا التعليم فيها

(١) الاتجاهات الوطنية ١: ١١٠ ـ ١١١.

(٢) المرجع السابق ٢: ٢٤٨ ـ ٢٥١.

مختلطاً، وجلس المراهقون والمراهقات على مقاعد الدراسة، جنباً إلى جنب، وكان لا بد أن تظهر النتائج السيئة لهذا الاختلاط[1].

أما مصايف مصر في «الإسكندرية» و«بلطيم» و«سيدي بشر» وغيرها، فقد غدت مناسبات موسمية لخروج المصريين إليها، وتعرى الرجال والنساء هناك، إلا من قطعة من اللباس! وصارت الأسرة المصرية ذات الدخل المحدود، تقتطع من دخلها فوق ما تطيق، لتذهب في الصيف إلى تلك المصايف، وتلقي بأبنائها وبناتها في أحضان الشواطئ العارية!.

وفي مواجهة ذلك كله قام العلماء ينادون الجماهير أن تعود لدينها، ولكن الجماهير كانت تساق إلى الفساد بعنف وسرعة، لأن دعاة الرذيلة كانوا يجرونها من خطام شهواتها، ويسرعون بها إلى حيث تذبح الفضيلة، وكانت هذه الجماهير تستجيب مسرعة متلذذة، بسبب ما أصابها من سعار الشهوة، وما استيقظ فيها من كامن الغريزة، وكلما اشتعلت فيها نار الشهوة، راحت تطفئها بالعَبِّ من الشهوات، فتزداد طلباً لها، وأصبحت تنام على الفساد وتقوم عليه، وحقت عليها لعنة الشهوات!

الدعاية الشيوعية الخادعة في مصر:

وانتشرت الشيوعية في مصر، حيث وجدت هناك أرضاً خصبة، ممثلة في الطبقات المحرومة من المزارعين والعمال، الذين أغراهم بريق الدعاية الشيوعية، وأخذت تصور لهم أنها تملك تخليصهم مما

---

(١) المرجع السابق ٢: ٢٦٠ ـ ٢٦٣.

هـم فيه من الظلـم، وأنهم عـن طريقها سـيحصلون علـى حقوقهم. ومعروف أن الشـيوعية لا تنجح ولا تنتشـر إلا في مجتمـع تكثر فيه الأمراض الاجتماعية، فهي أشـبه شـيء بالجراثيم، التي لا تعيش ولا تنشط إلا في الجسم الضعيف.

وقام اليهود والنصارى في البلاد بالدعاية للشـيوعية، حيث أسسوا الأحزاب الشيوعية، ودعوا الجماهير الساذجة للانضمام إليهم[١].

نشاط الجاليات والمبشرين:

وكان في مصر مجموعة من الجاليات الأجنبية تحكمت في البلاد، وراحت تصور لنفسها أنها صاحبة الحق المطلق في ثروات البلاد، وأن المصريين ـ أصحاب البلاد ـ ليسوا إلا خدماً وعبيداً لها، وكان من أكبر هذه الجاليات: الجالية اليهوديـة، والجالية اليونانية، والجالية الإيطالية، والجالية الأرمنية، والجالية البريطانية، وقد كان لهذه الجاليات دور كبير في نشر الفساد الأخلاقي في البلاد.

أمـا الجنود البريطانيـون، الذين جاؤوا مع الاحتـلال، فقد تمتعوا بامتيازات خاصة، كانوا يحصلون على ما يريدون، والمصري المسكين يقف أمام الجندي البريطاني بذلة ومهانة، ويخدمه في مركز عمله، وفي بيته. المستشارون والخبراء الأجانب في الوزارات والمؤسسات أسياد، والمصريون الموظفون عندهم أذلاء عبيد[٢].

---

(١) المجتمع العدد السابع السنة الأولى: ٢٦ ـ ٢٧، والناصرية في قفص الاتهام للجبري: ١٤٨ ـ ١٥٠.

(٢) لماذا اغتيل حسن البنا للجبري: ١٧ و٤٠ ـ ٤٢ و٦٦ ـ ٦٨.

ونشـط المبشـرون من النصارى في مصر، وكانت تدعمهم كنائس الغـرب، ويحميهم الاحتـلال البريطاني في البلاد، اسـتغل هؤلاء فقر ومرض وحاجة الشـعب المصري، فدخلوا عليه من هذا الباب، وراحوا يعالجون أفراد الشـعب، ويمدونهم بالمال والغـذاء، وفتحت الملاجئ والمستشـفيات والمدارس التبشـيرية لأفراد الشـعب المسلم، وكانت مبرمجة موجهة، تهدف إلى تخريج المسلم العلماني[1].

* * *

(١) الاتجاهات الوطنية ٢: ٣٢٣، ولماذا اغتيل حسن البنا للجبري: ٥٤ ـ ٥٦.

المبحث الثالث
الحياة الإسلامية

كانت مصر جـزءاً من الدولـة العثمانيـة، تدين بالـولاء للخليفة العثماني، إلى أن استقل بها محمد علي، وأبناؤه من بعده، ولكن رغم انفصال محمد علي عن الخلافة، إلا أن مشاعر المصريين بقيت مرتبطة معها، ويهمهم ما يجري في إستانبول ـ عاصمة الخلافة ـ ويؤثر عليهم وضعها ـ خيراً كان ذلك أو شـراً ـ وهم يرون في هذا الشعور استجابة لنداء الإسلام، الذي يجعل المسـلمين جميعاً يدينون للخليفة بالولاء، يسمعون له ويطيعون.

والشعب المصري متدين بطبعه، وشعوره الإسلامي عميق، حتى إن نابليون بونابرت ـ إمبراطور فرنسـا ـ عندما احتل مصر، وأراد أن يثبت سـلطته، تقرب إلى الشـعب بطريقة غريبة، فاحتفل بالموالد والأعياد الإسلامية العديدة، وأمر حكام المدن الفرنسيين بالاحتفال بها! بل لقد فكر في لبس عمامة، وإمساك سبحة لدغدغة عواطف الشعب!

جهود الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا في الإصلاح:

وفي عهد الخليفة العثماني، السلطان عبد الحميد، مر بمصر «جمال الدين الأفغاني»، وجلس فيها مدة من الزمن، وكان يدعو ـ في الظاهر ـ إلى نهضة إسلامية.. وقد ألقى دروسـه في الجامع الأزهر، وهناك ظهر أكبر تلميذ له وهو الشـيخ «محمد عبده». واسـتلم محمـد عبده راية الإصلاح من أسـتاذه، وكان كذلك يلقي دروسـه فـي الجامع الأزهر، وصار المفتي العام للبلاد، وأطلق عليه لقب (الإمام)، ويعترف له بعض

رواد النهضة الإسلامية الحديثة بالأستاذية، بينما يثير كثير منهم علامات استفهام حوله وحول جمال الدين، ويتحدثون عن علاقتهما بالماسونية[١]، وعن علاقة محمد عبده الواضحة برجال الاحتلال البريطاني في مصر، وخاصة اللورد كرومر[٢].

كان من أبرز تلاميذ محمد عبده في مصر ثلاثة: محمد رشيد رضا، وسعد زغلول، وقاسم أمين[٣]، وكانوا ذوي اتجاهات متباينة، وقد تحدثنا عن اتجاهات كل من سعد زغلول وقاسم أمين، أثناء حديثنا عن الحياة السياسية[٤] والحياة الاجتماعية[٥].

أما رشيد رضا، فقد حمل راية الإصلاح من أستاذه، وقام بواجبه الإسلامي في هذا الإصلاح، فأصدر مجلة (المنار)، وأنشأ مطبعة (المنار)، وألّف تفسير (المنار)، وألّف عدة كتب إسلامية، وأرّخ لشيخه محمد عبده بكتاب من عدة أجزاء أسماه (تاريخ الأستاذ الإمام).

وأْدُ محاولات إصلاح الخلافة من الداخل:

وعندما أوشكت الخلافة العثمانية على السقوط ـ بعد أن سيطر عليها الاتحاديون اليهود ـ قامت في العالم الإسلامي الخاضع

---

(١) انظر الوثيقتين المصورتين: طلب جمال الدين الانضمام إلى المحفل الماسوني في مصر، وجواب المحفل بتعيينه رئيساً له في كتاب «مذكرات السلطان عبد الحميد» الطبعة المصرية: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٢) الاتجاهات الوطنية ١: ٣٢٨ ـ ٣٢٩ و٢: ٣٠٧ ـ ٣٠٩، والفكر الإسلامي المعاصر للتوبة: ١٥ ـ ٦٥.

(٣) الاتجاهات الوطنية ١: ٣٠١ حاشية.

(٤) انظر صفحة ٣١ من هذا الكتاب.

(٥) انظر صفحة ٤٦ من هذا الكتاب.

لسلطان الخليفة العثماني، محاولات صادقة، تهدف إلى إصلاح جهاز الخلافة من الداخل، وتنطلق من منطلق إسلامي خالص، ومن هذه المحاولات تلك التي قامت في العراق، حيث أسس «محمد فاضل الداغستاني» ـ أحد كبار العسكريين أيام عبد الحميد، وهو معروف بالتقوى والنبل والشجاعة ـ في بغداد «الحزب الإسلامي» عام ١٩١٣م ومعه مجموعة من أعيان بغداد المسلمين، ونص منهاج الحزب على مناهضة حكم الاتحاديين، وإعادة الحكم إلى سمت إسلامي شرعي واضح، ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى، واحتلال الإنجليز للعراق شغلهم عن المضي، واستشهد الداغستاني في تلك الحرب، وبموته ماتت المبادرة[١].

كما قامت في مصر محاولة مشابهة، قام بها محمد رشيد رضا مع مجموعة من المصريين[٢]، ولكن أعداء الإسلام خافوا أن يتم ذلك الإصلاح، وأن تتجدد في الخلافة الدماء، فتعود فتية قوية، لذلك سارعوا إلى القضاء عليها من الخارج[٣].

كانت مصر موئل الإسلاميين، فإليها هاجر محب الدين الخطيب، قادماً من الشام، وقام بدور بارز في الإصلاح الإسلامي، حيث أنشأ مجلتي «الفتح» و«الزهراء»، كما أنشأ مكتبة الفتح، التي نشرت العديد من كتب السلف، كذلك هاجر إليها شيخ الإسلام مصطفى صبري، قادماً من تركيا بعد إلغاء الخلافة، كما هاجر إليها الشيخ محمد زاهد

(١) مقال الراشد في المجتمع عدد: ١١٥، تاريخ ١٩ رجب ٩٢هـ، أغسطس ٧٢م ص٢٤. نقلًا عن كتاب (البغداديون أخبارهم ومجالسهم لإبراهيم الدوري).
(٢) الاتجاهات الوطنية ٢: ١٢٢ ـ ١٢٧.
(٣) المرجع السابق ٢: ٤٩ ـ ٥٤.

الكوثري من تركيا، والشيخ محمد الخضر حسين من تونس، والشيخ محمد بشير الإبراهيمي من الجزائر، والأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف المغربي وغيرهم.

الأزهر من الإصلاح إلى التبعية:

وقامت في الأزهر دعوة لتجديد التعليم فيه، بدأها الشيخ محمد عبده، ثم أكملها تلميذه محمد مصطفى المراغي، الذي كان شيخاً للأزهر.

كان الأزهر في أول الأمر، قائداً للشعب المصري في كفاحه ضد الفرنسيين، وقام أحد الأزهريين (سليمان الحلبي) باغتيال قائد الجيش الفرنسي في مصر الجنرال (كليبر).

كما قام الأزهر بواجبه الديني والوطني ضد قوات الاحتلال البريطاني، حيث كانت تخرج المظاهرات الصاخبة من الأزهر، يقودها العلماء، تندد بهذا الاحتلال، ولذلك كان الأزهر مركز المقاومة ضد المحتلين.

كان الأزهر يقوم بهذا كله عندما كان يوجهه علماء، أُشربت نفوسهم عزةَ الإسلام، فما يخافون إلا من الله، وهانت عليهم الدنيا وطلابها، فاتجهوا إلى طلب ما عند الله.

ولما جاء للأزهر جيل جديد من الشيوخ، كان همهم الدنيا، والركون إلى أصحابها، نسوا حق الله، فلم يقوموا بواجبهم تجاه الوطن والأمة، وراحوا يتسابقون ـ إلا من رحم الله ـ لكسب ود الملك، ويشاركونه في احتفالاته، ويصورونه للشعب في صورة الحاكم المسلم،

المنفذ لشرع الله، ويصورون للناس لهوه جهاداً، وتهتكه عبادة، وعربدته تسبيحاً، حتى إنّهم بعد إلغاء الخلافة في تركيا دعوا إلى تنصيب الملك فؤاد خليفة للمسلمين، واخترعوا له ـ وهو اليوناني الأصل ـ نسباً يوصله إلى رسول الله ﷺ[١]!!!

كان لا بد ـ بعد أن تخلى الأزهر عن دوره القيادي للأمة ـ من قيام جماعة إصلاحية إسلامية، لتقود الأمة وتسد الفراغ، فأنشأ نفر من المصلحين الإسلاميين جمعية الشبان المسلمين، وكان من أبرزهم محب الدين الخطيب، وعبد الحميد سعيد، ومحمد صالح حرب، ولكن هذه الجمعية كانت محدودة في أهدافها، فهي لم تزد عن كونها مؤسسة ثقافية رياضية، وبالتالي لم تعن بتهذيب سلوك الأفراد وتربيتهم تربية عملية هادفة[٢].

حسن البنا ينشئ الإخوان المسلمين:

بقيت الساحة الإسلامية شاغرة، تنتظر جماعة إصلاحية جادة، تنقذ الموقف وتملأ الفراغ، وفي عام ١٩٢٨م أنشأ الإمام حسن البنا «جماعة الإخوان المسلمين»، في مدينة الإسماعيلية، مركز قوات الاحتلال البريطاني التي كانت تنتشر على ضفاف القناة، وكان إنشاء هذه الجماعة في الإسماعيلية بالذات يمثل التحدي الإسلامي للاحتلال البريطاني.

---

(١) الاتجاهات الوطنية ٢: ٥١.

(٢) الاتجاهات الونطية ٢: ٣٢٣ ـ ٣٢٤ والإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية، للحسيني: ٣ ـ ٤.

كانت الجماعة تهدف إلى إقامة المجتمع الإسلامي، وتفهم الإسلام بشموله، وتهتم بتربية الأفراد تربية إسلامية متوازنة، ونشط الشيخ لدعوته، وأقبل الشباب الظامئ إلى الإسلام على الجماعة، ووجدوا فيها آمالهم. فكان من أفرادها الأمي والمتعلم، العامل والموظف، الشيخ والشاب، الأزهري وخريج الجامعة، الطبيب والمهندس، وأثبتت الجماعة وجودها في المجتمع، فأنشأت المدارس والمستشفيات والمساجد، والمكتبات والمصانع والشركات، وأثبتت ـ بسلوك أفرادها ونجاح أعمالها ـ إمكانية قيام المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي في هذا القرن، وكانت الرد الإسلامي على إلغاء الخلافة. وبذلك اعتبر الإمام حسن البنا ـ بحق ـ المجدد الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، واعتبرت الحركة التي قام بها، الحركة الإسلامية الأصيلة الجادة في هذا العصر[1].

جهاد الإخوان في فلسطين وعلى ضفاف القناة:

وفي حرب فلسطين، لبى رجال الجماعة نداء الإسلام، وانطلقت كتائبهم إلى فلسطين للجهاد ما بين عام ١٩٤٨م ـ ١٩٤٩م[2] وأثبتوا وجودهم وجدارتهم، فشهد لهم الصديق، وحقد عليهم العدو، وراح يخطط لحربهم، بعد أن فتح عينيه على قوتهم. فقامت الحكومة المصرية التي كان يرأسها النقراشي ـ استجابة لطلب أمريكا وبريطانيا وفرنسا[3] ـ بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها، ووضع الألوف من

---

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصري: ١٢٧ ـ ٢٠٤.

(٢) انظر كتاب (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين) لكامل الشريف.

(٣) انظر ص ٣٦ من هذا الكتاب.

أفرادها في السجون ومعسكرات الاعتقال، كما قامت الحكومة بعملية دنيئة، حيث دبرت اغتيال حسن البنا، الرجل الذي أسس الحركة وقادها في مسيرتها، وقدمت رأسه هدية لفاروق ليلة عيد ميلاده.

واجتاز الإخوان المحنة، وخرجوا أقوى مما كانوا، ولبوا نداء الإسلام على ضفاف القناة ما بين عام ١٩٥٠م وعام ١٩٥٢م، وقاموا بعمليات فدائية جريئة، ضد قوات بريطانيا هناك، وقدموا عدداً من الشهداء[١]. وسيطر الإخوان على الشارع المصري، وكان الكل يتقرب إليهم ـ ولو تزلفاً ـ وقد اقتربوا من خطوتهم التنفيذية، بقيام الحكم الإسلامي المنشود.

محنة الإخوان المسلمين على يد عبد الناصر:

غير أن عيون أعداء الإسلام الساهرة، كانت تخطط أمراً آخر، فقام ضباط من الجيش المصري في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م ـ ثبت أخيراً أن ولاءهم كان لأمريكا[٢] ـ بانقلاب عسكري، وأعلنوا الجمهورية، وعين اللواء محمد نجيب أول رئيس لها، ولم يلبث في هذا المنصب إلا قليلاً، إذ سرعان ما أقصاه جمال عبد الناصر، وسيطر على الحكم، بدكتاتورية بغيضة!!

وكان لا بد من أن ينفذ هؤلاء الضباط ما أُوكل إليهم، فشن عبد الناصر حرباً شرسة على جماعة الإخوان المسلمين، فأَعدم قادتها، وصادر ممتلكاتها، ووضع عشرات الأُلوف من أَفرادها في السجون،

---

(١) انظر كتاب «المقاومة السرية في قناة السويس» لكامل الشريف و«كفاح الشباب الجامعي على ضفتي القناة» لحسن دوح.

(٢) انظر ص ٣٨ ـ ٣٩ من هذا الكتاب.

ولاقوا تعذيباً لم يعرف التاريخ مثله، وأصبحت آلاف الأسر في مصر بلا معيل ولا قيم، وقدمت الجماعة العديد من الشهداء[1].

وطالت المحنة، واستمرت حوالي ربع قرن، وثبت رجال الجماعة على الحق، وأعادوا الصورة المشرقة لرجال الإسلام الصادقين الصابرين إلى الأذهان!

هذا وقد أحدثت جماعة الإخوان المسلمين تياراً ثقافياً عاماً، فقد وضع رجالها العديد من المؤلفات الإسلامية، التي تعالج مختلف شؤون الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية، كما قادوا الفكر الإسلامي المعاصر من مرحلة الدفاع على استحياء إلى مرحلة الهجوم والبلاغ والإنذار! وقلما تجد كاتباً أو مفكراً إسلامياً معاصراً في العالم الإسلامي لم يكن من أفراد الإخوان المسلمين، أو لم يتأثر بمبادئهم ومدرستهم الفكرية.

* * *

---

(١) راجع كتب «أقسمت أن أروي» لروكس معكرون، و«المذبحة» لمحمد المصيلحي، و«مذبحة الإخوان في سجون ناصر» لجابر رزق، و«يوميات سجين في السجن الحربي» لكمال فرماوي.. وغيرها.

المبحث الرابع
الحياة الأدبية

عندما قام نابليون بغزو مصر، كان مما أحضره إلى البلاد مطبعة عربية[١]، وانتشرت بذلك طباعة الكتب والصحف والمجلات، وكانت مصر أسبق من البلاد العربية في هذا المجال، ومما ساعد على انتشار الأدب فيها، ظهور الصحف والمجلات الأدبية المختلفة.

وباتصال مصر بدول الغرب، اطلع أدباؤها على الأدب الغربي شعراً ونقداً، وقصصاً وبحوثاً، ووفدت على البلاد الآراء والاتجاهات الأدبية الغربية.

وقامت في مصر نهضة أدبية حديثة، على أسس جديدة، حيث ألقت وراء ظهرها المحسّنات البديعية، التي سيطرت على نتاج الأدباء في السابق، كالسجع والجناس والطباق وغيرها، وانقسم الأدباء إلى مدارس أدبية مختلفة، وظهرت مذاهب أدبية متباينة، وقامت معارك أدبية طاحنة: بين القديم والجديد تارة، وبين المدارس الأدبية تارة أخرى، وبين تلاميذ كبار الأدباء ثالثة[٢]!!

(١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي ١: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) دارت هذه المعارك على صفحات المجلات الأدبية مثل: البلاغ، الرسالة، الأسبوع، الثقافة، أبوللو، الجهاد وغيرها.

أوائل الشعراء ظهوراً:

وكان أسبق الأدباء ظهوراً، محمود سامي البارودي ـ أحد زعماء الثورة العرابية ـ والذي اعتبر شاعراً مجدداً، حيث خرج على الموضوعات الشعرية التقليدية[1].

وظهر بعده أحمد شوقي، شاعر القصر، الذي أطلق عليه لقب «أمير الشعراء»، ولشوقي نتاج شعري غزير في مناسبات عديدة، وقد كتب عدة مسرحيات شعرية مثل كليوباترا، ومجنون ليلى، وقمبيز.

وعاصر شوقي، الشاعر حافظ إبراهيم، الضابط في الجيش المصري، وقد أطلق عليه لقب «شاعر النيل». وكما كان شوقي شاعر القصر، كان حافظ شاعر الشعب.

وقد شغل هذان الشاعران النقاد في حياتهما وبعد وفاتهما، وانقسموا في شأنهما إلى فريقين: فريق يرى فيهما شاعرية فياضة، وأن شعرهما يصدر عن إحساس صادق ومعاناة حقيقية، وفريق آخر يراهما ـ وبخاصة شوقي ـ من شعراء مناسبات، لم ينبع شعرهما من إحساس صادق، وإنما يقولان ما يرضي الجماهير[2]!

أوائل الأدباء ظهوراً:

وكان من أوائل الأدباء ظهوراً في مصر مصطفى لطفي المنفلوطي، الذي نشر العديد من المقالات الأدبية، ثم جمعها في كتاب سماه

---

(١) في الأدب الحديث ١: ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٢) انظر مقال سيد قطب في صحيفة دار العلوم السنة السابعة العدد الرابع أبريل ١٩٤١: ٥٥ ـ ٥٦ وانظر «مهمة الشاعر في الحياة» لسيد قطب: ١١.

(النظـرات)، كما ترجم إلـى العربية عدداً من القصـص الأجنبية مثل: ماجدولين، والفضيلة، وفي سبيل التاج.

وظهر بعده طائفة من الأدباء، منهم الأدبـاء الثلاثة: عباس محمود العقاد[١] وإبراهيم عبد القـادر المازني، وعبد الرحمن شـكري، وكان الثلاثة شـعراء جمعهم مذهب واحد. ورأوا أن حالـة الأدب في البلاد ـ وبخاصة النقد الأدبي ـ غير مرضية، فأصدروا كتاباً في النقد، أسموه (الديوان) وسـموا بعد ذلك بجماعـة الديوان، وأصـدروا العديد من الدراسات والقصص، ونظموا دواوين شعرية عديدة، كما كتبوا المقالات المتتابعة في الصحف والمجلات الأدبية، وكوَّنوا مدرسـة أدبية، تتلمذ عليهم فيها كثير من الأدباء والشعراء. وقادوا حركة النقد في مصر فترة من الزمن[٢].

وكان على رأسـهم العقاد، الأديب الكبير، الذي قرأ وطالع الكثير، وأصـدر عدة دواوين شـعرية، منها (عابر سـبيل) و(وحـي الأربعين) و(أعاصير مغرب)، كما نشـر دراسات كثيرة في شـتى نواحي المعرفة الإنسانية، منها العبقريات الإسـلامية، وقد زادت كتبه التي نشرها عن مائة كتاب، وكان العقاد معتداً بنفسـه، لايرى أحـداً يدانيه من الأدباء، وقد أطلق عليه طه حسـين لقب (أمير الشعراء) بعد وفاة شوقي، ولكنه لم يقبل به، لأنه لم يفه حقه في رأيه!

---

(١) انظر تحليلًا لحياة العقاد السياسية والفكرية في كتاب الفكر الإسلامي المعاصر ١٩٩ ـ ٢٨٢.

(٢) في الأدب الحديث ٢: ٢٤٤ ـ ٢٧٢.

العقاد والرافعي وطه حسين:

واستمر الأدباء الثلاثة ـ العقاد والمازني وشكري ـ يعملون معاً فترة من الزمن، إلى أن فرق بينهم الوشـاة، فهجر شكري الشعر، وانصرف المازني عن العقاد، وبقي العقاد وحده في الميدان[١].

وكان معاصراً للعقاد، الأديب مصطفى صادق الرافعي، الذي اختط لنفسه أسلوباً خاصاً في الكتابة والشـعر، واعتبر من كبار أدباء العربية المعاصرين، بل كان يعتبر نفسـه أديب العربية في مصر، وكان الرافعي معتداً بنفسـه كالعقاد، لذلك دارت بينهما معارك أدبية حادة، وشهدت صفحات المجلات والجرائد الأدبية جولات عدة بين الأديبين، كذلك دارت معارك أدبيـة بين تلاميذ الرافعـي وتلاميذ العقاد[٢]. وقد نشـر الرافعي عدداً من الدراسـات الأدبية والنقدية، منهـا تاريخ آداب اللغة العربية، وإعجاز القرآن، ورسـائل الأحزان، وكتاب المساكين، وحديث القمر، وأوراق الورد، والسـحاب الأحمر، وجمع عدداً من مقالاته في المجلات في كتاب (وحي القلم).

وعاصر العقاد والرافعي الأديب الدكتور طه حسين، الذي درس في الأزهر، ثم التحق بجامعة السـوربون في فرنسا، وتثقف الثقافة الأجنبية، وعاد إلى مصر، وتبوأ فيها عدداً من المراكز، منها تدريسه في الجامعة المصرية عند إنشـائها، ثم عين مديراً للجامعة، ثم صار وزيراً للمعارف، وقد أُطلق عليه لقبُ (عميـد الأدب العربي). وقد

---

(١) جماعة أبوللو وأثرها لعبد العزيز الدسوقي: ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

(٢) منها المعركة التي دارت بين سيد قطب من جهة، وبين تلاميذ الرافعي من جهة أُخرى، على صفحات مجلة الرسالة.

أصدر طه حسين عدداً من الدراسات الأدبية والنقدية، كما ساهم في الكتابة في الصحف والمجلات الأدبية، وقد أثار طه حسين عدداً من المعارك الأدبية، حيث تبنى آراء بعض المستشرقين الفرنسيين، التي يطعنون فيها في الإسلام والعربية، وكان من أهم تلك الآراء التي جلبت له السخط، موقفه من الشعر الجاهلي، حيث اعتبره منحولاً، مقلداً في ذلك رأي المستشرق الإنجليزي (مرجليوث) وأثبت هذا في كتابه (في الشعر الجاهلي)، وكان يدعو إلى أن تكون مصر نسخة طبق الأصل عن الغرب، ونجد هذا في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)[1].

وقامت في مصر جماعة (أبوللو) الأدبية، التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي، ودعا إلى مذهب تجديدي في الشعر، وأصدر مجلتي (أبوللو) و(الأمام) اللتين نشرتا بحوثاً ومقالات وقصائد لبعض الأدباء الشبان[2].

بين الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان:

وانقسم الأدباء في مصر إلى فريقين:

شيوخ الأدب: الذين أسهموا في النهضة الأدبية الحديثة ببحوثهم، وقصائدهم، ومقالاتهم ودراساتهم وندواتهم، وتتملذ عليهم كثير من الشبان الناشئين، ومن هؤلاء الشيوخ، عباس العقاد، والرافعي، وطه حسين، وإبراهيم المازني، وعبد الرحمن شكري، والدكتور محمد

---

(١) الفكر الإسلامي المعاصر للتوبة: ١٢٧ ـ ١٧٤.

(٢) جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث للدسوقي: ٢٧٧ ـ ٢٩٤.

حسين هيكل الذي عرف بدراساته في السيرة، والدكتور أحمد أمين صاحب فجر الإسلام، الذي أنشأ مجلة الثقافة في الثلاثينيات، واستمرت حتى أوائل الخمسينيات، وكانت مجلة أدبية مستقلة، أسهمت في النهضة الأدبية ونشرت للعديد من الأدباء، ومنهم أحمد حسن الزيات، الذي أَنشأَ مجلة (الرسالة)، وقامت بدور كبير في أداء رسالتها، وكانت كذلك مجلة أدبية مستقلة، وكتب فيها كثير من الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان، واستمرت في أداء رسالتها حتى توقفت بعد الثورة. ومنهم توفيق الحكيم صاحب المسرحيات والدراسات الأدبية، مثل «أهل الكهف» و«عودة الروح» و«يوميات نائب في الأرياف» ومنهم الدكتور زكي مبارك، والدكتور عبد الوهاب عزام، والدكتور محمد أحمد الغمراوي، وغيرهم.

والفريق الثاني: الأدباء الشبان، الذين تتلمذوا على الجيل السابق وأبدعوا في الشعر والنثر، والبحوث والدراسات، ونشرت لهم المجلاتُ الأدبية في النصف الأول من هذا القرن ـ العشرين ـ المقالات والبحوث والقصص والقصائد، كما نشروا كتباً مختلفة الموضوعات. كان بعضهم تلاميذ للعقاد مثل: سيد قطب، وعبد الرحمن صدقي، ومحمد خليفة التونسي، وبعضهم تلاميذ للرافعي مثل: محمد سعيد العريان، وعلي الطنطاوي. ومن هؤلاء الأدباء الشبان: الدكتور عبد العزيز عتيق، وفايد العمروسي، صديقا سيد قطب الحميمان، ومنهم: محمود محمد شاكر، والعوضي الوكيل، وصالح جودت، وعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وعلي أدهم، وإسماعيل أدهم، ومحمود حسن إسماعيل، ونجيب محفوظ، وأنور المعداوي، وعز الدين إسماعيل، وغيرهم.

ظهور نقاد أدبيون كبار:

وقد تقدم النقد الأدبي في مصر خطوات إلى الأمام، وحتى الأربعينيات كان يقود النقد جماعة الديوان بصورة خاصة، بالإضافة إلى الرافعي وطه حسين وأحمد أمين وزكي مبارك.

وفي الأربعينيات، كان سيد قطب يتبوأ مركز الصدارة في النقد الأدبي بخاصة، حيث نشر مقالاته النقدية المتعددة في الصحف والمجلات، كما أصدر كتابيه (كتب وشخصيات) و(النقد الأدبي أصوله ومناهجه) واستمر سيد قطب الناقد الأول في مصر إلى أن انصرف إلى دراساته الإسلامية.

واستلم راية النقد من بعده الناقد الشيوعي الدكتور محمد مندور، وعاصره من النقاد أنور المعداوي وعز الدين إسماعيل، وغيرهم. كما ظهر من بعده النقاد الدكتور محمد غنيمي هلال، والدكتور أحمد كمال زكي ورجاء النقاش وغيرهم.

دور الصحف والمجلات في النهضة الأدبية:

كانت مصر أسبق البلاد العربية في إصدار الصحف والمجلات التي كان لها دور بارز في النهضة الحديثة، والتعريف بنتاج الأدباء من قصائد ومقالات، وقصص وبحوث ومسرحيات. وكانت من أوائل المجلات ظهوراً (المقتطف) للدكتور يعقوب صروف، ثم الأهرام ليوسف تكلا، ثم الهلال لأميل زيدان، وكان من هذه المجلات: أبوللو للدكتور أحمد زكي أبو شادي، والأسبوع لإدوار عبده، والبلاغ اليومي والأسبوعي لعبد القادر حمزة، والسياسة الأسبوعية لمحمد حسين هيكل، والرسالة للزيات، والثقافة لأحمد أمين، والكاتب لعادل

الغضبان، والكاتب المصري لطه حسين، والفتح والزهراء لمحب الدين الخطيب، والعالـم العربي والفكر الجديد لسـيد قطـب، وغيرها من المجلات الأسبوعية والشهرية.

كما كانت بعـض الجرائد اليومية تصدر ملاحـق أدبية، وتخصص صفحات منها للأدب مثل: الأهرام، والبلاغ، والجهاد، وغيرها.

* * *

الفصل الثاني

بيئة سيد قطب

المبحث الأول
طبيعة قريته

لماذا الحديث عن قريته؟:

ولد سيد قطب في قرية من قرى الصعيد، تتبع محافظة أسيوط، تسمى قرية (موشة)، كما تسمى بلد (الشيخ عبد الفتاح) وهوأحد أوليائها، وله مقام فيها[١].

وقد شب وترعرع في قريته تلك، ولم يغادرها إلا في شبابه، ولذلك لا بدّ من التعرف على طبيعة هذه القرية، لأنها تركت آثاراً واضحة على الرجل، وساهمت في تكوين شخصيته. ولا نهدف من هذا المبحث إلى وصف قريته وصفا جغرافيا ـ لذات الوصف ـ إنما نهدف إلى أمر آخر: فقد تفتحت عينا سيد قطب على الحياة في قريته، وقضى فيها حوالي ثلاثة عشر عاماً، مما جعل لها أثراً عظيماً على نفسه وعقله وتفكيره، فهي البيئة الأولى التي عاش فيها، وإذا كان الطفل يكتسب الكثير من بيئته، فمن الضروري أن نعرف ماذا اكتسب سيد قطب من تلك البيئة، كما أنه من المسلَّم به أن المناظر الطبيعية التي تفتحت عليها حواس سيد قطب الشاعرة، والتي تأثرت بها نفسه، كونت ذلك الرصيد الضخم من الصور المذخورة في مخيلته.

وإذا كانت دراسة حياة أي زعيم أو مفكر، لا بد من أن تستوعب كل مراحل حياته، وتبين مؤثرات كل مرحلة، فمن الضروري معرفة مؤثرات قرية سيد قطب على المرحلة الأولى من حياته، وعلى المراحل اللاحقة لها، والتي قد تأثر بها تأثراً واضحاً.

---

(١) طفل من القرية: ٨٦.

لكل هذه الأمور، سنعنى هنا بتصوير قريته، وبيان أثرها على تكوين شخصيته.

تقع قريته على الشريط الأخضر من الأراضي الطيبة، الذي يقع على جانبي نهر النيل، ونظراً لمرور النيل من أراضيها، فقد امتازت بالعديد من البساتين، التي تزرع فيها مختلف أنواع الخضروات والفواكه، بل إن تلك البساتين كانت أكبر من عدد الأيدي العاملة فيها[1].

موسم «اللوق» في القرية:

يحدثنا سيد عن ثلاثة مواسم زراعية، كان وجه القرية يتغير فيها كل عام، وكانت هذه المواسم تؤثر على نفسية وأحاسيس الجميع، والأطفال بصفة خاصة، حيث ينتظرونها من العام إلى العام، وهي موسم اللوق، وموسم الحصاد، وموسم جني القطن.

ونترك الحديث لسيد قطب، ليحدثنا عن موسم اللوق، ومنظر الأراضي والبلدة خلاله، وشعور وأحاسيس الكبار والصغار تجاهه:

«موسم اللوق لا يعرفه إلا سكان الأراضي التي تروى بالحياض، تلك الأراضي التي تظل مكشوفة طوال العام، حتى يحين موعد الفيضان في سبتمبر وأكتوبر (أيلول وتشرين أول) من كل عام، فتنطلق مياه الفيضان التي تعم الأرض الزراعية جميعاً، وتصبح لجة يرتفع فيها الماء إلى متر، ويصل في بعض المواضع إلى مترين أو أكثر... عندئذ تصبح القرى جزائر في وسط اللجة، لا يصل بعضها إلى بعض إلا في

---

(١) المرجع السابق: ١٨٢.

(صغار المراكب وخفاف القوارب) كما يقول عمرو بن العاص في رسالته التي كان الصبي[1] يحفظها في المدرسة الأولية، ويجد مصداقها فيما تقع عليه عينه كل عام.

والحق أن منظر اللجة من الجبل إلى الجبل منظر فريد ساحر، فالوادي كله وعلى جانبيه التلان اللذان يسميهما الأهالي جبلين، يستحيل إلى لجة متصلة، ينفلت فيها النيل من عقاله، ويتخطى حواجز جسوره، ليعانق الأرض الحبيبة، التي يزورها مرة واحدة في العام، ونظر الناس إلى النيل نظرة المودع الآسف للوداع، حتى لقد سمع الطفل أحد القرويين السذج يتأمل النيل الهابط في حسرة، وقد خمد الموج العالي في اللجة، وانساب انسياباً حسيراً، ثم يقول: «مسكين. خلاص هَمَد»، وكان الرجل يقولها وكأنما يتحدث عن إنسان حي، تربطه به آصرة القربى وصلة العائلة ومودة الأصدقاء»[2].

وعندما كبر سيد وذهب إلى المدرسة، كان أكثر ما يكون فرحاً حين تستحيل مدرسته إلى شبه جزيرة في وقت الفيضان، يحيط بها الماء من ثلاث جهات، وتبقى الجهة الرابعة تصلها بالقرية عن طريق البر، وقد كانت المدرسة تقع في طرف القرية، على حدود الحقول الزراعية.

وكان المدرسون يأتون إلى المدرسة من القرى القريبة بالمراكب والقوارب الشراعية، وكان سيد يلقي بنظراته ـ من المدرسة ـ على تلك المشاهد الفاتنة.

---

(١) الصبي: هو سيد قطب.

(٢) طفل من القرية: ١٨١ ـ ١٨٢.

ولا شـك أن طول مدة بقاء الفيضان ـ يستمر شهرين ـ ومنظر القوارب والمراكب تنتقل جيئة وذهاباً وسط اللجة، والقرى تتناثر وسط الفيضان كالجزر، والأشجار الباسقة تتمايل يمنة ويسرة وسط الماء، لا شـك أن هذا كله ترك أثراً عظيماً على نفسية سيد قطب، وإحساسه بالجمال، وشعوره بالأنس نحو الطبيعة، وحقاً كم لمنظر الماء من أنس وسحر، على أخيلة وأحاسيس الصغار والكبار!

وبعد أن ينحسر الماء عن أراضي القرية، يخرج المزارعون من الأهالي ومن العمال الغرباء إلى الحقول، ليبذروا الحب. ويخرج سيد إلى مزارع والده لا ليعمل مع المزارعين، بل ليستمتع برؤية تلك المناظر الخلابة، وليداعب العمال وهم يزرعون، ولينظر إلى الماشية ترعى في الحقول، وليجري في البساتين بخفة ورشاقة الأطفال، وليشنف سمعه بتغريد الطيور والبلابل، يخرج إلى الطبيعة الحية لتتفتح أحاسيسه وأخيلته، ولتستمتع نفسه بجمال الكون الذي خلقه الله.

لقد كان عالم الحقل الذي درج فيه سيد، عالماً ساحراً حقاً، فسيحاً ممتداً...

وأما بيوت القرية وممراتها وأزقتها، فلم تكن تخلو من الأشجار الباسقة الجميلة، مثمرة كانت أو غير مثمرة.

وبيته الذي عاش فيه، فيه أشجار متنوعة، فيه نخلتان شاهقتان، تهزهما الريح فتأتيان بحركة عجيبة متناسقة[١]، تؤثر في نفسية سيد

---

(١) الأطياف الأربعة: ١١٥.

وإحساســه، وتهز فؤاده كله. وكذلك المدرســة التــي درس فيها، فيها شجرتان ظليلتان، وفيها أزهار جميلة، منها زهرة (دقن الباشا التي تفوح منها رائحة عطرة. والتي لا نظير لها في القرية كلها[١].

موقع القرية ووضعها:

تقع قريته بين جبيلــن، يحيطان بها وبأراضيها الزراعية، ويســكن قريته عدد من النصارى، لهم كنيســة في القريــة، ودير يقع في حضن الجبل، على بعد خمسة كيلومترات منها[٢].

كانت قريته ـ التــي وصفنا حقولها ـ ثرية، معروفــة بالثراء والرقي والنظافة، بالقياس إلى القرى الأخرى المجاورة.

ورغم ســعة أراضي القرية الزراعية «فلم تكــن الملكيات الكبيرة، التي تشــبه الإقطاع معهودة فيها، فأكبر ملكيــة زراعية لم تكن تتجاوز المائتي فدان... وقَــلَّ أن يكون في القرية فــرد أو بيت لا يملك قطعة أرض صغيرة أو كبيرة»[٣].

كانت الفوارق بين أهالي القرية شــبه معدومة، وكانت العلاقة بين الجميع تقوم على الود والمســاعدة، ولا مجال فيها للحقد الطبقي، أو استعباد الآخرين.

«توزيع الأراضي الزراعية على هذا النحــو كان يقرب الفوارق بين الطبقات، ويخلق حالة من الأنفة الشــخصية في صلات الناس بعضهم

---

(١) طفل من القرية: ٤١.

(٢) المرجع السابق: ١٤٤ و١٨٤، والأطياف الأربعة ٨٥، وقد تحدث عن هذا الدير (المقريزي) في خططه ٣: ٤١٧، وسماء دير (موشة).

(٣) المرجع السابق: ١٨٢.

بعض، فلم يكن هناك خدم بالمعنى المعـروف في المدينة، أو بعض الضياع والتفاتيش، حيث يهبط الخادم إلى مرتبة الرقيق...

الوضع الاجتماعي للقرية:

كان الخادم في القرية إنسـاناً فقيراً محتاجاً إلـى العمل، ولكنه لا ينطق كلمة (سيدي) المقيتة، بل يستعيض عنها بكلمة (عمي) لصاحب البيت، وامرأة عمي لسيدته... ثم هو يعمل في الدار أو في الحقل، وفي تربية المواشـي طوال اليوم، فإذا جن الليل عاد إلـى بيته وأهله، كما يعود أي سيد»[1].

أما مستوى المعيشة في القرية فهو مسـتوى معقول ـ بالقياس إلى القرى الأخـرى ـ فأفقر بيت يأكل اللحم كل أسـبوعين مرة، وغالباً ما يأكلونها كل أسـبوع، والسـمن البلدي معـروف في البيـوت جميعاً. والفاكهة والبطيخ والشـمام والبلـح والرمان والنبق والقثـاء والخيار والجوافة والتفاح البلدي والقصب... تدخل البيوت جميعاً مع اختلاف المقادير»[2]...

كان لكل أسـرة في القريـة بيت مملـوك، صغيـراً كان أو كبيراً، والأكـواخ الطينية لم تكن معروفة فـي القرية.. كان أكثـر بيوتها مبنياً بالطوب الأحمر وسـائرها من اللَّبِن، ومعظم البيوت يتكون من طابقين أو ثلاثة، وبعضها يصـل إلى أربعة، وندر أن يتألـف المنزل من طابق واحد حتى بيوت الفقراء[3].

---

(١) المرجع السابق: ١٨٣.

(٢) المرجع السابق: ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣) المرجع السابق: ١٨٣.

البيت الذي عاش فيه سيد، كان بيتاً فسيحاً جميلاً، وصفه سيد كما وصفه إخوته[1] ولكن هذا البيت لم يستمر ملكاً للعائلة، فقد باعه والده إلى أحد أقباط القرية، وقد تهدم جزء كبير منه بعد أن مات المشتري، وأهمله ورثته من بعده[2].

ورغم أنه قد بيع لظروف قاهرة، إلا أنَّ وَقْعَ البيع كان شديداً على نفوس جميع أفراد العائلة، إذ كان بيت العائلة، الذي نشأ فيه الجد والأب والأم والأولاد، وللجميع فيه ذكريات وأحلام.

* * *

---

(١) انظر: وصف سيد في طفل من القرية ٢٠٤ ـ ٢٠٥، ووصف محمد في الأطياف: ١١٥ ـ ١١٦ ووصف أمينة في الأطياف: ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) الأطياف الأربعة: ٨٥.

المبحث الثاني
تعريف بوالديه

هل أصله هندي؟:

هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في قرية (موشة) إحدى قرى محافظة أسيوط في الصعيد، وكانت ولادته في ١٩٠٦/١٠/٩م[١].

وقد اختلف الذين كتبوا عنه في أصله، أهو مصري أو هندي؟ فذهب معظمهم إلى أن أصله هندي، وأن أحد أجداده قدم من الهند إلى مكة للحج، ثم استوطن قرية «موشة» في صعيد مصر.

بل إن أبا الحسن الندوي نقل في كتابه (مذكرات سائح في الشرق العربي) كلاماً لسيد قطب نفسه، يؤكد هذا، حيث قال له مبيناً الباعث الطبعي عنده لزيارة الهند:

«وأما الباعث الطبعي، فلأن جدنا السادس كان هندياً، وهو (الفقير عبد الله)، ولا تزال السحنة الهندية موروثة في أسرتنا»[٢].

وكان يكفينا كلام سيد هذا، دليلاً على ما ذهبوا إليه، حيث حدد أن جده السادس (الفقير عبد الله)، قدم من الهند. أقول كان يكفينا هذا لولا أن شقيقه الأستاذ محمد قطب، نفى هذه الحكاية ـ عندما قابلته ـ وقال: إنها مجرد ظن، مبعثه أن تقاطيع وجوه العائلة قريبة الشبه بتقاطيع وجوه

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي: ١٥٣، وقد ورد الاسم في كتاب الندوي «عبيد الله» وهو تصحيف، والصحيح أن اسمه عبد الله، كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

أهل الهند، فقالوا: لعل أحد أجدادهم قد هاجر من الهند.. وحمل كلام سيد قطب السابق على أنه قاله للندوي، على سبيل المجاملة والدعابة فقط!!

وأنا أميل إلى الرأي القائل بأن سيد قطب هندي الأصل، اعتماداً على كلام سيد قطب إلى أبي الحسن الندوي، حيث حدد له اسم الجد القادم من الهند، وبهذا يكون قد أقام الدليل على صحة دعواه، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن نسبه الحقيقي هو الإسلام، لأن جنسية المسلم عقيدته!

وضع أسرته الاجتماعي:

حدثنا سيد عن أسرته، ومركزها المرموق في القرية فقال:

«نشأ في أسرة ليست عظيمة الثراء، ولكنها ظاهرة الامتياز، كانت في وقت من الأوقات عظيمة الثروة، ولكنها توزعت وتضاءلت بالميراث، وبقي لوالده قدر لا بأس به منها، ولكنه كان يتناقص دائماً... كان والده قد صار عميد الأسرة، المكلف حفظ اسمها ومركزها، في الوقت الذي لم ينله من الميراث إلا نصيب محدود، لا ينهض بما كانت تنهض به ثروة الأسرة مجتمعة، على حين لا يستطيع أن ينقص شيئاً من تكاليف المظهر في الريف...»[1].

كما حدثنا عن أسرة والدته قائلاً:

«وكانت والدته من أسرة مماثلة أو أعرق، وقد وقع لها ما وقع لأسرة الوالد حرفاً بحرف... ولكنه زاد عليها أن اثنين من أخواله كانا

(١) طفل من القرية: ٢١.

قد أوفدا إلى الأزهر في القاهرة، شأن غالبية الأسر الريفية الثرية، فأنشأ هذا في الأسرة شيئاً من الرقي العلمي، بجانب الوجاهة الريفيةَ، يضاف إلى هذا كله أن جـده لوالدته كان قد قضى شـطراً كبيراً من حياته في القاهرة هـو وزوجته، حتى إذا عاد إلى القرية أنشـأ فيها بيتاً يقرب من بيوت العاصمة على قدر الإمكان، في نظامه وتنسيقه، وتقاليده ومستواه، وساعده المال على تحقيق ما أراد.

في هذه البيئة نشـأ، وكل ما حوله يشـعره أنه من وسـط آخر غير وسط القرية»[1].

هذه أسـرة سـيد قطب التي عرف الحيـاة في جوها، وشـبَّ في أحضانها، جمعت بين الوجاهة الريفيـة والرقي العلمي، وكان كل أهل القرية ينظرون لوالده ـ عميد الأسـرة ـ بعيـن الإكبار والإجلال، حيث احتل مركزاً مرموقاً، وبعض أهل القرية يأتون إلى العائلة، يحيطون بها كخدم وأعوان، والأغراب القادمون من القرى البعيدة للعمل في مزارع القرية، يفضلون العمل في مزارع الأسرة، وموظفو الدولة الذين يعملون في القرية يترددون على الأسـرة باسـتمرار، والحفـلات التي تحييها الأسـرة دائماً يحضرها أهـل القريـة، والولائم الكبيرة التـي تقام في المواسم ويتلى فيها القرآن، تتكرر عند الأسرة أكثر من مرة في السنة.

لا غرابة إذن في أن يشعر سيد، أن أسرته ليست كباقي الأسر، وأنها تمتاز عن غيرها بذلك المركز المرمـوق، الذي يغبطها عليه الكثيرون، ولقد غرسـت هذه المشـاعر في نفسـه معاني العـزة والكرامة، وهي المعاني التي صاحبته طيلة حياته، رحمه الله!.

---

(١) المرجع السابق: ٢١ ـ ٢٢.

والده عميد الأسرة:

إذا ما ألقينا نظرة على ما كتبه سيد قطب في (طفل من القرية) عن والده، وعلى إهدائه كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) له، وعلى الكتاب المشترك الذي ألفه مع إخوته (الأطياف الأربعة)، استطعنا أن نتعرف على والده، وأن نرسم له في مخيلتنا صورة واضحة الملامح بارزة السمات.

لقد ورث والده ـ الحاج قطب إبراهيم ـ[1] من الأسرة قدراً محدوداً من الثروة الزراعية، وورث مع ذلك عمادة الأسرة، وكان هذا يتطلب منه أن ينفق الكثير الكثير، من أجل المحافظة على مركز الأسرة المرموق، ولا يستطيع ـ حتى لو أراد ـ أن ينقص شيئاً من تكاليف المظهر في القرية، فلا بد أن يدفع ثمن هذا كله. ومع أن ما بين يديه من المال لا يكفي للاستمرار في دفع هذا الثمن، والقيام بتلك النفقات الكثيرة، لذا بات من الضروري أن يبيع بعض أراضيه. فراح يبيع بين الحين والآخر ـ كلما وقع في ضائقة مالية ـ قطعة من أراضيه، فباع ما يملك قطعة قطعة، واضطر في النهاية إلى بيع بيت العائلة الكبير!.

لم يكن البيع نصيب أراضي والده فقط، بل كان كذلك نصيب أراضي أسرته لأمه، حيث قام أخواله، بعد وفاة أبيهم، ببعثرة ثروته الواسعة التي ورثوها عنه، يميناً وشمالاً، حتى انتهت عن آخرها.

كان وقع هذا البيع شديداً على والدته، وقد صور لنا سيد حالتها، بعدما قام والده ببيع قطعة من أراضيه، كما صور لنا وقع هذا البيع على نفسه الصغيرة، حيث سيفقد الحقل والبيت والبهائم، وكانت أمه

---

(١) المرجع السابق: ٢٠٧.

تعده ليعيد للأسـرة ما فقده أبوه بالبيع، وذلك بإرسـاله إلى القاهرة، ليتعلم ثم يحصل على وظيفة، ويدخر المال الـلازم، ويعود إلى قريته ليشتري ما باعه أبوه[١].

ولكن بعدما تخرج وسكن القاهرة، صار عنده ما يشغله، وجدَّ عليه من الواجبات ما حال بينه وبين تحقيق أمنية أمه!.

والده كريم مضياف:

كان والده كريماً، متلافاً مضيافاً[٢]، ينفـق الكثير على أولاده وأهل بيته، ولا يبخل عليهم بشـيء، فما كانوا يحتاجون إلى شيء مما يوجد في السوق؛ لأنه كان أسبق الجميع في إحضار أجود أصنافه إليهم[٣].

وكان عنـد والده عـدد من الخـدم، لم يكونـوا خدمـاً بالمعنى المعروف، بل كانوا خدماً من نوع خاص، وهـم فقراء من أهل القرية، بعضهم أقـارب بعيدون للعائلـة، وبعضهم جيران لهـا، كانوا يقومون ببعض شـؤون المنزل مـن الليل أو النهـار، أو يسـاعدون في أعمال الحقل، في مقابل «أكلة»، أو شيء من الوقود الذي يلزم لهم من روث الدواب، وفي مقابل بعض الملابس التي يخلعها أهل البيت، ويستطيع هؤلاء الفقراء أن يجدوا فيها من الصلاحيـة ما لم يجده أهل الدار، ثم في مقابل «كيلات» من الحبوب في المواسم، وكميات من التبن وأعواد الذرة الجافة للوقود»[٤].

---

(١) المرجع السابق: ٢٠١ ـ ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق: ٢١.

(٣) المرجع السابق: ١٢٩.

(٤) المرجع السابق: ١٩٢ ـ ١٩٦.

ويرفض والــده أن يكون هــؤلاء الخدم أذلاء أمامــه، فما يقبل أن يخاطبوه بكلمة (سيدي)، التي تنضح بالذل، ويرضى أن يناديه الصغار بلقب (عمي الحاج) والكبار بلقب (الحاج)[1].

شمل كرم والده العمال الأغراب، الذين يأتون للعمل في أرضه كل موســم، ولم يكن الطعام الــذي يقدمه لهم في مســتواه أقل من طعام العائلة، وهو يخالف في ذلك عرف أهل القرية، الذين يميزون طعامهم عن طعــام عمالهم، وعندما طالــب هؤلاء العمال مــرة أن يأكلوا على حسابهم مقابل زيادة في أجرتهم اليومية، وافق على منحهم الزيادة على أن يستمر في تقديم الطعام لهم[2].

وكان من كرم والده أيضاً، تلك الولائم التي تتكرر في بيته سنوياً، وقد حدثنا عنها سيد قائلاً: «والختمة كانت عادة موسمية في منزلهم، تتكرر أربع مرات أو خمســاً في العام.... وفحواهــا أن يُدعىٰ بعض (الخطباء) أي قراء القرآن إلى المنزل لتلاوته، تبركاً وتيمناً على أرواح الأموات في مواســم معينة: في يوم عاشــوراء، وفي العيدين الصغير والكبيــر، وفــي اليوم الســابع والعشــرين من رجــب، وفي نصف شعبان»[3].

وكان يقدم للقــراء والخطباء والحضور، بعد انتهــاء الختمة، أجود أصناف الطعام في الإفطار والغداء والعشاء[4].

---

(١) المرجع السابق: ٨٠.
(٢) المرجع السابق: ١٩٢ ـ ١٩٦.
(٣) المرجع السابق: ٧٥.
(٤) انظر وصف الختمة وما يجري فيها في: طفل من القرية: ٧٥ ـ ٧٩.

والده عضو عامل في الحزب الوطني:

وقد كان والده متنوراً، عنده إلمام بنواحي المعرفة والثقافة، وعنده وعي وطني وسياسي! فقد كان من قراء الصحف، مشتركاً في صحيفة الحزب الوطني اليومية (اللواء)[١]. وقام بواجبه الوطني خير قيام، إذ انضم إلى الحزب الوطني، وكان عضواً في لجنة الحزب بالقرية[٢].

والحزب الوطني الذي انضم إليه، من أوائل الأحزاب المصرية نشوءاً، حيث أنشأه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧م، وكانت ميوله الوطنية والإسلامية واضحة، كما كان من أعنف الأحزاب هجوماً على بريطانيا، وقد ضم الحزب عدداً من خيرة المصلحين المصريين ذوي الميول الإسلامية، مثل الشيخ عبد العزيز جاويش، واستمرت هذه الميول واضحة لدى الحزب إلى فترة طويلة، حيث تخلى عنها فيما بعد[٣].

لقد كان والد سيد حزبياً نشيطاً، حيث جعل من بيته مركزاً سياسياً هاماً، تعقد فيه الاجتماعات السياسية الوطنية، العلنية العادية منها، والسرية الخطيرة التي لا يحضرها إلا المختصون!.

وعلاوة على ذلك، كانت الدار مركز تثقيف جماهيري، حيث تأتيها الجموع لتستمع للأحاديث السياسية والوطنية، ولتقرأ جريدة الحزب الوطني اليومية، حيث تطلع على آخر الأخبار المحلية والعالمية، وتستفيد من التحليلات السياسية[٤].

---

(١) الاتجاهات الوطنية ١: ٩٣٠.

(٢) طفل من القرية: ٣٧ و١٤٥.

(٣) الاتجاهات الوطنية: ٢: ٤١٤ ـ ٤١٦.

(٤) طفل من القرية: ١٤٦ ـ ١٤٧.

والده يقود ثورة ١٩١٩م في القرية:

وقد حدثنا سيد عن دور والده في التحضير لثورة سنة ١٩١٩م في القرية، وعن الاجتماعات التي كانت تعقد في دارهم تميهداً لها:

«كان ذلك في نهاية الحرب العظمى الماضية، وكان بالمدرسة ناظر شاب يتقد وطنية، ولما كان والد الطفل عضواً في لجنة الحزب الوطني، ومشتركاً في صحيفته اليومية، فقد كان منزلهم مثابة للوطنيين من رجال القرية، ولهذا كان الناظر الشاب كذلك، الذي انعقدت صداقة حميمة بينه وبين والده، وفي هذه الاجتماعات كانت تدور أحاديث يحضر بعضها الصبي (سيد قطب)، وبعضها كان سرياً لا يعلم عنه أحد شيئاً[1].

ويحدثنا سيد عن أثر هذه الاجتماعات على نفسه، وما تلقيه في حسه وروعه:

«وكان يبدو أن هناك شعوراً معيناً يختمر، يذكر الآن ذلك كله، ويدرك أنه وهو طفل، كان يتوقع في حسه ـ مع هؤلاء الرجال ـ شيئاً غامضاً، لا يدري ما هو، ولا كيف يقع، ولكن شيئاً ما سيحدث، والسلام، وكانت الاجتماعات السرية التي تعقد في منزله، والأبواب مغلقة، والأصوات تجري همساً. كانت هذه الاجتماعات تلقي في روعهِ هذا الشيء الغامض الذي لا يدريه»[2].

---

(١) المرجع السابق: ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) المرجع السابق: ١٤٦.

والده متدين محب للقرآن:

كانت علاقة والده بربه قوية متينة، فقد كان متديناً، يقيم الصلاة في كل وقت، ويصليها في المسجد الجامع، وكثيراً ما كان يصطحب طفله ـ سيد ـ معه. وعندما كبر سـيد، ووصل العاشرة من عمره صار يذهب إلى المسجد وحده، ويحرص على أداء الصلاة جماعة فيه[١].

وقد أدى والده فريضة الحج، وكان الصغار يلقبونه بـ(عمي الحاج)، والكبار بلقب (الحاج). وهذا دليل قوة العقيدة في نفسه، ومسارعته إلى مرضاة ربه، فما كان يؤدي فريضة الحج في زمنه إلا القليل من الأثرياء، الذين عمر قلوبَهم الإيمانُ بالله.

وقد كان كثير الصدقة في سـبيل الله، على الفقراء والمسـاكين في القرية، ومنهم من كانوا يجلسـون معه في البيت، يأخذون نصيبهم من الطعام، أو الحبوب في المواسم.

كما كان يتصدق على العمال، الذيـن يعملون في أراضيه. فيعطيهم أجراً يزيد عن أجور زملائهم الذين يعملـون عند الآخرين، ويقدم لهم طعاماً أجود من طعام الآخرين كذلك.

كان يقيم حفلات (الختمة) في البيت عـدة مرات في العام، حيث يجتمع قراء القريـة، يقرؤون القـرآن مقابل أجرة ماديـة يدفعها لهم، ووليمة فخمة يضعها أمامهم، وكان يجمع القراء في المنزل، طوال شهر رمضان، يقرؤون القرآن، وينفق عليهم مـن الأموال الكثير، ويقدم لهم أطايب الطعام، ويبتغي بهذا كله وجه الله.

---

(١) المرجع السابق: ١٢٠.

كلام سيد عن تدين والده:

كان يعيش كل يوم والآخرة في حسابه، هي المسيطرة على حركاته وسكناته، ومواقفه وأعماله، وخير من يصور لنا هذا سيد، فقد أهدى له كتابه «مشاهد القيامة في القرآن» ومما جاء في إهدائه قوله:

«لقد طبعتَ في حسي ـ وأنا طفل صغير ـ مخافة اليوم الآخر، لم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر في حسابك، وذكراه في ضميرك وعلى لسانك... كنت تعلل تشددك في الحق الذي عليك، وتسامحك في الحق الذي لك، بأنك تخشى اليوم الآخر، وكنت تعفو عن الإساءة وأنت قادر على ردها، لتكون كفارة لك في اليوم الآخر، وكنت تجود أحياناً بما هو ضرورة لك، لتجده ذخراً في اليوم الآخر....

وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي، ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء فتقرأ الفاتحة، وتتوجه بها إلى روح أبويك في الدار الآخرة. ونحن أطفالك الصغار، نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات، قبل أن نجيد حفظها كاملات»[(١)].

ولا شك أن هذه السمات البارزة في شخصية والده، والتي ذكرها سيد هنا، قد أثرت فيه كثيراً، ورسخت في نفسه وشعوره، ورسمت ملامح شخصيته، وكان لها صلة مباشرة بالمواقف التي وقفها في حياته مواقف العزة والثبات، والاستعلاء والكرامة.

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٥ (باختصار).

شخصية والدته:

لقد كانت أم سيد قطب من أسرة رفيعة من أسر القرية، ذات مكانة مرموقة فيها، نظراً لثروتها الواسعة التي جمعها والدها، ونظراً لدراسة اثنين من إخوانها في الأزهر الشريف، حيث جمعت بهذا بين الوجاهة العلمية والوجاهة الاجتماعية.

كان لها إخوة أربعة، اثنان منهم نالا قسطاً من العلم، وكان لأحدهما ـ أحمد حسين عثمان ـ أثر كبير على سيد، عندما سكن معه في القاهرة[1].

ورغم أن ثروة الأسرة في القرية قد بيعت عن آخرها، إلا أن أمه لم تجزع، فقد اتصفت بالإيمان والثقة والعزة والكرامة، وكان لأسرتها فضل كبير في غرس هذه الصفات في نفسها، فوالدها رجل أزهري ثري تقي، وأخواها تعلما في الأزهر كذلك.

تديُّن والدته:

كانت تحب سماع القرآن، وتخشع عند تلاوته، وتحث ولدها سيد على أن يقرأ لها القرآن، وتتسمَّع من وراء «الشيش» للقراء، يرتلون القرآن في المنزل. وقد صور لنا سيد هذه السمة فيها، عندما أهدى إليها كتابه (التصوير الفني في القرآن) قائلاً:

«لطالما تسمَّعْتِ من وراء (الشيش) في القرية، للقراء يرتلون في دارنا القرآن، طوال شهر رمضان. وأنا معك ـ أحاول أن ألغو كالأطفال ـ فتردني منك إشارة حازمة، وهمسة حاسمة، فأنصت معك

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

إلى الترتيل، وتشرب نفسي موسيقاه، وإن لم أفهم بعد معناه، وحينما نشأتُ بين يديك، بعثتِ بي إلى المدرسة الأولية في القرية، وأولى أمانيك أن يفتحَ اللهُ عليَّ فأحفظ القرآن، وأن يرزقني الصوت الرخيم، فأرتله لك كل آن.

ولقد رحلتِ عنا ـ يا أماه ـ وآخر صورك الشاخصة في خيالي جلستك في الدار أمام المذياع، تستمعين للترتيل الجميل، ويبدو في قسمات وجهك النبيل، إنك تدركين ـ بقلبك الكبير وحسك البصير ـ مراميه وخفاياه[1].

إذا كانت هذه حالتها عند سماع القرآن، فلا بد أنها كانت صوّامة قوّامة، تقيّة بارَّة!!

كانت كريمة تكثر من الصدقة في سبيل الله، وتقوم بإعداد الطعام بنفسها، للقراء الذين يقرؤون القرآن في المنزل، كما كانت تعده أيضاً للعمال الأغراب، الذين يعملون في حقول الأسرة، وتجهد نفسها في هذا كله، وهي راضية النفس، لأنها تتقرب إلى الله بهذا العمل، وترجو ما عنده[2].

ما أوصت به إلى سيد:

كانت حريصة على أن تغرس في نفوس أبنائها الصفات الإيمانية التي اتصفت بها، وأن تربيهم عليها، كي يتمثلوها في تصرفاتهم وسلوكهم ومواقفهم، وكانت عنايتها بسيد فائقة، فهو الابن البكر،

---

(١) التصوير الفني في القرآن: ٥.

(٢) طفل من القرية: ١٩٢.

وهو محطُّ آمالها ومعقدُ رجائها، لذلك حرصت على أن تبني شخصيته على الإيمان، والعزة والكرامة والمروءة، وتحمل المسؤولية!!

كانت تريد منه أن يكون رجلاً حتى قبل أوانه(١)، لذلك راح يهرب من كل مظاهر الطفولة في طفولته، ويعزو السبب إلى (الكبرياء التي أَوْدَعْتِنيها منذ الطفولة، فَجَعَلْتِني أَهربُ من كل مظاهر الطفولة)(٢).

وعندما توفيت أمه سنة ١٩٤٠م(٣)، كان مما رثاها به قوله: «أماه... من ذا الذي يقصّ عليَّ أقاصيص طفولتي، كأنها حادث الأمس القريب، ويصور لي أيامي الأولى، فيعيد إليها الحياة، ويبعثها مرة أخرى في الوجود.

لقد كنتِ تصورينني لنفسي كأنما أنا نسيج فريد، منذ ما كنت في المهد صبيا، وكنتِ تحدثينني عن آمالك، التي شهد مولدها مولدي، فينسرب في خاطري أنني عظيم، وأنني مطالب بتكاليف هذه العظمة، التي هي من نسج خيالك، ووحي جَنانك، فمن ذا يوسوس إليّ بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة؟ ومن ذا يوحي إليَّ بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة؟»(٤).

(١) انظر حديثها له في «طفل من القرية»: ٢٠١ ـ ٢٠٨.
(٢) الأطياف الأربعة: ١٦٦ وقد وردت في الأطياف «أودعتيها» ويبدو أنه تصحيف.
(٣) المرجع السابق: ١٦٨.
(٤) المرجع السابق: ١٦٧.

إذا كان هذا ما أَوْحَــتْ به إليه، وإذا كان هذا مــا أملته فيه، فلا غرابة إذن في المواقف العظيمة التي وقفها، والتكاليف الباهظة التي دفعها، حتى هانت عليه حياته، فبذَلَها في ســبيل ما يعتقد، وإن لأمه أثراً عظيماً ملموساً على هذه المواقف، ولقد صدق ظنُّ أمّه فيه، فقد عاش ســيد قطب عظيماً، ومات عظيماً، وما زال تلاميذه يتحسسون مواطن العظمة فيه، ويسيرون على خطاه!!

* * *

المبحث الثالث
تعريف بإخوتــه

تزوج والده زوجتين، الأولى أنجبت أولاداً، أشار سيد إلى أحدهم في كتابه (طفل من القرية)[1].

والثانية ـ أم سيد ـ أنجبتْ أولاداً، عرفنا منهم خمسة: ابنان وثلاث بنات، وهم: نفيسة وسيد وأمينة ومحمد وحميدة.

أخته الكبرى «نفيسة»:

وهي المولودة الأولى، تكبر سـيد بثلاثة أعـوام[2]، ولا نعرف عنها الكثير، وقد أشار لها سيد في كتابه (طفل من القرية) دون ذكر اسمها[3]. ولم يكن لها اشتراك في الأعمال الأدبية كباقي إخوتها. وقد قدمت أغلى ما تملك في سبيل الله، حيث استشـهد ابنها (رفعت بكر شافع) الطالب في كلية الهندسـة بجامعة القاهرة، وذلك عندما زج جمال عبد الناصر بالألوف من أفراد جماعة الإخوان المسلمين في السجون عام ١٩٦٥م، وجرت لهم مذابح رهيبة فيهـا. وقد لقي هذا الشـهيد ربه، عندما كان الزبانية يعذبونه في مكتب شـمس بدران ـ وزير الحربية يومئذ ـ وكان سيد يحب هذا الشاب كثيراً، بل كان أحب أولاد أخته إليه، للشبه الكبير بينهما، كما سُجن شقيقه عزمي، وعُذب تعذيباً شديداً، أوشك أن يموت منه، وقد نالت نفيسة نصيبها من السـجن والتعذيب، ولم يرحم الطغاة

---

(١) طفل من القرية: ٣٣، ١٥٦، ٢٠٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٠٤.

ضعفها وشيخوختها، حيث كان عمرها يزيد على الخامسة والستين، ولم يخرجوها من السجن إلا بعد استشهاد ولدها رفعت[١].

أخته الوسطى «أمينة»:

كانت تصغر سيد[٢]، وعاشت في القرية لفترة من الزمن، ثم انتقلت إلى القاهرة، وكانت لها ثقافة أدبية واسعة، ولها مشاركة في الأعمال الأدبية، وكان فن القصة هو أكثر فنون الأدب إجادة لها، حيث نشرت في المجلات الأدبية عدداً من القصص الهادفة، وتنبع قصصها من التصور الإسلامي للأدب والحياة، كما شاركت أمينة إخوتها في كتابهم المشترك (الأطياف الأربعة) بقصص منها، وقد عَرَّفَ بها سيد في مقدمة (الأطياف) قائلاً: «تلك الفتاة الهادئة (أمينة)، إنها ساربة في الماضي، ولا تكاد منه تعود، إنها شاعرة، ثروتها من التصورات أجزل من ثروتها في التعبير، إنها مستغرفة في حلم: بالمستقبل الذي لا تملك، وبالماضي الذي لن يعود»[٣].

ونعرف لها مجموعتين من القصص المطبوعة:

«في تيار الحياة»: مجموعة أقاصيص، ضمت اثنتي عشرة أقصوصة، وقد أهدت هذه المجموعة إلى أخويها سيد ومحمد، ومما جاء في الإهداء قولها:

«يا شقيقيَّ الحبيبين! إليكما أهدي هذه الأقاصيص، إن في بعضها صرخات في التيه... قبل أن تبدو لعينيَّ معالم الطريق

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق: ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) طفل من القرية: ٢٠٢.

(٣) الأطياف الأربعة: ٨.

المأمــون.. وفي بعضها الآخر خطواتٌ متعثرة فــي منحنيات الطريق الطويل، فتقبلاها مني.. ريثما أتحســس المعالم والســمات، وأدرب قدميَّ على مشاق الصعود[1].

ومن إهدائها هذا يتجلى لنا أنها وإن لم تَبْــدُ لعينيها معالم الطريق المأمــون في ذلك الوقت، فقد ســارت خطوات متعثــرة في منحنيات الطريق الطويل، وأنها بهذا الســير وهذا التعثر سوف تتحسس المعالم والســمات للطريق اللاحب الطويل، والذي دربت قدميها على مشــاق صعوده، وقد صعدت هذا الطريق فيما بعد، وتحملت مشــاقه وأهواله، وأخــذت نصيبها من المحنــة والابتــلاء، فأُدخلت الســجن، وعُذبتْ وصَبرت، وخرجت منه أقوى إيماناً من قبل.

المجموعة الثانية من أقاصيصها (في الطريق) وهو يشابه اسم كتاب شقيقها سيد (معالم في الطريق).

أخوه الشقيق «محمد»:

لقد بقي سيد هو الولد الوحيد عند والديه، ما يزيد على ثلاثة عشر عاماً، إلى أن ولد شــقيقه محمد في أبريل (نيسان) سنة ١٩١٩م[2]. وقد قضى محمد طفولته في القرية، وانطبعت في مخيلته صورها ومشاهدها، وتأثرت نفســه بمناظرها، وتفتحت مشــاعره وأحاسيســه على جمالها وبهائها، وكثيراً ما كان يذهب إلى الحقول والبســاتين الخضراء، يجري فيها ويتفيَّأ ظلال أشــجارها، ويرهف ســمعه لشــدو بلابلهــا، وزقزقة عصافيرها، ويقتطف لنفسه من زهورها، ويستروح نسيم عبيرها!.

---

(١) في تيار الحياة لأمينة قطب: ٣.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

ولما استقر شقيقه سيد في القاهرة، ارتحل إليها مع أمه وأختيه، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية، التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة. وقد كان يرغب في أن يدخل قسم اللغة العربية وآدابها، ولكن شقيقه أراد له أن يلتحق بقسم اللغة الإنجليزية[1].

وقد حصل محمد على الليسانس في اللغة الإنجليزية، كما حصل على دبلوم التربية وعلم النفس، وبعد التخرج التحق محمد بوظيفة في وزارة التربية والتعليم.

وقد سار محمد في طريق الدعوة إلى الله، وتحمل تكاليفها بصبر وثبات، حيث أُدخل سجون الطغاة في مصر، مرتين، الأولى في عام ١٩٥٤م، والثانية في مذبحة الإخوان عام ١٩٦٥م، حيث كان أول المعتقلين، وقد لاقى من التعذيب صنوفاً عديدة، حتى أشيع أنه قد قُتِل، وزادته المحنة إيماناً وثباتاً، وفُجع في السجن بشقيقه، وصِنْوِ روحه سيد، وقد ترك استشهاده جرحاً عميقاً في نفسه، ولكنه صبر واحتسب، وطالت محنته في السجن، ثم أُفرج عنه، وتعاقدت معه جامعة أُم القرى في مكة، حيث يعمل الآن مدرساً فيها.

محمد قطب «كاتب أديب»:

غرس سيد في نفس شقيقه محبة الأدب وفنونه، فمارس محمد كتابة المقالة، وعرفته المجلات الأدبية التي كانت تصدر في الثلاثينيات والأربعينيات، مثل الأسبوع والرسالة والثقافة، وغيرها، ونشر فيها كثيراً من مقالاته، كما نظم محمد الشعر، ويغلب على شعره النبرة العاطفية،

(١) مقدمة سخريات صغيرة، لمحمد قطب.

ويتجه به إلى نفســه، يحللها ويستنطقها، ويستفهم منها عن سر الوجود والحياة، ونشر كثيراً من قصائده في مجلات الرسالة والثقافة وغيرها[١].

وبينما تتلمذ ســيد على الكاتب الكبير عبــاس العقاد، كان محمد ـ على شدة إعجابه بالعقاد ـ يرى أن الكاتب الساخر إبراهيم عبد القادر المازني أحبُّ إليه من باقي الأدباء المعاصرين[٢].

والأســتاذ الحقيقي لمحمد هو شــقيقه ســيد، الذي ترك لمســاته واضحة على شخصيته وحياته، وقد أهدى محمد أول مؤلف مطبوع له ـ سخريات صغيرة ـ إلى شقيقه سيد، وجاء في الإهداء قوله:

(إلى أخي الذي علمني كيف أقرأ وكيــف أكتب، وحباني برعايته، منذ طفولتي، فكان لي والداً وأخاً وصديقــاً... إليه أهدي هذا الكتاب، لعلي أستطيع أن أفي بشيء من الدين العظيم)[٣].

وبعدما اتجه ســيد الاتجاه الإســلامي، وانضم إلــى جماعة الإخوان المسلمين انضم شقيقه محمد إلى الإخوان بعده بشهور في سنة ١٩٥١م[٤].

محمد قطب مفكر إسلامي:

وبدأ محمد بتأليف مجموعة من الكتب الإسلامية هي:

١ ـ الإنســان بين المادية والإسلام: وهو أول مؤلف إسلامي له، نشره في سنة ١٩٥١، واعتبره الأصل لبعض كتبه الإسلامية التي تلته.

---

(١) لمعرفة بواعثه على قول الشعر، والصارف له عن إنشاده بعد ذلك، انظر كتابه (منهج الفن الإسلامي): ٩ ـ ١١.

(٢) مقدمة سيد لسخريات صغيرة: ٥.

(٣) سخريات صغيرة: ٣.

(٤) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

٢ ـ شبهات حول الإسلام.
٣ ـ في النفس والمجتمع.
٤ ـ قبسات من الرسول.
٥ ـ معركة التقاليد.
٦ ـ منهج التربية الإسلامية.
٧ ـ منهج الفن الإسلامي.
٨ ـ التطور والثبات في حياة البشرية.
٩ ـ دراسات في النفس الإنسانية.
١٠ ـ جاهلية القرن العشرين.

والكتب الثلاثة الأخيرة، هي أنضج كتبه.

وبعد محنته عام ١٩٦٥م، انقطع عن التأليف فترة تزيد على عشر سنوات، وقد أعد الآن عدداً من البحوث الإسلامية وهي:

١ ـ دراسات قرآنية[١].
٢ ـ منهج التربية الإسلامية/ الجزء الثاني.
٣ ـ كيف نكتب التاريخ الإسلامي.
٤ ـ مفاهيم ينبغي أن تصحح.
٥ ـ المستشرقون والإسلام.

وأسلوب محمد سلس مشرق، يخاطب الفطرة، ونغماته وإيقاعاته هادئة، ويجيد التحليل ومناقشة الخصوم، حيث يبسط فكرة الخصم ثم يفندها ويدحضها من وجهة نظر الإسلام.

(١) وقد ظهر حديثاً، حيث طبع سنة ١٩٧٨م.

وهو متأثر بشقيقه سيد في كل شيء، «ولا يعني هذا أن نبخس محمداً حقــه، فنزعم أنه لــم يقل جديــداً، بل كان شــارحاً ذكياً فحســب، لا، لقد قال الكثيــر من الجديد المفيــد، وهذا ظاهر لا يحتاج إلــى إيضاح، ولكن نهجه الفكري وتصوراته التي شــكلت خلفيات مباحثه، ما هي إلا الثمرة الناضجة التي أنبتتها شجرة أخيه الشهيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[١].

فراسة لسيد في خلافة أخيه له:

ولو لم يكن لســيد إلا أنه خرَّج أخاه هذا، وســلمه الراية من بعده لكفاه، إن ســيد كان يُعِدُّ أخاه ليخلفه من بعــده، وكان يأمل أن يكون مكملاً له، فعندما أصدر أول ديوان له، وهو «الشاطئ المجهول»، أهداه إلى محمد، ومما جاء في إهدائه قوله:

أخي أنتَ نفسي حينما أنت صورةٌ ... لآمالي القُصوى التي لم تُشارِفِ
تَمنيتُ مــا أَعيا المقاديــر، إنما ... وجدْتُك رمزاً للأماني الصوادف
فأَنتَ عزائــي في حيــاةٍ قصيرةٍ ... وأنتَ امتدادي في الحياةِ وخالفِي[٢]

وكأني بسيد قطب عندما قال هذه الأبيات، كان يحاول أن يستشف الغيب ببصيرته النافذة، وإنها لكرامة لسيد، جاءت في صورة أمنية له.

وقد حقق محمد أمنية أخيه، وقد مــد الله في عمره، فخلفه، واعتبر امتداداً له في حياته!.

---

(١) سيد قطب. لبركات: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) مقدمة سيد لسخريات صغيرة: ٤ ـ ٥.

ويُعتبر الأستاذ محمد قطب الآن في طليعة الدعاة الإسلاميين، والمفكرين الملتزمين، والمربّين الحركيين. وقد شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية داخل البلاد الإسلامية وخارجها، وقدم البحوث الهادفة الجادة، وألقى المحاضرات الإسلامية الكثيرة التي استمع لها الآلاف من الشباب الإسلامي.

أخته الصغرى «حميدة»:

هي صغرى الأطياف الأربعة، عَرَّفَ بها سيد في مقدمة الأطياف قائلاً: «تلك الصبية الناشئة ـ حميدة ـ إنها موفورة الحس أبداً، متفزعة من شبح مجهول، إنها تعبد الحياة وتخشاها، إنها تتلفت في ذعر كلما تفرست في المجهول»[1].

عاشت في القرية فترة من حياتها، ثم التحقت بشقيقها سيد في القاهرة، عندما استقرت العائلة كلها عنده، وأتمت دراستها في القاهرة، ولها اهتمامات أدبية، عرفنا منها الحيز الذي كتبته في (الأطياف الأربعة)، وكتبت المقالات في المجلات التي كانت تصدر في مطلع الخمسينيات، مثل مجلة (المسلمون) و(الإخوان المسلمون).

وبعد محنة الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤م، قامت حميدة مع مجموعة من الأخوات المسلمات المجاهدات، بمهمات عظيمة، في رعاية أسر المجاهدين المعتقلين، وكانت الساعد الأيمن للمجاهدة «زينب الغزالي»، كما كانت حلقة الوصل في التنظيم الإخواني بينه وبين شقيقها سيد، الذي كان داخل السجن، تحمل تعليماته وتوصياته

(١) الأطياف الأربعة: ٧.

للتنظيم. وكان نصيبها مــن الابتلاء والتعذيب فـــي محنة الإخوان عام ١٩٦٥م كبيراً. وهي الوحيــدة من آل قطب التي حكــم عليها بعقوبة محددة ـ باستثناء شــقيقها الشــهيد ـ حيث حكم عليها بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة، قضت منها ست سنوات وأربعة أشهر بين السجن الحربي وسجن القناطر[1].

* * *

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر: ١٣٤.

المبحث الرابع
نشأته وتربيته ووصفه

في هذا العصر الـذي وصفنا عاش سـيد قطب، وفي هـذه القرية الجميلة الهادئة نشأ ودرج، وفي أحضان تلك الأسرة المستقرة المطمئنة المهتدية تربى، وبين هؤلاء الإخوة الأبرار قضى فترة من العمر لا تُنسى.

لقد كان أثر القرية وما فيها من جمال واضحاً على نفسـيته، ويظهر ذلك من كثرة ذكره لها، وإشـادته بمحاسنها وجمالها، بل إنه ألّف أحد كتبه وهـو (طفل من القرية) ليبيـن كثيراً من مزاياها، حيث رسـم فيه صوراً رائعة لها.

أثر مناظر القرية الجميلة عليه:

هذه القرية الجميلة الهادئة الحالمـة، ذات المناظر الطبيعية الفاتنة، التي طالما أجال سـيد قطب طرفه في ربوعها، ينقل ناظريه من سـحر إلى فتنة، ومن فتنة إلى سـحر، فمن منظر الفيضـان والمياه تغمر وجه الأرض، وترتفع إلى أكثر من متر، والخيالات والرؤى التي كان يسـبح بها سيد حينما ينظر إلى الماء، إلى مشهد الأرض السمراء التي تتكشف عن مياه الفيضـان، إلى حركة العمال يبذرون فيها الحب، بسـواعدهم المفتولة، وبشـرتهم السـمراء التي لوحتها أشعة الشـمس، إلى لوحة النبات والزهـور المختلفة الألـوان، إلى الأشـجار المختلفة الأحجام والألوان والثمار... تلك المناظـر الجميلة الخلابة الممتعة، تركت آثاراً في نفس سيد قطب، حيث كانت نفسه تتأثر بكل واحدة منها، فتضيف بذلك المزيـد إلى رصيدها من الجمال، فإذا كانـت عيناه تقع كل يوم

على ما لا يُعد من هذه المشاهد الفاتنة، لأنه كثيراً ما كان يقوم بنزهات ممتعة إلى حقول أسـرته، فيجري ويقفز ويمرح، ويلاطف من يشتغلون فيها، وكثيراً ما كان يرافق لداته وخلانه في نزهاتهم الخلوية إلى أحضان الطبيعة، سواء في النهار الضاحي، أو الليل المعتم الساجي، إذا تصورنا مشـاهداته هذه، تصورنا رصيداً ضخماً من المشاهد والمناظر مذخوراً في مخيلته، وعرفنا سر أحلامه ورؤاه.

تأثره بما كان يسمع في القرية:

هذا عن المشاهد الساحرة التي كانت تقع عيناه عليها كل يوم، فماذا عن الأصوات الموسيقية التي كانت تطرق سمعه؟

لا شك أنه كان في نزهاته التي وصفنا، يسمع تغريد الطيور، وزقزقة العصافير، وشدو البلابل، التي كانت ترف من غصن إلى غصن فتصفق الغصون لشـدوها طرباً، فكان سيد يطرب لألحانها الموسيقية، وتتخدر مشاعره وأحاسيسه لإيقاعها الساحر.

ومن الأصوات التي طرقت سـمعه، وأثرت في نفسه، وساعدت على بناء شـخصيته القوية القويمة، مواويل العمـال الغرباء، الذين كانوا ينشدونها في عز وإباء، فيسـمعها سيد مسحوراً مخدراً، وكلما تعبوا وكفّـوا طالبهم بالمزيد، فاسـتجابوا له: «كانـت أغاني هؤلاء الناس الشـجية، التي تقطر بالمرارة والأسـى، في رجولة وتجمل، تسـتجيش نفس الصبي الصغير وأحاسيسـه، فيسـتمع إليها شـبه مسحور، وتجيش في نفسه الصغيرة إنفعالات لا يدريها، ولا يحاول التعبير عنهـا... ولكنه أبداً يحـن إليها، وينتظرها مـن العام للعام، ويسـتكثر من إنشـادها، ويسـتزيد، إن صمـت القوم مـن التعب

والإعياء... وهم في كل مرة يجيبونه إلى ما يطلب: فهو الابن الصغير لسيد البيت، ثم هو صديقهم فرداً فرداً»[١].

وطرق سمعه، أصوات النساء في القرية وهي (تُعَدِّدُ: أي تتحزن بصوت مسموع)[٢] وتردد منظومات حزينة، والدموع تسح من عيونها بغزارة، فتؤثر في نفسه، وتسكب الحزن في قلبه، وطرق سمعَه صراخ النساء، وهي تبكي وتردد كلمات الفجيعة، إذا فجعت واحدة منهن بزوجها أو ابنها أو أحد أقاربها، أو بُقرت بطونُ بهائمها، من قبل لصوص القرية، كذلك طرق سمعه أغاني المحبين من الشباب، ومواويلُهم التي ينشدونها في انفعال ولهفة.

هذه المناظر الجميلة التي رآها سيد، وهذه الأصوات المختلفة البواعث والإيقاعات والتأثيرات، التي سمعها سيد في كل آن، أحدثت في نفسه مختلف المشاعر، هذا كله أخذه سيد من قريته، وكان له أثر واضح على نفسه وحسه ومشاعره ووجدانه ومخيلته، وقد ساعدت هذه الأمور كلها على نمو فكرة التصوير والتشخيص في نفسه وكتاباته على السواء.

هذا عن أثر قريته بمناظرها وإيقاعاتها وإيحاءاتها على سيد قطب.

ماذا غرس والداه في نفسه؟:

أما والداه فقد كان أثرهما واضحاً في مختلف نواحي شخصيته: وإننا نحس لمساتهما التربوية واضحة فيه، لقد غرسا في نفسه الكثير:

غرسا في نفسه الإيمان والطهر والعفاف: والده الذي كان يرتاد

(١) طفل من القرية: ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٠١.

المســاجد للصلاة، ويدفع الحقوق لأصحابها، ويسير ومخافة اليوم الآخر نصب عينيه، ويختم نهــاره بالفاتحة، ووالدته التــي كانت تؤدي حق الله عليها، وتنصت إلى القرآن بخشوع، والولائم المتعددة التي تقام في بيتهم كل عام، ويُتلى فيها القرآن، هذا كله ساعد على غرس المعاني والحقائق الإيمانية في قلبه، فدفعته ـ وهو طفل صغير ـ إلى المحافظة على الصلاة في المسجد، وإلى حفظ القرآن وهو لما يكمل المرحلة الابتدائية.

وغرسا في نفسه محبة المســاكين ونصرة الضعفاء، ودفْعَ الظلم عن المظلوميــن: والده الطيب الكريم، الذي كان يســتقدم العمال الأغراب للعمــل في حقولــه، ويعاملهم كمــا يعامل أفــراد العائلة فــي الطعام والشــراب، ويعطيهــم من الأجــر أكثر مــا يعطي أصحــاب الأراضي الآخرون... ووالدته التــي كانت تتقرب إلــى الله بقيامها على طعامهم بنفســها، والتي كانت تتصدق على فقراء القرية، هذا كله أثَّر في نفسه، فوقف نفسه لمناصرة المظلومين، فالعمال الذين يكرمهم والده كان هو (المحامي) لهم، يأخذ لهم من بيته زيادة على استحقاقهم.

وكان يصادقهــم ويجالســهم، ويســتفيد الكثير منهــم، اطلع على أحوالهم وأســرارهم، وعــرف الكثير عنهم، عــرف خصائص حياتهم، وطبيعة أكلهم، ومورد دخلهم، وحياتهم الاقتصادية، عرف كل هذا وهو طفل صغير، ولكنه ترك في نفسه أثراً واضحاً، يحدثنا عنه قائلاً:

«وعلم أشياء وأشياء، لم يتبين عمق آثارها في نفسه، وقسوة وقعها على حسه، إلاّ وهو يســترجعها الآن، في الحين بعد الحين، فيشعر في قرارة نفســه بالخجل، ويحس لنفســه ولشــعبه بالازدراء، إنه سارق... سارق لهؤلاء الغُرُب وأمثالهم من الملايين الكثيرة، التي تنبت الذهب

في الوادي، وتجوع... سارق...! ولو كان في الوادي قانون عادل لقاده إلى السجن، قبل أولئك الكثيرين الذين يحسبهم القانون لصوصاً ومجرمين[١]! هذا هو الشعور الذي ظل يعاوده أبداً، كلما جلس يتناول طعاماً دسماً، أو فاكهة لذيذة أو حلوى أنيقة، أو يتمتع بأيسر مباهج الحياة بين ملايين المحرومين»[٢]!

وغرسا في نفسه الإباء والعزة، والمروءة والشمم: كان يرى العزة التي يقفها والده فتؤثر في نفسه، ولقد طبعته والدته على هذه المعاني منذ صغره، وأعدته إعداداً خاصاً ليكون رجلاً، غرست في نفسه الكبرياء التي يقول عنها: «الكبرياء التي أَودعْتِنيها منذ الطفولة، فجعَلَتْني أهربُ من كل مظاهر الطفولة[٣]، ويقول في رثائه لها: «لقد كنتِ تُصورينني لنفسي كأنما أنا نسيج فريد، منذ ما كنت في المهد صبياً، وكنت تحدثينني عن آمالك، التي شهد مولدها مولدي، فينسرب في خاطري أنني عظيم، وأنني مطالب بتكاليف هذه العظمة»[٤].

اعتداده بنفسه في طفولته:

ولذلك كان يأبى على نفسه أن تقف موقف ذل أو هوان، أو يأتي بفعل ينقص من قدره في أعين الناس، فعندما اضطره الخوف إلى الهرب من المدرسة في أول يوم ذهب إليها.. «أدرك ما في فعلته من

---

(١) اعتبر نفسه سارقاً؛ لأن أكله أطيبُ وأَرْفَهُ من أكلهم! فما هي نظرته إلى اللصوص من الكبراء والزعماء يا ترى!!

(٢) طفل من القرية: ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٣) المرجع السابق: ١٦٦.

(٤) المرجع السابق: ١٦٧.

عضاضة ـ وكان على صغر سنه يدرك هذه الغضاضة ـ فلم يستطع أن يواجه أهل البيت بفعلته ـ لا خوفاً فقد كان آمناً من الضرب ـ ولكن حياء من الفعلة التي لم تكن تليق»[١]!

وعندما تحذره أمه من السير في طريق مظلم خطر ليلاً خوفاً عليه، يكون هذا التحذير كافياً لأن يقتحم هذا الطريق الخطير في الليل البهيم، وهو طفل صغير! وذلك لأن تحذيرها أثار كبرياءه، وجرح عزته واعتداده بنفسه، وعندما سار في الطريق الخطر أحس بالرهبة، وسيطر الخوف عليه، ولما مر عليه رجل من أهل القرية، تصنع الشجاعة، وأنكر الخوف، واصطنع عذراً يتفق واعتداده بنفسه، لأنه رأى في اعترافه بالخوف أمام الرجل، مهانة وغضاضة، وهو لا يريد لكبريائه أن تُجرح أو تُخدش[٢].

هذه الحادثة تدلنا على ما تمتع به من العزة والكرامة والشهامة، منذ صغره، وقد لازمته هذه الصفات في مختلف مراحل حياته، فلم يُعهد عليه موقف ذل أو هوان، في مدرسة أو كلية، أو عمل قام به، أو وظيفة التحق بها، أو صراع أدبي أو سياسي أو اجتماعي قاده، رغم الضغط الذي تعرض له، والمساومات التي أُجريت معه.

وغرسا في نفسه الحيوية والحركة، والعمل الجاد لإصلاح الوطن، وكان للندوات السياسية التي تعقد في بيته وهو صغير، والتي قرأ للحضور فيها الجريدة اليومية، أثرها على نفسه، كما كان للاجتماعات السياسية السرية المغلقة التي تعقد في بيته كذلك، أثرها الواضح أيضاً.

---

(١) المرجع السابق: ٢٩.

(٢) انظر تفصيل الحادثة في (طفل من القرية): ١٢١ ـ ١٢٣.

نشاطه السياسي في طفولته:

وقد ورث عن والده السياسي ـ عضو لجنة الحزب الوطني في القرية ـ الاهتمام بالسياسة، ومتابعتها والانغماس فيها، فها هو يقرأ الجريدة السياسية كل يوم، ويثقف نفسه بما جاء فيها، وتتفتح مواهبه السياسية بالاطلاع على تحليلاتها، وقد خاض غمار السياسة وهو ما زال في القرية. فعندما قامت الثورة الشعبية سنة ١٩١٩م واشتركت بها فئات الشعب المصري، واشتركت قريته بها، وكان لوالده دور بارز فيها، لم يقبل سيد أن يبقى ساكتاً والناس يتحركون، وإنما حدثنا عن دوره فيها قائلاً:

«وقعت المعجزة على يده هو، فانطلق في حماسة الثورة وفورتها، يكتب هو الخطب (!!) ويضمنها أبياتاً من الشعر (!!) ـ يحسبها موزونة وهي متهالكة ـ ويلقيها في المجامع والمساجد (!!!) حيث نفخت الثورة المقدسة في الجميع، فصاروا يستمعون لكل هاتف بالثورة، ولو كان طفلاً صغيراً مثله لم يكد يتجاوز العاشرة»[١].

ولم يتخل عن هذا الاهتمام طيلة حياته، فانضم إلى حزب الوفد، وكان عضواً مؤثراً فيه، ثم انفصل عنه وانضم إلى حزب السعديين، ثم يئس من الأحزاب القائمة وعمل بمفرده، وأخيراً وجد ضالته في جماعة الإخوان المسلمين، التي بقي يعمل من خلالها إلى أن لقي ربه[٢].

حسن تربيته في طفولته:

حرص والدا سيد قطب، على أن يربياه التربية القويمة، ليكون إنساناً صالحاً، وليحقق الآمال التي يرجوانها منه.

---

(١) المرجع السابق: ١٥١.

(٢) انظر فصل (مشاهد من حياة سيد قطب) من هذا الكتاب.

عاش سيد بين أفراد أسـرة متماسـكة، يرفرف الحب في سمائها، ويتمتع أفرادها بالهدوء والأمن والسـكينة، فمـا كانت تثور المنازعات بين الأب والأم، ولا يقع الشـقاق والخصام بينهما، والأولاد يمرحون ويلعبون، ولا مجال لحقد أو حسد بينهم.

لم يكن والده يسـتخدم الضرب كوسـيلة للتربية، فقد كان متنوراً بعض الشـيء، وعندما اضطر سـيد للهرب من المدرسة في أول يوم، عاتبه أهل الدار، وتهكـم عليه البعض، إلا والده، فإنـه (لم يوجه إليه كلمة واحدة. وكان هذا أمرَّ عليه)[١].

كذلك لم يكن مسموحاً له أن يلعب في شوارع القرية وطرقاتها مع الأولاد الآخرين «حفظاً لملابسـه النظيفة من القذارة، وحماية لأخلاقه من التلوث بأخلاق أولاد القرية (السيئة) وألفاظهم البذيئة[٢]».

ولا منافاة بين منعه من اللعب في طرقات القرية مع باقي الأولاد، وبين خروجه في نزهـات خلوية وحيداً أو مع أهلـه، أو مع لداته من الأولاد، لأن أسرته كانت تراقب نشـاطاته وتوجهها نحو بناء شخصيته القويمة المستقيمة!.

نتيجة لهذه التربية، نشأ سيد نشأة صالحة مستقيمة، فرأيناه يحرص على أداء الصلاة في المسجد، ويحرص على حفظ القرآن، ليكون قدوة لباقي شباب القرية.

---

(١) طفل من القرية: ٣٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

صلته في طفولته بنساء القرية:

وعندما اهتم سـيد بالكتب في القرية، وعُرف باقتنائه كتابين لهما رواج عند أهل القرية ـ كتاب أبي معشـر الفلكي وكتاب شـمهورش ـ أقبل الجميع عليه طمعاً في معرفة الحظـوظ، أو عمل الرقى والتعاويذ والتمائم، وكانت نسـاء القرية تفضـل التعامل معه علـى التعامل مع الرجال الآخرين، الذين يملكون أمثال الكتابين لأسـباب منها: (أنه لا يتناول أجراً على الخدمات التي يقوم بها لهؤلاء، ومنها أنه صبي يدخل البيوت وتقابله النسوة والفتيات بلا تحرج، ودون أن يثير وجوده بينهن تساؤلاً، كالذي يثيره وجود من يتعاطون هذه الأعمال من الكبار، ومنها أن السـيدة أو الفتاة لا تتحرج أَن تفضي برغباتها وأسرارها ومخاوفها لصبي لم يبلغ الحلم، ولا تدعو سنه إلى الخجل منه»[1].

ورغم اتصال سـيد المسـتمر ـ نتيجة لأعماله تلك ـ بنساء القرية ورغم طبيعة الأعمال التي يقوم بها، إلاَّ أن تربيته المنزلية أبعدت نوازع الجنس والفسـاد عن خياله: (ولقد كان صغيراً لم تثر في نفسـه نوازع الجنس بعد، وتربيته المنزلية تجعل في نفسه كثيراً من الحشمة والحياء، حتى لو ثارت بعض هذه النوازع)[2].

ولما انضم لمدرسته سبع طالبات صغيرات ـ لم يتجاوزن العاشرة ـ راح بعض التلاميذ الكبار في المدرسة يعاكسونهن بالكلمات والحركات والأصوات. (أما هو فإن حياءه الشـديد، وتقاليده العائلية، قد أمسكت به بعيداً عن هـذه الحركات، ولكن هـذا لم يكن معناه أنـه أقل رغبة من

(١) المرجع السابق: ١٤١.

(٢) المرجع السابق: ١٤١.

الآخرين في لفت النظر إليه... إنما كانت وسـيلته إلى ذلك مما يتفق مع نشأته. فأخذ جانب المدافع عن كرامة البنات حيثما وجه إليهن اعتداء)[١].

وكان سيد حييا منذ صغره، ويشمئز لأي منظر مناف للأخلاق، وقد كان في القرية «مجذوب» يقضي معظم أوقاته عارياً بشـكل مؤذ، وكان سيد يستحي من منظره، ويستنكره أمام أهالي القرية[٢].

استقامته وهو شاب في القاهرة:

وكان لتربيته العائلية الطاهرة، أثر في استقامته بعدما كبر وذهب إلى القاهرة، فعندما خطب سيد فتاته، وفوجئ مرة برؤيتها في بيتها في حالة لا تليق، حدثنا عن نفسه أثناء ذلك الموقف قائلاً: (كانت تربيته الأولى في بيئة محافظة متطهرة، وكان قد انصرف في حياته إلى نوع من الجد، لا يسـمح له بالعبث، وكان الشـعر والفن قد صانا خياله من التلوث... وكان هذا كله يبعده عن المرأة، ويصيبه بلـون من الربكة والاضطراب حين يلقاها وجهـاً لوجه، أيا كانت طبقتها وسـنها، فلمـا وجِّه مفاجأة بالفتاة التي يحبها شبه عارية، كان ذلك مضاعفاً لخجله وارتباكه)[٣].

وعندما اتصلت خطيبته به تلفونياً في مكتبه وحوله زملاؤه، ارتبك وأخذتـه الحيرة، وفـي نهاية المكالمة قـال لها: (سـأكون عندكم في الخامسـة، وفي هذه اللحظة تنبه إلى أنه بين زملائه، فأراد في محاولة ساذجة أن يبعد عن نفسه الريب وعنها هي أولاً، وإن لم يعلم أحد من تكون! قال: أخْبِري بابا أنني سأحضر في هذه الساعة)[٤]!

(١) المرجع السابق: ٥٤.

(٢) المرجع السابق: ١٥.

(٣) أشواك: ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) المرجع السابق: ١٧.

ما هو وصفه؟

كثيراً ما يرسم الشـــخص في مخيلته صورة شاخصة، للشخص من العظماء، وبخاصة الأدباء، من كتاب وشـــعراء، ويظـــن أن هذه الصورة المتخيلة تنطبق على صاحبها تماماً، وهو لم يرســـمها إلاّ بعد أن يسمع عن هذا العظيم، أو يقرأ له ويتمعن في أسلوبه.

وكثيراً ما يفاجأ هذا الشـــخص، بعدم انطباق الصورة المتخيَّلة على شخصية صاحبها، وذلك عندما يشـــاهده في الواقع، وعندها يمحو من مخيلته صورته الأولى ويحتفظ مكانها بصورته الجديدة...

وهذا ما حصـــل للمعجبين بســـيد قطب، الذين لم يســـبق لهم أن شـــاهدوه، بل قرؤوا مقالاته النقدية في الصحـــف والمجلات، وتابعوا معاركه الأدبية على صفحاتها، واطلعوا على قصائده الشـــعرية العاطفية فيها، أو قرؤوا بحوثه الأدبية والفكرية الإســـلامية المتنوعة، ورســـموا نتيجة لهذا الاطلاع صورة متخيلة له.

من هؤلاء علي الطنطاوي، الذي شُدِهَ وبُهِتَ عندما قابل سيد قطب للمرة الأولى، في دار مجلة الرســـالة في مصر (وأحلفُ أني شُـــدِهْتُ، وكنت أرتقب أن يكون هذا الشـــاب أي إنســـان إلاّ سيد قطب، وكنت أستطيع أن أتخيل سيد قطب على ألف صورة إلا هذه الصورة، وازددت يقيناً أن من الخطـــأ البين أن تحكم على شـــخص الكاتب بكتابته، أو تعرف الشـــاعر من شـــعره)[1]. كما فوجئ مرة أخرى عندما أهدى إليه مؤلفه الجديد (التصوير الفني في القرآن) لأنه على حد قوله: (لم أتخيل

(١) الرسالة السنة الثالثة عشرة المجلد الثاني ـ عدد ٦٤٨ ديسمبر ١٩٤٥م، صفحة: ١٣١٣.

ســيد قطب، إلا مقارعاً محارباً، ولم أعرفه إلا كاتبــاً مجادلاً مناضلاً، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومحايداً...)[١].

ومنهم أبو الحسن الندوي، الذي رسم له في مخيلته صورة خيالية يقول عنها: (كنت أتخيله أديباً في العقــد الرابع من عمره، فارع القامة، عريض ما بين المنكبين، قوي البنية)[٢].

ومنهم محمد علي قطب، الذي يحدثنا عن صورة سيد المتخيلة في ذهنه، والتي زالت عندما قابله (والحقيقة التي أريد أن أُثبتها هنا هي أن شــيئاً واحداً قد خاب رجائي معه، ذلك أن مطالعتي لسيد من مؤلفاته، أوحت لي أن صاحبها من ناحية الشــكل ضخم الجسم، عملاق البدن، قوي النبرة، حاد الصوت، إذا تحدث ســمعه كل الناس، أبيض البشرة كبياض السريرة)[٣].

فما هي صورة سيد قطب يا ترى؟ وما هو وصفه؟

كان سيد قطب رجلاً أسمر اللون، لوَّحت بشرتَه شمسُ الصعيد الحارقة.

كما كان متوســط الطــول، معتدل الجســم، لا هو بالســمين ولا بالنحيف، وقد كان ضعيف البنية، ناحل البدن[٤] حيث أنهكت جســمَه الأمراضُ التي صاحبته منذ صغره، وما كانت تفارقه إلا ليقع في براثنها من جديد، وقد تركت آثارهــا واضحة على بدنــه، وكان لمحنته التي

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي: ٩٧.

(٣) سيد قطب، لمحمد علي قطب: ١٧.

(٤) انظر: وصفه في مذكرات سائح: ٩٧، وسيد قطب: ١٧ والرسالة السنة الثالثة عشرة المجلد الثاني: ١٣١٣.

طالت! حيث غيب في السجون، وقضى الوقت الطويل على أرضية الزنازين الباردة، وحرم من الاستمتاع بأشعة الشمس الدافئة، وللسياط ووسائل التعذيب المختلفة التي تعرض لها، كان لهذا كله أثره الواضح على بدنه الناحل، يقول محمد علي قطب عندما رآه بعد اعتقاله الأول: «وجدته يشكو كثيراً من الأمراض، ولا طاقة للبدن أبداً مهما كان قوياً أن يحتمل النفس الكبيرة:

وإذا كانت النفوسُ كبارا   تعبت في مرادها الأجسام

لقد وجدته وقد نالت منه الأيام، فبدت آثارها على وجهه تَغَضُّناً، وفي جبهته أخاديد عميقة، وفي عينيه حمرة، وفي شعره الأسود القاتم شيباً[1].

أسلوبه الهجومي لا يدل على مظهره:

هذا وأسلوب سيد قطب في الكتابة لا يدل على مظهره، فهو في الكتابة كما يقول علي الطنطاوي ـ بحق ـ مقارع محارب، وكاتب مجادل مناضل، يهاجم مهاجماً ومدافعاً محايداً، ويتجلى هذا الأسلوب في مقالاته الأدبية التي خاض من خلالها معاركه الأدبية والنقدية، كما يتجلى في مؤلفاته التي أعدها بعد هذه المرحلة من حياته، فهو في كتبه هذه ثائر مناضل مجادل، عنيف مهاجم، وفي كتبه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية) و(في ظلال القرآن) و(معالم في الطريق) مصداق ما نقول. بل إن صفة الهجوم ملازمة له، حتى اعتبر أنه أول من قاد الفكر الإسلامي من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم.

---

(١) سيد قطب، لمحمد علي قطب: ٢١ ـ ٢٢.

أقول رغم أن هذا هو طابع أسلوبه، إلاّ أن مظهره العام ـ عند اللقاء به ـ يدل على العكس من هذا تماماً، فهو كما يقول علي الطنطاوي ـ عندما قابله، حيث وجده ـ «لطيفاً هادئاً، وتبدو عليه سيما المسالمة والموادعة والإيناس»[١]. ولذلك يفاجأ من يراه، ولا يكاد يصدق أن هذا الشخص الهادئ المسالم هو نفسه الذي تصدر عنه هذه المقالات والكتب.. (ولا يظهر بادئ ذي بدئ أنه هو صاحب الأسلوب القوي في الموضوعات الدينية)[٢] كما قال عنه الندوي بحق.

وتزول الغرابة والمفاجأة عندما نعلم أن العبرة ليس بضآلة الجسم أو ضخامته، إذ لا أثر لهذا على أسلوب الكاتب، وإنما العبرة بالروح التي يحملها الكاتب بين جنبيه، ولا شك بأن جسم سيد الناحل الصغير قد ضم بين جوانحه روحاً ثائرة، هي التي صدرت عنها تلك المؤلفات، التي زلزلت عروش الطغاة، ورسمت معالم الطريق للمجاهدين السائرين إلى الله!!

* * *

(١) الرسالة: عدد ٦٤٨ صفحة ١٣١٣ والأسبوع المجلد الثالث عدد ٣٥ صفحة ٨.

(٢) مذكرات سائح للندوي: ٩٧.

الفصل الثالث

مشاهد من حياة سيد قطب

المبحث الأول
دراسته في القرية

كان في قريتــه منهجان للتعليــم: منهج التعليــم الحكومي، الذي تشــرف عليه وزارة المعارف، والمتمثل في المدرســة، ومنهج التعليم الديني الأزهري. الذي يُدَرِّسُ فيه عادة رجال، إما تخرجوا من الأزهر، أو تعلموا القــراءة والكتابــة وحفظوا القــرآن، ويســمى الرجل منهم (خطيباً)، وتسمى مدارسهم (كتاتيب)، ويعتمدون في أجورهم على آباء الأولاد الذين يدرسون عندهم.

دخل المدرسة وهو في السادسة من عمره:

وعندما كبر ســيد وناهز السادســة من عمره، فكر أهله في أن يبدأ حياة التعليم، ولكن أين يدرس؟ انقسموا إلى فريقين: (فريق يؤيد ذهابه، إلى الكُتّاب ليحفــظ القرآن ويفــوز بالبركة، وفريق يرى إرســاله إلى المدرســة، لأنها أرقى وأنظف، والقــرآن يُعَلَّمُ فيها إلــى جانب العلوم الأخرى)، وأخيــراً انتصر فريــق المدرســة، وأخبروه بالقــرار، فتلقاه بالقبول، ولكن بغير حماســة ظاهرة، فقد كان أروح لنفسه أن يظل في الدار يلعب مع أخته، التي كانت تكبره قليلاً[١].

وتمت تهيئته للمدرســة، وجيء له بملابس جديــدة جميلة، مميزة عن باقي ملابس الطلاب، وذهب به أبوه في اليوم الأول إليها[٢].

---

(١) طفل من القرية: ٢٢.

(٢) المرجع السابق: ٢٢.

وبما أن المدرسة كانت في حاجة إلى تأليف قلوب الأهالي، فإنها لم تتبع النظام المعروف في تقسيم التلاميذ، حيث يقسَّمون تبعاً لدرجة العلم والمعرفة، فتم تقسيمهم حسب السن[١].

وكانت مدة الدراسة في المدرسة خمس سنوات: السنة التحضيرية التي تحضر الطالب للسنة الأولى، ثم السنوات من الأولى حتى الرابعة، وبعد السنة الرابعة يتخرج الطالب من المدرسة، ليتابع دراسته في مدرسة المعلمين[٢].

وطلب والده من ناظر المدرسة أن يوضَع ـ وهو لم يتعلم الكتابة ـ في السنة الرابعة، ولا سيما أن ابن خالته فيها، ويحسن أن يجلس معه ليستأنس به، ولكن الناظر وقد أنس به شيئاً من التنور والمعرفة، صارحه في الأمر، وبين له أن مصلحة الطفل تقتضي أن يوضع في السنة التمهيدية، ليستفيد ويسير مع الدراسة سيراً طبيعياً، فاقتنع والده برأي الناظر!

هروبه من المدرسة لأَكثر من شهر:

وصادف في اليوم الأول لذهابه إلى المدرسة مجيء مدرس الرياضة ـ وهو أحد الجنود القدامى ـ ليعطي الطلاب التمارين الرياضية، وقد سمع سيد من ابن خالته ومن غيره من الطلاب أخباراً عن قسوة هذا المدرس على الطلاب، وضربه لهم. «وقد كان ما يسمعه عنه من قبل كافياً لإثارة الرعب في قلبه الصغير، ولكن التلاميذ استغلوا حداثته

(١) المرجع السابق: ٤٤.
(٢) المرجع السابق: ٤٤.

وعدم معرفته بهذا الشــأن، وراحوا يخوفونه بما لا تحتمله أعصابه من المبالغات..»[١] ولذلك ـ وبعد انتهاء الحصة الثانية ـ هرب ســيد قطب من المدرسة، خوفاً من ذلك المدرس.

عودته إلى المدرسة:

مضى على هروبه من المدرسة شهر وبعض شهر، وحزنت والدته كثيراً عليه، لأنه بهروبه قد ضيع الآمال التي تُعلقها على نجاحه في الدراســة. وراح أخــوه الأكبر ـ وهو ليــس بشــقيقه ـ يتهكم عليه، وســكت أبوه اكتفاء بتأنيب ضميره، وأمام هــذه العوامل كلها، قرر سيد بنفسه العودة إلى المدرسة، بدون مراسيم ولا مظاهر، وبكَّر إلى بيت ابن خالته ذاهباً معه، وفرح المدرسون لمقدمه، كما شاع الفرح في كيان أمه[٢].

كان يشرف على ثقافته وتربيته في السنة التحضيرية فرَّاش المدرسة الوحيد (العم إبراهيم) نظراً لعدم وجود العدد الكافي من المدرســين، ولم يستفد سيد منه شــيئاً، ولما كان المدرسون يحبونه لأن والده دائمُ الضيافة لهم، ولأنه كان يُحضر لهم في جيبه كميات من السكر والشاي كل صباح، فقد طلب مــن الناظر أن يلحق بالفصل الذي يضم الســنة الأولى والثانية، فوافقه علــى طلبه، كما وافقه على أن يذهب في بعض الأحيان إلى السنة الرابعة عند ابن خالته، أما إذا جاء المفتش فلا بد أن يجلس في السنة التحضيرية مدة وجوده.

(١) المرجع السابق: ٢٧.
(٢) المرجع السابق: ٣٣ ـ ٣٤.

وكان الناظر والمدرس ـ وهما الهيئة التدريسية في المدرسة! ـ يعنيان بالتدريس له على حِدَة داخل الفصـــل، ويكتبان له الحروف الأبجدية ثم الكلمات ثم الجمل على لوحه الـــذي يحمله، ويتركانه لمحاكاتها، وكان يتقدم يوماً بعد يوم، وهو يتلقى العلم في شبه درس خصوصي[1].

وهكذا نرى أن سيد قطب قد أحيط بجو خاص في المدرسة، ولقي عناية واهتماماً كبيرين من المدرسين، وقد ساعد هذا كله على استيعابه الســـريع، وعلى تفتح ملكاته العلميـــة، وعلى نبوغـــه المبكر في هذا المجال.

وحينما كان ســـيد في الســـنة الثانية، جاء للمدرســـة مدرس جديد مؤهل علمياً، فكان لا بد من أن يســـتغنوا عن شـــيخ الكُتَّاب، الذي لم يحمل شـــهادة علمية، ولم يســـتطع تدريس الحســـاب والمواد الثقافية الأخرى.

وعندما تم الاستغناء عنه، أشـــاع في القرية أن الحكومة تريد محو القرآن، بعدم تحفيظه في مدارســـها، ولذلك فصلـــوه من التدريس وهو حامل القرآن!

سيد في «كُتّاب» تحفيظ لمدة يوم:

وتأثر الناس بالإشاعة، وأخرج عدد كبير منهم أولادهم من المدرسة وأدخلوهم (كُتَّاب الشيخ) ليحفظوا القرآن. وراح الشيخ يُقنع باقي الآباء بضـــرورة التحاق أولادهم (بكُتَّابـــه)، وكان ممن مر عليهم والد ســـيد قطب، وقد حدثه بالأمر، ولم يتأثر بكلامه كثيراً... «ولكنه كان خجولاً

(١) طفل من القرية: ٣٥ ـ ٣٦.

ومجاملاً، فلم يود أن يَجرح شعور (سيدنا) ـ ابن سيده ـ ووعده بأن يكون الطفل منذ الصباح الباكر في (الكُتّاب)»[١].

ورغم معارضة والدته في هذا القرار الجديد، لأنها تعلق الآمال على بقائه في المدرسة، إلاّ أن والده وَعَدَ، وما يجوز أن يعود الرجال في وعودهم بحال!

واضطر سيد إلى الذهاب إلى كُتّاب الشيخ... «ولا يذكر أن قلبه الصغير قد عرف من قبل مثل الهمِّ الذي عرفه في ذلك اليوم، ولا أنَّ صدره قد ضاق وحرج واكتأب كاليوم أيضاً...»[٢].

ورغم أن الشيخ استقبله استقبالاً خاصاً، بالحفاوة والبشر والبشاشة، وأجلسه بجواره على فروته، إلاّ أن نفسه لم تنفتح لشيء، لأنه لم يجد في الكُتّاب ما يشرح صدره، وراح يقارن بين مدرسته الجميلة الأنيقة في كل شيء، وبين هذا الكُتّاب الذي يتصف بالوساخة في كل شيء[٣]!

عودته إلى المدرسة:

«على أية حال قد امتلأت نفسه اشمئزازاً من كل ما حوله، وأحس هناك بغربة مريرة ذليلة.. وحينما عاد إلى المنزل كان قد صمم على ألاَّ يعود أبداً إلى هذا المكان القذر، مهما أصابه من التهديد والتبكيت، وأسرَّ بهذه الرغبة الملحة إلى أمه فاغرورقت عيناها بالدموع»[٤].

---

(١) طفل من القرية: ٣٧ ـ ٣٨.
(٢) طفل من القرية: ٣٨.
(٣) انظر وصفه للكُتَّاب وما فيه في (طفل من القرية): ٣٨ ـ ٣٩.
(٤) المرجع السابق: ٣٩.

وذهب في اليـوم التالي إلى المدرسـة مبكـراً، وراح يقص على التلاميذ فيها ما شاهده في الكتّاب، وأخبر ناظر المدرسة بقصته، ورجاه أن يقنع والده ببقائه فيها، وهكذا كان!

وقد أثرت هذه الحادثة في نفسه كثيراً، وارتفعت المدرسة (بما فيها ومن فيها في عينه درجات، وآلى على نفسـه أن يكون داعية المدرسة المكافح دونها ضد الكُتّاب)[1].

وقد تزعم سيد قطب جبهة من تلاميذ المدرسة ضد أولاد الكتاتيب. جبهة للمفاخرة بكل شـيء، يفاخر ببناء المدرسـة وفنائها وأشجارها، وأواني الشرب فيها، ومقاعدها، والأدوات الكتابية التي تصرف للتلاميذ فيها، يفاخر أولاد الكتاتيب بهذا كله، ويقارن بينه وبين وضع كتاتيبهم السيء في هذا المجال[2].

سيد يتم حفظ القرآن في ثلاث سنوات:

والميزة التي تميز الكُتَّاب على المدرسة، هي أنه يهتم بتحفيظ القرآن، حيث يتخـرج التلاميذ منه يحفظونه.. ولم تكن المدرسـة تعنى بتحفيظ القرآن كله. وفكر سيد قطب ـ زعيم فريق المدرسة ـ في الطريقة التي تنتصر فيها المدرسـة على الكُتّاب في هذا الأمر. وقاده تفكيره إلى أن يحفظ هو القرآن!! وراح سيد قطب ـ بعصامية نادرة ـ يحفظ القرآن بنفسه، وجمع بين دروس المدرسة وواجباتها وبين حفظ القرآن ومراجعته: «وإنه ليرهق نفسـه وصحته المرهقة،

(١) المرجع السابق: ٤١، وهذا رد على من زعم أنه تلقى تعليمه في الكُتّاب، وأنه أثر كثيراً في حياته!

(٢) انظر: مقارنته بين المدرسة والكُتّاب في (طفل من القرية): ٤١ ـ ٤٣.

ويسهر إلى منتصف الليل، ليعيد في كل ليلة جميع ما سبق له حفظه من القرآن، وذلك بجانب الدروس الأخرى، فما يكتمل العام حتى يكون قد حفظ ثلث القرآن حفظاً جيداً، يباهي به من يتحداه»[١].

وأتم سيد قطب ـ بهمة عجيبة ـ حفظ القرآن كاملاً في ثلاث سنوات، ابتدأ حفظه وهو في السنة الثانية الابتدائية، وأتمه في نهاية السنة الرابعة الابتدائية، وراح يباهي به، ويتحدى طلاب الكتاتيب في إجراء المباريات بينه وبينهم، وكثيراً ما فاز عليهم، وأحس بنشوة جارفة بهذا الانتصار.

وزاد حب مدرسيه له ـ لحفظه القرآن ـ وارتفع في أعينهم درجات، كما ازداد حب أهله له، وبخاصة والدته التي كانت هذه هي أغلى أمانيها.

أنهى سيد قطب دراسته في المدرسة بعد أن أنهى السنة الرابعة، ولكنه ما يزال صبياً لم يكمل الحادية عشرة من عمره، وسنه هذا لا يؤهله لدخول مدرسة المعلمين، كباقي زملائه كبار السن، وكان يتمنى لو يكون في مثل سنهم ليتم قبوله!!

أمضى ست سنوات في المدرسة:

ولكن سيد لم يغادر المدرسة بعد أن أنهى السنة الرابعة، إذ «كم كان شاقاً على نفسه أن يغادر وطنه هذا الصغير، وأن يبتعد عن رفاقه ولداته الذين يحبهم ويحبونه.. وكم كان عزيزاً على المدرسين أن

---

(١) طفل من القرية: ٤٣ وهذا رد آخر على من زعم أنه حفظ القرآن في الكُتّاب.

يفرطوا فيه، وهو حجتهم الأولى على نجاح المدرسة في تحفيظ القرآن... وما كان أسرع ما احتالوا لذلك فقيدوا اسمه في السنة الرابعة بعد مضي شهر من العام التالي على أنه مستجد! وهكذا عاد إلى المدرسة الحبيبة ليقضي بين جدرانها عاماً آخر»[١].

دخل سيد المدرسة عام ١٩١٢م ـ لأنه كان في السادسة من عمره ـ، وتخرج منها عام ١٩١٧م، إذ بقي فيها خمس سنوات، وقد كان عمره أحد عشر عاماً، وكان الأصل أن يغادر القرية إلى القاهرة لإكمال دراسته، ولكنه لم يتمكن من ذلك، لأن ثورة الشعب عام ١٩١٩م قد اشتعلت نيرانها، وانقطعت بسببها المواصلات، وكان عليه أن يبقى في القرية حتى تهدأ الثورة، وتعود الأمور إلى حالتها الطبيعية.

بقي سيد في القرية ثلاثة أعوام، وغادرها إلى القاهرة عام ١٩٢١م وكان عمره آنذاك أربعة عشر عاماً[٢].

هذا عن دراسته النظامية في مدرسة القرية.

ولكن سيد قطب لم يكتف بهذه الدراسة النظامية، بل زاد عليها، حيث راح يثقف نفسه بنفسه، فها هو قد أتم حفظ القرآن في ثلاث سنوات، وعمره لم يتجاوز العاشرة، وقد أفاده حفظ القرآن كثيراً ـ وبخاصة وهو في هذه السن المبكرة ـ إذ اتسعت آفاقه، وازدادت ثقافته، وقُوِّمَ لسانه، وقوي بيانه، وحسن أسلوبه، وشَفَتْ روحه، وتفتحت مداركه، وقد ترك ذلك أثراً واضحاً على شخصيته ونفسيته وأسلوبه فيما بعد.

---

(١) طفل من القرية: ٤٥.

(٢) طفل من القرية: ٢١٧.

سيد يقرأ الكتب في القرية:

وأضاف سيد قطب إلى ثقافته المدرسية وحفظ القرآن، ثقافته الخاصة، والتي دفعه إليها حبه للقراءة، واهتمامه بشراء الكتب، إذ كان يأتي إلى قريته (عم صالح) حاملاً معه كتباً متنوعة الموضوعات والاتجاهات، ففيها قصص العرب كأبي زيد والزير سالم، ومنها كتب التراجم والسيرة، ومنها كتب البطولة، والكتب الدينية، والكتب البوليسية، وكتب الثقافة العامة، وكتب السحر والتنجيم والتمائم والتعاويذ[1]. وكان سيد قطب (زبوناً) ممتازاً عند (عم صالح)، وكان هذا الأخير يحتفظ له بأجود الكتب وأغلاها قيمة، فإذا عجزت ميزانيته عن شراء كتاب استعاره منه مقابل أجرة، أو طلب منه أن يحتفظ له به، إلى أن يوفر ثمنه!!

فإذا غادر (عم صالح) القرية، حدثت فيها حركة ثقافية، حيث يتبادل سيد مع زملائه التلاميذ المثقفين الكتب التي اشتروها، فما ينتهي الموسم إلا ويكون سيد قد قرأ جميع الكتب الموجودة في القرية.

وبعد أن كثرت عنده الكتب، صنع لها مكتبة ضخمة!! حيث ملأت صفيحة كاملة!! وقد حوت مكتبته كتباً عديدة، ذات مواضيع مختلفة، ومن بين الكتب التي ضمتها، كتاب أبي معشر الفلكي في التنجيم، وكتاب شمهورش في السحر!

سيد يعمل في قراءة الطالع ومعرفة الحظوظ:

وقد ضمن له هذا الكتابان (شهرة ذائعة وصيتاً كبيراً ـ على صغره ـ في بيوت القرية، وعند كثير من نسائها خاصة، وكذلك عند فريق من

---

(١) المرجع السابق: ١٢٧ ـ ١٢٩.

الشـــبان)[١]. و«كان يحضر من المدرسة فيجد كثيراً من التوصيات لطلبه من عدة بيوت، وبعضها كان يرســـل رسولاً يترقبه ليحضر به، وبخاصة بعد أن عرف الجميع أنه (مشـــغول) بالكثير من هذه الدعوات، والحق أنه كان يحس بنشـــوة عجيبة والطلبات تتوالى عليه، والأبواب جميعها تفتح له»[٢]. وكان عمله في البيوت هو قراءة الطالع، ومعرفة الحظوظ، وعمل الرقي للمحبة بين الأزواج.

وبهذا اشتهر سيد قطب (بالكتب وبالقراءة في أوساط المثقفين بالقرية، فارتفع في أعينهم درجات، وأخذ الجميع يتنبئون له بالمستقبل الزاهر!»[٣].

سيد ينسخ الكتب المهمة:

وقـــد تمتع ســـيد قطب بهمـــة قوية، وجلـــد عجيب علـــى القراءة والاطلاع، سواء كتب المدرسة ودروســـها، أم الكتب الثقافية الخارجية التي كان يستعيرها أو يشتريها، وقد أكسبه هذا محبة مدرسيه وتقديرهم له، فتوقعوا نبوغه... وكان من هؤلاء ناظر المدرسة الذي أُعجب بذكائه، ولفت نظرَه معلوماتُـــه وثقافتُه، فأعـــاره كتابين أحدهمـــا كتاب تاريخ لمحمد الخضري، والثاني ديوان لشاعر وطني يسمى ثابت الجرجاوي، وكانـــا جديدين عليه، إذ لم يوجد في مكتبته مثلهما، ولم يســـبق له أن قرأ كتاباً بموضوعهما، وقد قرأهما في وقـــت، كانت الروح الوطنية قد استيقظت في نفوس أبناء الأمة، وفي نفسه هو كذلك، فأُعجب بهما، إذ وجد فيهما كلاماً يغذي هذه الروح، التي اســـتيقظت على الجو العائلي

---

(١) المرجع السابق: ١٣٩.

(٢) المرجع السابق: ١٤١.

(٣) المرجع السابق: ١٣١.

الذي يعيش فيــه ـ حيث تعقد في بيته الاجتماعات السياســية ـ وعلى الجو العام الذي كان مليئاً بتيارات وطنية خفية تســتعد للانفجار، تلك التي سبقت ثورة عام ١٩١٩م.

وبما أنه وجد فيهما هــذه المادة، فقد تصور أنه لا يوجد لهما نظير، وأن صاحبهما ـ الناظر ـ لــن يمنحهما له، لذلك احتفظ بهما في صورة أخرى عجيبة (جمع من جميع كراساته في الســنوات الماضية الأوراق البيضاء منها، فصارت له كراســة ضخمة من الورق الأبيض، أما المداد والأقلام فموجودان... وأخذ في صبــر ودأب عجيبين ينقل الديوان بيتاً بيتاً إلى هذه الكراسة، وينقل مقدمة كتاب التاريخ الأثرية... وإنه ليعجب اليوم لنفسه كيف استطاع أن ينهض بهذا العمل، ولكن الأعجب منه أنه حفظ هذا الديوان حفظاً جيداً، وظل يذكره بعدها سنوات وسنوات)[٤].

تدلنا هذه الحادثــة على همته واجتهاده، وجــده ومثابرته، وذاكرته العجيبة، كما تدلنا على اهتماماته الوطنية التي رافقته منذ الطفولة.

ولن ننسى مشاركة سيد قطب والده ببعض أعماله السياسية، حيث كان يقرأ الجريدة اليومية للذين يحضرون إلى منزله، ويشارك في بعض الاجتماعات السياســية التي تعقد في بيته، كما لن ننســى مشاركته في الثورة التي قامت في طول البلاد وعرضها بخطب من إنشــائه، وشــعرٍ من نظمه، وهو لم يكد يتجاوز العاشرة[٥]!

* * *

(٤) طفل من القرية: ١٤٩.

(٥) المرجع السابق: ١٥١.

المبحث الثاني
دراسته في دار العلوم

بعد أن تخرج سيد قطب في مدرسة القرية في السنة الحادية عشرة من عمره ـ وكان ذلك عام ١٩١٧م ـ وجهته والدته للدراسة في القاهرة. وكان عليه أن يسافر إليها، ولكن الظروف اضطرته أن يبقى في القرية ثلاثة أعوام أخرى. وذلك بسبب الثورة التي عمت البلاد، وانقطعت بسببها المواصلات، واضطربت الأحوال، تلك هي ثورة الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٩م، والتي اشترك فيها سيد قطب بجهده المتواضع في القرية[١].

وبعد أن أخمدت الثورة، وفي عام ١٩٢١م، غادر سيد قطب القرية إلى القاهرة وكان عمره إذ ذاك يزيد على أربعة عشر عاماً.

وقد أحيطت رحلته إلى القاهرة بهالة فخمة: «وكان كل شيء حول رحلة الفتى يوحي بأن له مهمة عظيمة: حتى لكأنه ذاهب إلى فتح عكا...!»[٢] وغادر القرية بصحبة أحد أقربائه الذي يدرس في كلية الحقوق. غادرها وسط دموع والديه، وحزنهم الشديد على فراقه.

نزل سيد قطب في القاهرة، في بيت خاله (أحمد حسين عثمان) وكان قد تخرج من الأزهر، واشتغل بالصحافة والتدريس، وكان يكتب في الصحف بتوقيع (أحمد الموشي) نسبة إلى قريته (موشة) وكان يسكن في ضاحية الزيتون، إحدى ضواحي مدينة القاهرة[٣].

---

(١) المرجع السابق: ٢١٧.

(٢) المرجع السابق: ٢١٨.

(٣) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

سيد طالب في مدرسة المعلمين:

التحق بمدرسة المعلمين الأولية في القاهرة عام ١٩٢٢م، وكان لا يلتحق بهذه المدرسة إلا من تجاوز الخامسة عشرة من عمره[١]. وكانت الدراسة فيها ثلاث سنوات، يتخرج الطالب بعدها، ليعمل مدرساً في المدارس الحكومية، وكانت شهادتها تسمى (الكفاءة) وهي تعادل الدراسة الإعدادية أو المتوسطة في الوقت الحاضر.

لم يكتف سيد قطب بهذه الشهادة التي حصل عليها، ولو أراد أن يعمل بعدها مدرساً في المدارس، وأن يحصل على راتب حكومي دائم ـ وبهذا يحقق أمنية أمه التي أعدته لهذه المهمة ـ لتم له ذلك، ولكنه وجد في نفسه رغبة في الاستزادة من العلم والدراسة، وطموحاً إلى ما هو أعلى وأسمى، وكان لا بد أن يستكمل دراسته.

سيد طالب في تجهيزية دار العلوم:

التحق في عام ١٩٢٥ في (تجهيزية دار العلوم، وهي مدرسة خاصة بكلية دار العلوم، تؤهل الطالب فيها للدخول في الكلية، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، ويتلقى الطالب فيها منهجاً دراسياً، يعتبر مقدمات للموضوعات التي تدرس في الكلية، من أدب وجغرافيا وعلوم وتربية وغيرها.

درس فيها سيد قطب أربع سنوات، وتخرج منها عام ١٩٢٩م[٢].

---

(١) طفل من القرية: ٤٤.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

سيد طالب في كلية دار العلوم:

التحق في عام ١٩٢٩م في كلية دار العلوم، وبقي فيها أربع سنوات، حيث تخرج منها عام ١٩٣٣م، وكان عمره سبعاً وعشرين سنة، وقد حصل منها على شهادة الليسانس في الآداب، مع دبلوم في التربية.

درس فيها علوم العربية، من نحو وصرف وعروض وبلاغة وأدب ونقد، وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه، كما درس التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم التربية، والرياضيات والفيزياء والفلسفة[١].

ورغم هذه الدراسات المتنوعة التي تلقاها سيد في الكلية، إلا أنها لم تشبع نهمه إلى العلم والثقافة، ولم تلب حاجاته وأشواقه، وكان حانقاً على هذا المنهج، ويرى أن كلية الآداب التابعة لجامعة القاهرة أفضل منها، وتُقدم زاداً خيراً منها، يحدثنا عن هذا قائلاً: «لقد كنت وأنا طالب شديد الحنق على دار العلوم، شديد النقمة على تقصيرها في حق الثقافات الأدبية، وكنت أتخيل أن هناك على الضفة الأخرى للنيل[٢] وفي مدرجات الجامعات عالماً آخر من الثقافة الواسعة، وكان هذا التخيل يزيد نقمتي على المدرسة التي لا تلبي حاجة نفسي... ومضت أيام واختلطتُ بأبناء الضفة الأخرى، وقرأتُ ما يكتبون، فالحق أقول لك يا دكتور[٣] لقد علمت أنني ظالم لنفسي ولمعهدي، وقد هدأتْ ثورتي وزالت حدتها[٤].

---

(١) مع سيد قطب لفضل الله: ٤٦.

(٢) تقع كلية الآداب في الجيزة على ضفة النيل الغربية، وتقع دار العلوم على ضفته الشرقية.

(٣) الدكتور طه حسين.

(٤) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٦٥.

كان من أساب عدم رضاه عن ثقافة دار العلوم تقصيرها في تدريس اللغات الأجنبية (لا يحسب أحد أننا راضون كل الرضا عن ثقافة دار العلوم، فلا ريب أن جهل المدرس باللغة الأجنبية يقص أجنحته عن التحليق، وعن متابعة آخر البحوث العلمية والنفسية لتجديد نفسه ومعلوماته). (ولا ريب كذلك أن دراسة الأدب ناقصة في هذه المدرسة، ومثلها دراسة التربية وعلم النفس)[1].

سيد يقدم مقترحات للمنهاج الدراسي في الكلية:

ولم يكتف سيد قطب بإعلان عدم رضاه عن مناهج الدراسة في الكلية، وإظهار حنقه عليها، وإنما خطا خطوة إيجابية عملية، وكانت خطوة عجيبة حقاً، أن تصدر منه وهو الطالب في الكلية، الخاضع لهذه المناهج، تمثلَتْ هذه الخطوة في ما حدَّثنا هو عنها قائلاً: «ولقد سبق لي أن صرحت بها وأنا طالب في المدرسة منذ ست سنوات، وقد قدمت بها اقتراحات، ضمنتها برامج كاملة للدراسة بالمدرسة إلى صاحب العزة ناظرها، واقترحت أن تكون المدرسة تجهيزية خاصة، تدرس بها اللغة الإنجليزية منذ أول سنة، وتتوسع في دراسة العربية وعلوم الدين، فتهيء بذلك للقسم العالي، على أن تستمر دراسة الإنجليزية في هذا القسم، ويتوسع في دراسة اللغة العربية وفي علوم التربية، ويخلق درس النقد الفني بجانب تاريخ أدب اللغة الذي يدرس الآن، وتزاد سنوات الدراسة بالقسم العالي إلى ست سنوات، تنتهي بتقديم رسالة، ويستقل مجلس إدارتها بتسيير نظامها»[2].

---

(١) المرجع السابق: ٦٣.

(٢) المرجع السابق: ٦٤.

ولقد كانت مقترحات جريئة جداً، وإنْ لم يؤخذ بها، إلا أنها زادت من اعتباره في نفوس مدرسيه.

لم يكن سيد قطب في دار العلوم مجرد طالب عادي كباقي زملائه الطلاب، وإنما كان قوة وحيوية ونشـــاطاً، وتفكيـــراً وتخطيطاً، وانكباباً على البحث والمطالعة، وجرأة وشجاعة نادرتين.

نشاطه الأدبي والنقدي وهو طالب في الكلية:

كان سيد قطب معروفاً أثناء دراسته في الكلية بآرائه النقدية، حيث كان يتزعم الجماعـــات الأدبية التي ترى رأيه، مـــن ذلك رأيه في أدب وأســـلوب مصطفى صادق الرافعـــي، الذي يذكره لنا زميلـــه في الكلية محمد وفيق اللبابيدي قائلاً: (أنا أعرف رأي الأخ قطب في الرافعي من قبل، وأعرف أنه رأي غير تقليدي، فلقد كنت فـــي دار العلوم، وكانت حلقة الإخوان تضم قطباً، وكنا دائماً على طرفي نقيض، فجماعة منا مع الرافعي وأخرى عليه، وكان على ما أذكر الأخ قطب لسانها)[1].

كما عُـــرف بإنتاجه المتعـــدد الجوانب، كالشـــعر، وكتابة المقالات الأدبية، أو النقدية، أو التربوية، أو الاجتماعية، والتي كان ينشـــرها في الصحف والمجلات، وعُـــرف بمحاضراته التي كان يلقيها في المجامع الأدبية، وببحوثه التي أعدها، أو في طريقه إلى إعدادها.

وكان محبوباً من قبل الطلاب والمدرســـين فـــي الكلية، حيث نال إعجاب الجميع.

---

(١) الرسالة السنة السادسة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٢٦١ صفحة ١١٠٥.

سيد مع صديقيه عتيق والعمروسي:

ومن أعز أصدقائه الذين درسوا معه في الكلية الدكتور عبد العزيز عتيق وفايد العمروسي، وجمعَتْ بين الثلاثة صداقة متينة، وعاشوا معاً حياة أدبية متصلة، وهم بعد طلاب في الكلية، وبعد أن تخرجوا منها[١].

وكان الثلاثة شعراء مبدعين، ويشعرون أنهم متميزون فنياً عن باقي زملائهم، وأن عندهم من المواهب ما ليس عند غيرهم، فكانوا لا يفارقون بعضهم، يجلسون معاً يستمع بعضهم قصائد بعض ويتندرون على غيرهم[٢].

وعندما نشر عبد العزيز عتيق أول ديوان له عام ١٩٣٣م وكان لا يزال طالباً في الكلية وهو (ديوان عتيق) قدم له سيد قطب مقدمة جيدة، بيّن فيها أنه أعرف الناس بشخصية صاحب الديوان، وبتصرفاته في الحياة، وبأفكاره وخواطره ودراسته[٣]. وعندما نشر سيد قطب أول ديوان له (الشاطئ المجهول) عَرَّفَ به صديقه فايد العمروسي، وحلله تحليلاً جيداً في مجلة دار العلوم[٤].

نعرف من أبحاث سيد قطب وهو طالب في الكلية، بحثَه الذي أعده وألقاه محاضرة فيها، وهو في السنة الثالثة، ثم نشره تحت عنوان (مهمة الشاعر في الحياة وشعراء الجيل الحاضر) وهو أول مؤلف طبع له، وقد اعتبره مقدمة لبحث كامل في موضوعه (مهمة الشاعر في الحياة)[٥].

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) انظر: المقتطف، المجلد الثمانون ـ الجزء الخامس ٢١ مايو ١٩٣٢م صفحة: ٦٢٦.

(٣) الرسالة: السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٩٧ ـ ص١٠٨٦.

(٤) دار العلوم ـ السنة الأولى ـ العدد الرابع: ٢٢٠ ـ ٢٢٥.

(٥) مهمة الشاعر في الحياة: ٧.

سيد يعد البحوث وهو طالب في الكلية:

وقد كان عنده وهو ما زال طالباً في السنة الثالثة في الكلية عدد من البحوث جاهزة للطبع، (وإذا كانت الظروف لا تهيء اليوم إلا طبع هذا المبحث الصغير دون غيره مما بين يدي، فأنا أطمع في فرصة قريبة أكثر توفيقاً)[١]. وهذه البحوث الجاهزة للنشر، والتي أعدها وهو ما زال على مقاعد الدراسة، تدلنا على ما تمتع به سيد قطب من همة عالية، ودأب متواصل، وصبر على معاناة البحث، كما تدلنا على نتاجه الغزير المختلف الموضوعات، وقد وعد بإخراج بحث جديد عن شوقي بعد أن اختلف مع أستاذه محمد مهدي علام، حول شاعريته: (وإن كان رأيي في شوقي كله، بعد دراسة كاملة شاملة لكل ما أنتجه!![٢] لا يختلف كثيراً عن تعليقي على الأمثلة المختارة. وبهذه المناسبة أعِدُ بأنْ أكتب نتيجة دراستي لشوقي في محاضرة أو كتاب آخر، يتسع للبحث والدراسة والاستقصاء، ويكون رأيي إذ ذاك مؤيَّداً بكل ما أنتجه شوقي بلا استثناء).[٣] وهذا يدلنا على قدرة سيد قطب العجيبة على التفكير في البحوث واختيارها، وأخذ نفسه بالشدة والعزيمة، حتى ينتهي من إعدادها.

ثناء أستاذه مهدي علَّام عليه:

كان سيد قطب موضع إعجاب وتقدير أساتذته وزملائه الطلاب في الكلية، ومن أساتذته الذين عرفناهم الدكتور مهدي علَّام، أستاذ التربية

---

(١) المرجع السابق: ٧.

(٢) درس شوقي دراسة شاملة، واطلع على كل نتاجه، ونقده وقوَّمَه وهو ما زال طالباً في السنة الثالثة في الكلية.

(٣) مهمة الشاعر في الحياة: ١١. ولكنه عدل عن نشره، وكم من البحوث أعدها للنشر ثم عدل عنها في آخر لحظة!

في الكليـــة، وكان معجباً بتلميـــذه إلى حد كبير، فقد قـــال في تقديمه لكتاب (مهمة الشاعر في الحياة): «ولئن كنتُ قد قدمتُ المحاضر (سيد قطب) بأنّه طالب، يســرني أن يكون أحد تلاميـــذي، فإنني أقول اليوم ـ وقد ســمعت محاضراته ـ أنه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سروراً وقناعة، واطمئناناً إلى أنني ســأُحَمِّلُ أمانة العلم والأدب من لا أشك في حسن قيامه عليها»[1].

وقد ذكر الدكتور علّام في تقديمه أن من أســباب محبتهم لسيد وتقديرهم له: قوة شــخصيته، وجرأته في قول مــا يعتقده، حتى لو خالف فيه أســاتذته، قال: «يعجبني في كاتب هذه المحاضرة جرأته الحازمة التي لم تَسفَهْ فتصبح تهوراً، ولم تذلَّ فتغدو جبناً، وإن هذه الجرأة الرشيدة التي دعته إلى الاستقلال بالرأي في بحثه ـ حتى ولو خالَفَنا في بعض ما نعتقده من الآراء الأدبية ـ لهي التي تجعله أحب إلى قلوبنا)[2].

وبعد أن أشــار إلى تواضع ســيد قطب، ختم الدكتور عــلَّام تقديمه بقولــه: «وقصارى القراء أن أقــول لهم: إنني أَعُدُّ ســيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم، وإذا قلت دار العلوم فقد عنيت دار الحكمة والأدب»[3].

نشاطه السياسي والاجتماعي وهو طالب في الكلية:

لم تكن اهتمامات ســيد في دار العلوم اهتمامــات أدبية أو ثقافية فقط، فقد كان له نشاط بارز في المجالين السياسي والاجتماعي! ونشير

(١) المرجع السابق: ٩.
(٢) المرجع السابق: ٩ ـ ١٠.
(٣) المرجع السابق: ١٠.

إلى واحد مما قام به في هذه الفترة. فعندما افتتحت الحكومة المغربية سفارة لها في مصر عام ١٩٣٨م، وعينت المكي الناصري سفيراً لها. قال سيد قطب «ولقد كان لي من قبل حظ معرفة الرجل الوطني العامل، الذي يشرف اليوم على بيت المغرب بأقسامه الثلاثة، إذ كان يدرس بمصر عام ١٩٢٩م، وكانت وجهتنا إذ ذاك مع نخبة من أكرم الإخوان المصريين والشرقيين أن نؤلف جمعية للطلبة من هؤلاء وهؤلاء، تُمكن من الروابط بين الجميع، وتعمل للمستقبل في توثيق العلاقات، وتسهل للطلبة الشرقيين وسائل العلوم والراحة في مصر.

وكان الأستاذ المكي الناصري أشدَّ المتحمسين للفكرة، وكنا نجتمع ـ غالباً ـ في داره للمباحثات في تحقيق هذا الأمل الكريم»[1].

* * *

(١) الرسالة ـ السنة السادسة ـ المجلد الثاني: عدد ٢٨٢، صفحة: ١٩٣٧.

المبحث الثالث
سيد قطب في وزارة المعارف

عمل سيد قطب فور تخرجه من دار العلوم في وزارة المعارف، مدرساً في مدارسها، واستمر في التدريس ست سنوات: سنة في بني سويف، وأخرى في دمياط، وسنتين في مدارس القاهرة، واستقر في السنتين الأخيرتين في مدرسة حلوان الابتدائية، في ضاحية حلوان إحدى ضواحي القاهرة، وهي الضاحية التي استقر فيها مع إخوته فيما بعد.

ولم ينقطع وهو في التدريس في بني سويف ودمياط والقاهرة، عن مراسلة المجلات الأدبية، ونشر مقالاته وقصائده فيها.

انتقل بعد التدريس موظفاً في الوزارة، حيث عمل في التفتيش فترة قصيرة، ثم في مراقبة الثقافة العامة، وبقي في عمله فيها مدة ثماني سنوات، من عام ١٩٤٠م إلى عام ١٩٤٨م، حيث أوفدته الوزارة إلى أمريكا[١].

أثناء عمله في مراقبة الثقافة، أسندتْ إليه الوزارة أعمالاً أخرى، عرفنا منها انتدابها له للتفتيش في الصعيد لمدة شهرين[٢]، وانتدابه سكرتيراً فنياً للجنة الاستشارية للكتب والمجلات في الوزارة[٣].

بعد عودته من أمريكا عمل مع المستشار الفني للوزارة، وكان بالإضافة إلى عمله في الوزارة، يلقي محاضرات في كلية دار العلوم، ثم انْتُدب للتدريس في الكلية[٤].

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٨١: ٧٩٦.

(٣) مجلة الكتاب. المجلد الثالث: ٣٣٤.

(٤) أثبت هذا الأستاذ يوسف العظم في دراسته عن سيد قطب.

وبعد قيام الثورة بقليل استقال سيد قطب من وزارة المعارف نهائياً، لأنه لم يتمكن من العمل فيها وسط جوها الكئيب، ولأنه وُوجه بحرب شرسة من قبل أعوان أمريكا في الوزارة، حيث خيب ظنهم في بعثته لأمريكا.

تقديمه المقترحات ووضعه الخطط للوزارة:

لم يكن سيد قطب في الوزارة مجرد موظف عادي، يقوم بوظيفته بطريقة روتينية، وإنما كان المفكر الجريء، يفكر بعمل الوزارة ومناهجها ووسائلها، ويضع الخطط التي يراها لمسيرتها، ويقوم بالدراسات، ويعدُّ التقارير، ويقدم المقترحات، يقوم بهذا كله في جرأة وشجاعة، ولو أدى إلى غضب رؤسائه، إذ لم يكن همه كسب رضاهم والتزلف إليهم، والحرص على الترقيات والزيادات، وإنما كان همه قولَ ما يرى أنه الحق، والاهتمامَ الجدي بعمله، والتفكيرَ المضني في رفع مستوى الأجهزة في الوزارة، وتحسين خدماتها.

من تلك المقترحات التي قدمها، المقترحات التي أشرنا إليها عند حديثنا عن دراسته في دار العلوم، والتي قدمها إلى إدارة الكلية، حيث بقي مصراً عليها حتى بعد أن عمل في الوزارة[1].

ومنها معارضته لفكرة طه حسين في تكثيف اللغات الأجنبية للطالب في المرحلة الابتدائية والإعدادية، والتي يعزوها إلى (الثقافة الفرنسية التي ثقفها الدكتور واكتظاظ البرنامج الفرنسي بالمواد) وقدم البرنامج الذي يراه بقوله: «وأنا شخصياً أنكر كل برنامج يكلف التلميذ

(١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٦٤ وصفحة ١٢٠ من هذا الكتاب.

من السابعة إلى سن العاشرة أن يشتغل بالدراسة النظرية أكثر من أربع ســاعات في اليوم بحال من الأحوال، وأنكر كل برنامج يكلفه من سن الحادية عشرة إلى السادســة عشرة أكثر من ست ســاعات. أما ما عدا ذلك، فللرياضة البدنية وللفنون الحرة وللقراءة الشخصية»[1].

ومنهــا اقتراحاتــه التي قدمها لإصــلاح دروس البلاغــة والصرف والإملاء[2].

ومنها مشــروع الترجمة الذي أَعَدَّه وقدمه للوزارة، حيث وضع فيه خطة عامة للترجمة، وقد اهتمتْ به فترة من الوقت، ثم أغفلته[3].

ومنها اقتراحه الذي قدمه للوزارة بخصوص مكتبات المدارس: (لقد اقترحتُ مرة على وزارة المعارف أن تزيل الغبار عن سمعتها في أسواق الوراقين، وهي سمعة لا يســر الوزارة أن تعرفها، ورائحة لا يريحها أن تشمها، لقد اقترحتُ عليها أن تنشئ أَلْفَ مكتبة فرعية صغيرة في المدن والقرى الكبيرة، ولا يكلف إنشاءُ الواحدة منها أكثر من مائة جنيه). وقد فصل اقتراحه بشــكل يضمن للكتاب الجيد الرواج، وذكر أسباب عدم الأخذ به: «لأنه يَحرم بعض دور النشــر المحظوظة من الاستيلاء على أكبر مبلغ مــن ميزانية الكتب في وزارة المعــارف، ويَحرم بعض ذوي النفوذ مــن الاتجار بنفوذهم في ســوق الوراقيــن، ويَحرم بعض ذوي الشفاعات من المؤلفين أن يستمتعوا بالربح الحرام»[4].

---

(١) نقد مستقبل الثقافة في مصر: ٥٠.

(٢) المرجع السابق: ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الأول: عدد ٦١٨: ٤٦٦.

(٤) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الأول: عدد ٩٤١: ١٦ يوليو ١٩٥١م: ٧٩٩.

وفي عام ١٩٤٣م أرسـلته الوزارة إلى الصعيد في مهمة تفتيشـية، وطلب منه رئيسه ـ المستشار الفني للوزارة ـ الدكتور طه حسين أن يقدِّم عند عودته «تقريراً شـاملاً عن دراسـة اللغة العربية في المدارس على اختلافها» وأن يفصل اقتراحاته «في إصلاح هذه الدراسـة بصفة عامة»[١]. وعندما عاد قدَّم تقريره الشـامل، ورسم فيه خطة لتغيير دراسة اللغة العربية، ووضع أسساً سليمة لتقوم عليها من جديد، ولكن تقريره رُفض، وفشلت الخطة[٢].

وفي عـام ١٩٤٧م قَدَّم إلى وزيـر المعارف الدكتـور عبد الرزاق السنهوري خطة شـاملة لتغيير نظام دراسة التاريخ كي يقام على أساس سليم، وفشلت الخطة[٣].

وعندما أوفدته الوزارة إلى أمريكا عام ١٩٤٨م ليدرس نظام التعليم هناك، في مختلـف الجامعات والمعاهـد، وبعد أن عاد للـوزارة قام بمحاولات لإصلاح جهازها، أشار إلى بعضها قائلاً: «ألم أحاول عشرين مرة ـ بعد عودتي من البعثة إلى أمريكا ـ أن أنشـئ لـوزارة المعارف إدارة فنيـة صحيحة، تقيِّم نظم التعليم ومناهجه على أسـاس سـليم، ففشـلت في هذه المرات فشـلاً ذريعاً، لأن المراد في هـذه المرة كان إصلاحاً في الصميم»[٤].

(١) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني: عدد ٦٨١: ٢٢ يوليو ١٩٤٦م: ٧٩٦.
(٢) الرسالة ـ السنة العشرون ـ المجلد الأول: عدد ٩٩٥ تاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٢م. صفحة ٨٣٧.
(٣) الرسالة ـ السنة العشرون ـ المجلد الأول: عدد ٩٩٥ تاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٢م. صفحة ٨٣٧.
(٤) الرسالة ـ السنة العشرون ـ المجلد الأول: عدد ٩٩٥ تاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٢م. صفحة ٨٣٧.

استقالته من الوزارة:

ويبدو أن لفشله في هذه المقترحات التي قدمها، ارتباطاً مباشراً في استقالته من الوزارة في آخر الأمر، حيث وَجه اتهامه إلى كبار الموظفين في الوزارة، ومما جاء فيه: «إن التعليم لكي يؤدي مهمته هذه يحتاج إلى تعديله من أساسه... ومما يؤلم النفس أن هذا التعديل لا يحتاج إلى مال غير الذي ننفقه، وقد لا يحتاج إلى رجال غير الذين يزاولون اليوم مهمة التعليم، ولكنه يحتاج فقط إلى إيمان بهذا التعديل الشامل، وإلى عقليات قليلة ناضجة، تشرف على التنفيذ، أم لعلني أمام عقدة العقد؟ وأنا أحسبها من الهين اليسير؟؟» ثم يحدد تهمته قائلاً: «لقد أفلح الاستعمار في تطعيم عقلية وزارة المعارف بالميكروب الثابت... إنه يبدو دائماً في صورة كبار الموظفين!!»[1].

حتى المعاهد الثقافية التابعة للوزارة في الخارج فشلت في أداءِ مهمتها، وقد ضرب سيد قطب مثالاً عليها «المعهد الثقافي المصري في لندن، فإنه ما يزيد على أن يعلم اللغة العربية لبضعة عشر يهودياً، معظمهم قد اشتغلوا فيما بعد جواسيس على العرب في حرب فلسطين، وبضعة عشر إنجليزياً ممن يعدون أنفسهم لخدمة الاستعمار الإنجليزي في الشرق العربي! وهذه المهمة تستغرق جهود رجل مصري مثقف كالدكتور عبد العزيز عتيق، كم كانت إحدى كليات الجامعات المصرية في حاجة إليه هنا لاستكمال أساتذتها!!»[2].

---

(١) الرسالة ـ السنة العشرون ـ المجلد الأول: ٩٩٥: ٢٨ يوليو ١٩٥٢م. صفحة ٨٣٧.

(٢) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الثاني: عدد ٩٦٥ تاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٥١م. صفحة ١٤٧٠.

لم يرض عن سياسات الوزارة:

لم يكن سيد قطب وهذه شـخصيته، وهذه مواقفه، وهذه مقترحاته ودراساته وتقاريره، وهذه محاولاته ومشاريعه، لم يكن بهذا كله ليُرضي رؤسـاءه في الوزارة، كباقي زملائه الموظفين، وبخاصـة إذا علمنا أنه كثيراً ما يتغيـر وزراء المعارف بتغيير الـوزارات، حيث يأتي وزير من حزب آخر غير الوزير السـابق، فيتنافس كبار الموظفين إلى كسب ود الوزير الجديد باعتناق مبادئه، أو التزلف إليه.

وهكـذا يُجهـدون أنفسـهم فـي علاقاتهم مـع هؤلاء الـوزراء المتشاكسـين!!، وقل مثلَ هذا في علاقة كبار موظفـي الوزارة بصغار الموظفين.

ولكن سـيد قطب الـذي تأنف نفسـه مواقف الذلـة والهوان، أو التزلف والتذبـذب، أو تغييـر الآراء بتغير الظـروف، والذي تميزت شخصيته بالقوة والشجاعة والجرأة والالتزام، سيد قطب بهذه الصفات أسخط عليه رؤساءه، وتميزت علاقته معهم بالمشاكسات، وجَرَّتْ عليه ـ هذه الصفـات ـ كثيراً من المضايقـات!! وكان يتقبلها بارتياح، لأنها ضريبة العزة والشجاعة!!

كما كان للمقالات السياسـية التي يكتبها في الصحف والمجلات أثر على صلته برؤسائه، حيث إنه موظف رسمي، والموظف يُحظر عليه الكتابة السياسـية، وإبداء رأيه في القضايا الوطنية، ولذلك وجهوا إليه إنذارات لكتابته تلك، وأثبتوها في إضبارته[1].

---

(١) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني: عدد ٦٨١ تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م. صفحة ٧٩٦.

نفيه إلى الصعيد باسم التفتيش:

ففي إبان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣م، جَرَّتْ عليه صفاته التي ذكرناها ومقالاته السياســية التي كتبها، غضب وزير المعارف آنئذ، وقال: «لا بد أن يُفصل هذا الموظف، أو ينفى من الأرض، أو يشرد فيها، وحدد التهمة بأنه يعمل لحســاب المعارضة، وأنه يتحــدث لأصدقائه عن بعض الوزراء منتقداً لهم، وأنه أداة لخطة حزبية ضد الحزب الحاكم، كما أخبرَتْه بذلك إدارة الأمن العام» بالإضافة إلى كتابته السياسية في المجلات، وأمام تهمة الوزير وقراره، قرر سيد قطب أن يستقيل من الوزارة، لأنه لن يخضع لأهواء الوزراء، ولم يقلع عن الاســتقالة إلا بعد إلحاح من رئيسه المباشر الدكتور طه حســين، الذي تمكن من إقنــاع الوزير بالعــدول عن قراره، والاكتفاءُ بنفي سيد قطب إلى الصعيد لمدة شهرين، تحت شعار التفتيش، فهو يقوم بجولة تفتيشية في الظاهر، بينما هو منفي في الحقيقة[١].

هذه الحادثة التي كشف سيد قطب النقاب عنها، واحدة من حوادث عديدة مشــابهة، لم نطلع عليهــا، تبين علاقتــه بالوزراء مــن ناحية، وبرؤسائه المباشرين من ناحية أخرى، كما تبيّن أي موظف كان!!

كذلك إيفاده فــي بعثة إلى أميركا، لم يكن فــي الحقيقة إلا عملية سياسية للتخلص منه[٢].

* * *

---

(١) انظر تفصيل هذه الحادثة في (الرسالة) السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني: عدد ٦٨١ تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م: ٧٩٦ ـ ٧٩٧.

(٢) انظر مبحث (سيد قطب في أمريكا) من هذا الكتاب.

المبحث الرابع
سيد قطب مع العقاد

كان عباس محمود العقاد أشهر حامل لراية التجديد الأدبي في مصر، وقد بدأ يظهر نتاجه الأدبي منذ صغره، وراح يكتب في الصحف والمجلات منذ أوائل هذا القرن ـ العشرين ـ وكَوَّنَ مع زميليه عبد الرحمن شكري وإبراهيم المازني، جماعة (الديوان)، ويُعتبر العقاد رائد النقد الأدبي في مصر، حيث ظهرت مقالاته النقدية في وقت مبكر، جمعها بعد ذلك في كتب، أشهرها:

(ساعات بين الكتب) و(مطالعات) و(مراجعات في الآداب والفنون) كما نشر عدة دواوين شعرية مثل (وحي الأربعين) و(أعاصير مغرب)، واختص بعد ذلك بدراسة الشخصيات من الشرق والغرب.

هذا وقد تتلمذ عليه عدد من الأدباء الشبان، ومن أشهر تلاميذه: سيد قطب وعبد الرحمن صدقي ومحمد خليفة التونسي وعبد الفتاح الديدي وطاهر الجبلاوي.

صلة سيد قطب بالعقاد مبكرة عن طريق خاله:

بدأت صلة سيد قطب بالعقاد في وقت مبكر، عندما سكن عند خاله (أحمد حسين عثمان)، لأن خاله كان على صلة بالعقاد، حيث كانا عضوين في حزب الوفد، الذي أسسه سعد زغلول، وكان بينهما تزاور، لأنهما يسكنان في ضاحيتين متجاورتين، العقاد في (مصر الجديدة)، وأحمد حسين في (الزيتون). وكثيراً ما كان سيد قطب يرافق خاله في زياراته تلك[1]:

---

(١) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

وأُعجب سيد بشخصية العقاد القوية، كما أُعجب بفكره وأدبه وعقليته، وبمكتبته الكبيرة التي ضمت مختلف الكتبِ والمجلات العربية والأجنبية.

وتحَوَّلَ الإعجابُ إلى تلمذةٍ وتأثر فكري وأدبي، وراح سيد قطب يقرأ من مكتبة أستاذه بشغف كبير، يلتهم ما فيها التهاماً، ليُشبع حاجاته النفسية والأدبية، ويلبي أشواقه وتطلعاته الفنية، واستفاد سيد الكثير من مكتبة العقاد، وتزود بزاد عظيم من الثقافة والمعرفة، وتفتحت أمامه آفاق أدبية وفنية جديدة.

وكما استفاد من مكتبة أستاذه، استفاد منه هو، ومن نظراته في الأدب والشعر والنقد والفن، ومن شخصيته القوية، وشموخه واعتداده بنفسه وتعاليه، وتبنى سيد آراء أستاذه المختلفة، كما تأثرت شخصيته به، ورأينا فيها بعض صفات أستاذه!

وقد شمل تأثير العقاد عليه حياته السياسية الأولى، فرأينا سيد قطب عضواً في حزب الوفد، ويبدو أن خاله وأستاذه هما اللذان أثرا عليه من هذه الناحية، واستمر سيد مع حزب الوفد مدة طويلة، منذ أن بدأ الدراسة في القاهرة، إلى أن شكل زعيمه مصطفى النحاس الوزارة بطلب من الإنجليز في شباط عام ١٩٤٢م، بعد أن حطمت الدبابات الإنجليزية أبواب قصر عابدين، وقد أفقد هذا الحادث ثقة سيد بالحزب، وتخلى عنه بعد ذلك، لينضم إلى حزب الهيئة السعدية ـ وهو الحزب المنشق عن الوفد ـ الذي لم يمكث فيه أكثر من سنتين، اعتزل بعدها الأحزاب نهائياً[١].

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

احتضن العقاد تلميذه سيد قطب، وفتح أمامه أبواب الصحف والمجلات التابعة لحزب الوفد، السياسية منها والأدبية، وهي التي كان العقاد يشرف على تحريرها، أو يسهم في الكتابة فيها، ليعطيها شهرة كبيرة، مثل (البلاغ) و(البلاغ الأسبوعي) و(الجهاد)، وغيرها.

فظهرت فيها مقالات سيد الغزيرة، قصائده وتحليلاته الأدبية والاجتماعية!

سيد تلميذ ومريد للعقاد:

اشتهر سيد في الأوساط الأدبية كتلميذ للعقاد، وراح بعضهم يلمزه بهذه التلمذة، واعترف سيد بتلمذته عليه، وأشاد بها، واعتبرها مصدر قوة له، لا نقطة ضعف ضده، فهو يخاطب الدكتور أحمد أمين قائلاً: «لقد كنت مُريداً بكل معنى كلمة مريد لرجل من جيلكم تعرفونه عن يقين»[١]. ويقول لأبي الحسن الندوي (لا شك أني تلميذ من تلاميذ العقاد في الأدب والأسلوب الأدبي، وله عليَّ فضلٌ في العناية بالتفكير أكثر من اللفظ، وهو الذي صرفني عن تقليد المنفلوطي والرافعي..)[٢] ويبين لأحمد فؤاد الأهواني صلته بالعقاد «وحتى العقاد نفسه، وصلتي بشخصه معروفة، وصلتي بأدبه أوثق مرات من صلتي بشخصه ـ ولو فهم الكثيرون غير هذا»[٣].

كان سيد قطب يخشى على شخصيته أن تذوب في شخصية العقاد، فعندما أصدر العقاد ديوانه (وحي الأربعين) عام ١٩٣٣م، تحدث عنه

(١) الثقافة السنة الثالثة عشرة. عدد ٦٦٣: ٨.
(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي ٩٦.
(٣) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني: عدد ٦٨٣: ٨٧٤.

سيد قطب في محاضرة ألقاها في (رابطة الأدب الحديث)، ابتدأها باعترافه بصداقته للعقاد، واتبع يقول (ولستُ أخشى من هذه الصداقة ـ على أشدها ـ أن تؤثر في رأيي، لأن لي صداقة أخرى أقوى من هذه الصداقة، وهي صداقتي لضميري، لا بل صداقتي لشخصيتي، وحرصي عليها أن تفنى في أية شخصية أخرى)(١).

ولما عرف سيد طريقه، ورسم بنفسه معالمه، بعد أحد عشر عاماً من كلامه هذا، زال عنه خوف الفناء في شخصية العقاد، وقال (إنني لم أعُدْ أحرص اليوم على مقاومة الفناء في الشخصيات الأخرى، لأنني عدت أكثر اطمئناناً لعدم الفناء، وإني لأعترف اليوم أن صيحتي يومذاك إنما كانت صيحة الخائف، الذي يحدِّث نفسه في الظلام، وينفي عنها الأوهام، ليشعر بالاطمئنان!

لقد كنت أتحدث يومها عن العقاد، وكانت شخصية العقاد هي الشخصية الوحيدة التي أخشى الفناء فيها ـ كنت أُحس هذا بيني وبين نفسي ـ ولقد ظلَّتْ هذه الخشية إلى وقت قريب جداً، حينما بدأتُ أشعر أنني قد تخلصت، وأنني أنتفع بالعقاد ولكنني لا أقلده. وأن لي طريقاً ألمح معالمه، وأستشرف آفاقه، وأنني أتذوق بحسي وأنظر بعيني وأسمع بأذني، وإن كان للعقاد فضل التوجيه في الطريق العام(٢).

سيد يدرس شخصية ونتاج العقاد:

درس سيد أستاذه دراسة عميقة فاحصة، وتزود بمختلف وسائل المعرفة والثقافة التي تعينه على معرفة كُنْهِ الرجل وسبر غوره، وقد حدثنا

---

(١) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني: عدد ٥٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م صفحة ١٠٨٧.

(٢) المرجع السابق ـ صفحة ١٠٨٨.

عن دراســاته التي توصل بها إلى معرفته قائلاً: (ولقد رقيت إلى محاولة اســتيعاب العقاد ـ وأفلحت إلى مدى ـ على درج من دراسات شخصية جمة، ليست دراســة الأدب العربي ولا اللغة العربية إلاّ أُولى خطواتها، دراسات تشــمل كل ما نُقل إلى اللغة العربية ـ على وجه التقريب ـ من الآداب الإفرنجية: قصة ورواية وشــعراً، ومن المباحث النفسية الحديثة: نظريات العقــل الباطن والتحليل النفســي والمســلكي.. ومن المباحث الاجتماعيــة والمذاهب القديمــة والحديثة، ومن مباحــث علم الأحياء ـ بقدر ما استطعت ـ وما نشــر عن دارون ونظريته، ومن مباحث الضوء في الطبيعة والتجارب الكيماوية، ومما اســتطعت أن أفهمه عن أينشتاين والنسبية، وعن بناء الكون وتحليل الذرة وعلاقته بالإشعاع.[1]

وقد عقب الدكتور محمد رجب البيومي على كلام سيد بقوله «هذا بعض ما أَهَّل به سيد قطب نفســه ليدرس العقاد، وإذا كان العقاد جبار الثقافــة دون نزاع فإنه قد أورث تلميذه شــرهاً للمعرفــة لا يُحَدّ، وهو صادق حيــن يذكر هذه الفروع الدقيقة في إطلاعاته، لأنه يزور أســتاذه في مكتبته الخاصة، ويرى ســعة معارفه، فلا بد أن يجاريه ما استطاع! ويا لها من همة![2]».

وبعد أن درس أســتاذه بوســائله التي ذكرها، أُعجــب به إلى حد التعصب، وأحبه إلى درجة الغيرة (فأنا لا أنكر أنني شــديد الغيرة على هذا الرجل، شديد التعصب له، وذلك نتيجة فَهْمٍ صحيح لأدبه، واقتناع عميق بفكرته)[3].

---

(١) الرسالة ـ السنة السادسة ـ المجلد الأول ـ عدد ٢٥٧ تاريخ ٦ يونيو ١٩٣٨م ـ صفحة ٩٣٧.

(٢) الثقافة ـ السنة الخامسة ـ عدد ٥٣ فبراير ١٩٧٨م، صفحة ٥٤.

(٣) الرسالة ـ السنة السادسة ـ المجلد الأول ـ عدد ٢٥١ تاريخ ٢٥ ابريل ١٩٣٨م ـ صفحة ٦٩٢.

سيد شديد التعصب والمغالاة للعقاد:

نتيجة لهذا التعصب الشديد والغيرة الشديدة، راح سيد قطب يصدر أحكاماً على أستاذه العقاد، ويصفه بأوصاف يظهر فيها الغلو والمبالغة وعدم الموضوعية، وهذا ليس بغريب، فإن شدة التعصب تُنْسي صاحبها الاتزان، وشدة الغيرة تَعمي صاحبها عن إبصار نبوغ وقدرات الآخرين. ولقد بقي سيد قطب ـ رغم استقلاله بشخصيته ـ لفترة طويلة لا يرى في سماء الأدب إلاّ العقاد، ولا يلمس إلا جوانب من عبقرية العقاد، ولا يتذوق إلاّ شعر العقاد، فهو أديب العالم، وهو فيلسوف العالم، وهو أشعر شعراء العالم، ولا غرابة أن تصدر عن سيد قطب مثل هذه الأحكام (فإن حُبَّكَ الشيءَ يَعمي ويَصم).

عندما أطلق الدكتور طه حسين على العقاد لقب (أمير الشعراء) بعد وفاة أحمد شوقي، راح سيد قطب يعلن على صفحات المجلات أن هذا اللقب غير لائق به! (ورأيي أن هذا اللقب غير لائق بالعقاد، لأن المساقة بينه وبين شعراء العربية في هذا العصر أوسع مما بين السوقة والأمراء). ويغالي سيد في حكمه على شعر العقاد بأنه أشعر شاعر في لغة العرب، في القديم والحديث (قد يكون هناك كتّاب يتقاربون مع العقاد، ولكن ليس هناك شعراء في لغة العرب يتقاربون مع العقاد، ولقد كنتُ هممتُ بإصدار بحث عن الشعراء المعاصرين، ونظرت في أدب جميع الشعراء الأحياء ـ وأنا من بينهم ـ ولكن عاقني عن إصداره أنني لم أجد نقاط اتصال بين العقاد الذي سأكتب عنه أولاً وبين جميع الآخرين من الشعراء، الفرق هائل جداً)[1].

---

(١) الرسالة ـ المصدر السابق ـ ٦٩٤.

العقاد في عين سيد قطب ليس شـاعر العربية الأوحد فحسب، بل هو لا يدانيه في شـعره شـعراءُ العالم أجمع (ونحن لا ننصف الرجل حين نقول إن الأوتار التي يوقعُ عليها الحب في نفســه لم تجتمع قط لشاعر عربي، ولا تجتمعُ لعشرةٍ من شـعراء العربية في جميع العهود، نحن لا ننصفه حيــن نتحدث عن اللغة العربيــة وحدها، ولكننا نملك أدلته كلها، ونجزم فيه بالصواب. وإلا فبين يديَّ مُعَرَّباتٌ كثيرة، لشعراء من الغرب، مشهورين معروفين كـ(بيرون وشـيلي وألفريد دي موسيه وفيكتور هوجو) لا أرى فيها من تعدد الجوانبِ الصادقة الأصيلة ما أراه في غزل العقاد وشعره عامة)[1].

لا شك أن هذه الأحكام المبالغ فيها والتي أصدرها سيد قطب على أستاذه العقاد، أضرت بسيد قطب نفســه، حيث شنّ عليه النقاد ـ وحق لهم ـ حملة في المجلات، وأضرت بأسـتاذه العقـاد كذلك، وكأني به ـ وهو الذي لا يعجبه إلا المديح والإطراء ـ قد تأثر منها، وأدرك الغلو والمبالغة فيها!

سيد مع العقاد ضد الرافعي:

وقد خاض سـيد قطب معارك أدبية دفاعاً عن أستاذه العقاد، بيَّن فيها نواحي نبوغه وعبقريته، وكان أعنفها تلك التي خاضها على صفحات مجلة الرسـالة، حول العقاد والرافعي، وطالت المعركة بحيث استغرقت حوالي سبعة أشهر من عام ١٩٣٨م، بدأت طلائعُها في العدد (٢٥١) بتاريخ (٢٥ أبريل ١٩٣٨م) وانتهت بالعدد (٢٨٠) بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٣٨م. وكانت

---

(١) الرسالة ـ السنة السادسة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٢٦٨ تاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٣٨م، صفحة ١٣٨٠ ـ ١٣٨١.

المعركة طاحنة، كان خصمه فيها تلاميذ الرافعي من كبار الأدباء، مثل محمود شاكر، والدكتور محمد أحمد الغمراوي، ومحمد سعيد العريان، وإسماعيل مظهر، وعلي الطنطاوي، وعبد الجليل المحجوب! والغريب أن سيد قطب أدار المعركة وحده، أمام هؤلاء جميعاً، أدارها بشجاعة وقوة وحدة، واعتداد برأيه وبأستاذه، وقد لفت إليه الأنظار في قوة وانبهار، حيث أعجب الناس والأدباء منهم بخاصة برجل يقود المعركة منفرداً ضد عدد من ذوي النباهة من الأدباء، وينتصر عليهم في النهاية!

وقد تحمل سيد تبعة دفاعه عن العقاد، وتبيينه لمزاياه، وتحمل تكاليف هذا كله راضياً، فهو قد كلفه ـ على حد قوله ـ (التعرض لغضب الكثيرين، من ذوي النفوذ في هذه الوزارة، وفي كل وزارة، ومن بينهم كثير من رؤسائي في وزارة المعارف نفسها) و(خصومة الأدباء من المدرسة القديمة والحديثة على السواء) و(خصومة كثير من ناقصي الرجولة ـ وهم أعداء العقاد الطبيعيون ـ وكثير من ناقصي الثقافة الذين لا يفهمون العقاد)[١].

ولم ينتفع مع هذا بنفوذ العقاد. ذلك الانتفاع (الذي يبدو غير مفهوم حينما كنتُ أناصر العقاد وهو خصم الوزارات القائمة، وأوقع على ما أكتبه بإمضائي الصريح في أحرج الأوقات)[٢].

وراح سيد قطب يرقب كتب أستاذه العقاد، فما إن يصدر كتاب منها حتى يتناوله بالشرح والتحليل والنقد، ويجعل حديثه عن الكتاب مناسبة للحديث عن صاحبه، وبيان مزاياه ونبوغه وعبقريته!

---

(١) الرسالة ـ السنة السادسة ـ المجلد الثاني: عدد ٢٨٠، ١٤ نوفمبر ١٩٣٨م، ١٨٦٥ ـ ١٨٦٦.
(٢) المصدر السابق: ١٨٦٦.

سيد يخالف العقاد أحياناً رغم تلمذته له:

سيد قطب تلميذ للعقاد، ولكنه ليس نسخة أخرى منه! ولو قارناه بتلميذ آخر للعقاد وهو (محمد خليفة التونسي) لتميزت شخصيته، فالتونسي (لم يكن أكثر من تلميذ ذكي، يحسن ما يقوله أستاذه فحسب)[١]، وكذلك تلميذ العقاد الآخر عبد الرحمن صدقي (فإنه نسخة طبق الأصل عن العقاد)[٢] ويظهر الفرق بين التلميذين هذين وبين سيد قطب، عندما ننظر في أعمال سيد وآثاره، التي خالف فيها أستاذه!

فسيد قطب عندما أمِنَ من ذوبان شخصيته في شخصية العقاد، صرح قائلاً: «إنني أنتفع بالعقاد، ولكنني لا أقلده، وإن لي طريقاً ألمح معالمه، وأستشرف آفاقه، وإنني أتذوق بحسي، وأنظر بعيني، وأسمع بأذني»[٣].

وتبعاً لاستقلاله، خالف العقاد في بعض آرائه (إنني اختلفت معه في بعض الأحيان، على تعريف الشعر وتذوقه، وعلى النظرة إلى العاطفة وأطوارها، ولكنه اختلاف الرأي والإحساس، الذي لا بد أن يقع بين شخصية وشخصية، متى تبلورت الشخصيتان، وظهرت معالمهما كاملة، ولو كانتا شخصيتي التلميذ والأستاذ)[٤].

سيد ينقد شعر العقاد مخالفاً له:

كانت مخالفته له في وقت مبكر جداً، ففي أول مقالات سيد النقدية على صفحة الأهرام عندما أصدر العقاد ديوانه (هدية الكروان)، كتب

---

(١) سيد قطب لبركات: ١٠.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٣) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني: عدد ٥٩٧، تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م، ١٠٨٨.

(٤) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني: عدد ٦٨٣، تاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٦م: ٨٧٤.

سيد قطب عنه يقول: إن هدية الكروان تمثل «منتهى النضوج الفني عند العقاد، وإنها سلمت من بعض أشياء كانت تغض من الجمال الفني الكامل لبعض شعر العقاد، وهي ما أسميته (قسوة القالب) وعنيت به أن يحتجب الشعور الطليق في ثوب أضيق وأقسى مما يلائم هذا الشعور الطليق»[1].

وعن أثر هذا النقد الهادئ على العقاد قال: «وهو كذلك لا يُسلمُ بقسوة القالب في بعض شعره. ولا يبيح لي أن أوجه هذا النقد، لأن منشأه هو قصوري عن فهم شعره، وإن على الناقد أن يرتفع إلى مستوى الشاعر، وليس على الشاعر أن يهبط لمستواه، وكان العقاد مهتاجاً، ولكنني كنت هادئ الأعصاب»[2]. وبقي ـ رغم هدوء أعصابه ـ على موقفه لم يغيره، بل رد على العقاد قائلاً (إن الناقد الذي يكتب محاضرة عن ديوان «وحي الأربعين»، فيفهم دقائقه فهماً يرضى عنه العقاد، لا يقصر عن فهم «هدية الكروان» وهي أسهل من وحي الأربعين! وافترقنا وفي نفس العقاد شيء أحسه، ولكنني آسف له، وإن كنت لا أنوي التأثر به)[3].

وراح سيد يخالف أُستاذه في كثير من آرائه، وينشر مخالفته له على صفحات المجلات الأدبية، وفي كتابه (كتب وشخصيات) أماكن عديدة لهذه الآراء[4].

---

(١) الأسبوع ـ المجلد الثالث ـ عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥ صفحة ٢٢. وانظر «على المحك» لمارون عبود: ٢٦٠ ـ ٢٦٣.

(٢) الأسبوع ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) الأسبوع ٢٣.

(٤) انظر (كتب وشخصيات) صفحات ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٨٤، ٨٥، ٨٩، ٩٠، ٢٨٢، ٢٨٣.

بدأ سيد في بداية عام ١٩٤٦م ـ بعد أن ألّف كتابه «التصوير الفني في القرآن» ـ يبتعد تدريجياً عن مدرسة العقاد الأدبية، وينتقد آراءها في الأدب والفكر والحياة، ونورد فيما يلي مثالاً لانتقاده الجاهر لهذه المدرسة!.

قال أثناء حديثه عن قضية اللفظ والمعنى ـ القضية المعروفة في الأدب العربي ـ «ثم عَرضتْ هذه القضية مرة أخرى في العصر الحديث، في معرض الجدل بين مدرسة شوقي وحافظ، المعنية بالإيقاع الموسيقي والجمال اللفظي، ومدرسة العقاد وشكري المعنية بالصدق الشعوري والتدقيق المعنوي، وقيل كلام كثير في معرض الجدل ليس كله صواباً بطبيعة الحال، ونحن في هذه المناسبة لا نتردد في أن نَرُدّ إلى الإيقاع الموسيقي والجمال التعبيري اعتبارهما ـ ولكن على أساس آخر، غير الأساس الذي يفهمه الشوقيون والتعبيريون على العموم[1]».

وبقي سيد يبتعد تدريجياً عن مدرسة العقاد في الأدب والحياة، إلى أن خرجَ منها نهائياً، ليُكوِّنَ مدرسة أدبية جديدة، على أسس جديدة، ونظرة جديدة للأدب والحياة!

سيد ينقد مدرسة العقاد ويخرج منها:

وتجلى هذا الخروج في مقالة كتبها في مجلة (الكتاب) ينقد فيها ديواناً لأحد أبناء المدرسة العقادية ـ أحمد مخيمر ـ قال فيها «لقد آن أن نفهم الشعر على ضوء جديد، بعدما قطعنا كل هذه المراحل، وبعدما اجتزنا كل تلك التجارب، آن أن نفهم الشعر لا على طريقة مدرسة

---

(١) كتب وشخصيات: ٤٧.

شـوقي وحافظ والمنفلوطي، ولا على طريقة العقاد وشكري والمازني. فكلتاهما مرحلتان من مراحل التطور، قامتا بدوريهما في النهضة، وآن أن يخلفهما فهم للشعر جديد»[١].

تحدث عن مدرسـة العقاد قائلاً «وقامت أخراهما على أسـاس أن الشـعر صورة حياة، وخلجات نفوس، وسـمات شـخصيات، وحقائق شـعور، وهذا كله صحيح، ولكن هذه المدرسـة عند التطبيق العملي لفهمها الشـعر كانت طاقتها الشـعرية أقل من تصورها للشـعر، فجاء نتاجها الشعري في عمومه ناقص الحرارة، غير مكتمل الشاعرية، وظلّت ـ إلا قليـلاً ـ تمتـح من تصورها الواعي للشـعر، قبـل أن تفيض من شعورها الكامن في الضمير[٢].

وتحدث عن تجربته مع هذه المدرسـة قائلاً «ولستُ أنكر فتنتي فترة طويلة من العمر بهذه المدرسـة كفكرة، وفتنتي بنتاجها الأدبي كشـعر، وتأثُّري بها إلى الحد الذي أنفقت فيه شطراً من حياتي وأنا أقول الشعر، لا أفرق فيه بين الفكرة الجميلة الشعرية، أعتنقها مذهباً، والإحسـاس الجميل الشـعري ينبض به شـعوري، ويعيش انفعالاً غامضاً في ضميري.. ولم أجد نفسي إلا منذ عامين اثنين (١٩٤٦م) أنتبه إلى الفارق الأصيل بين الفكرة الجميلة والشعور الجميل، وأجد للشعر مذاقاً آخر، غير ما سـبق لي أن أحسستُه في نحو خمسةَ عشرَ عاماً أو تزيد»[٣].

---

(١) الكتاب المجلد الخامس ـ الجزء الثاني ـ فبراير ١٩٤٨م، صفحة ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٨.

(٣) المرجع السابق ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

سيد يؤسس مدرسة أدبية جديدة:

وهكذا انتهى به المطاف الأدبي، بعد حياة طويلة في مدرسة العقاد، دامت ما يقرب من ربع قرن، انتهى به إلى مدرسة أدبية جديدة، هو رائدها وأستاذها الأول، لها أسسها ونظراتها وآراؤها ومنهجها، في الشعر والأدب والفن والنقد، وكان معه في مدرسته عدد من الأدباء، وكان بمقدور سيد أن يرسي أُسس مدرسته الجديدة، وينميها ويرعاها، ويمدها بالجديد من نظراته الثاقبة، كان بمقدوره هذا، لولا أنه تركها لاهتماماته الجديدة، حيث فتح الله أمام عينيه ملامح طريق جديدة، فسار فيها مفكراً وكاتباً وباحثاً، تلك هي المرحلة الأخيرة من حياته، وهي اتجاهه الإسلامي.

سيد يذكر أسباب خروجه على العقاد:

وقد بيّن سيد قطب أسباباً أخرى لخروجه من مدرسة العقاد، غير آرائه الجديدة في الأدب والفن والشعر، منها ما ذكره لأبي الحسن الندوي: «إن نفسي لم تزل متطلعة إلى الروح، وما يتصل بها، وكنت في صغري مشغوفاً بقراءة أخبار الصالحين وكراماتهم، ولم تزل هذه العاطفة تنمو في نفسي مع الأيام، والأستاذ العقاد رجل فكري محض، لا ينظر إلى مسألة ولا يبحث فيها إلا عن طريقَ الفكر والعقل، فذهبت أروي نفسي من مناهل أخرى هي أقرب إلى الروح، ومن ثم عنيتُ بدراسة أشعار الشرقيين كطاغور وغيره[1]».

كما أن من أسباب خروجه على مدرسة العقاد، هو ضعف العقاد وجبنه في كثير من المواقف السياسية، بعدما امتد به العمر في

---

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي ٩٦.

الأربعينيات. يقــول: «إني كنتُ أعتقد أن مثل الأســتاذ العقاد في عقله الكبير وشخصيته العظيمة لا يخضع للضرورات والملابسات كالحكومة والسلطة، ولكنه سالمها».

العقاد يهاجم سيد قطب:

جفا العقاد ســيد قطب بعد خروجه عليه أدبيــاً أولاً، ثم فكرياً بعد ذلك، بل مقتــه لاتجاهه الإســلامي، ولم يكــن العقاد يطيــق الاتجاه الإسلامي المتمثل في حركة الإخوان المسلمين، بل كان يحاربه بشراسة، وراح العقاد ينتقد ســيد ويتحدث عنه، ويأســف له، وكتب في الرسالة مقالة بعنوان (إرادة الغفلة) ضد سيد قطب دون أن يذكره بالاسم[١].

وبعد افتــراق طريقيهما، وبعد أن وقف ســيد المواقف الإســلامية الجريئة، ضد رجال الحكم العسكري في مصر، وبعد أن ضحّى بالكثير، صار العقاد يثني عليه ويمدحه، ويشيد به في مجالسه الخاصة[٢].

العقاد سبب تأخر التوجه الإسلامي لسيد:

كان للعقاد فضل كبير على ســيد قطب، إذ إنه استفاد منه الكثير، وبخاصة في حياته الأدبية، ولكن كان له أثر سلبي عليه، حيث يعزى إلى العقاد الســبب في تأخير ســيد قطب في اتجاهه الإسلامي، لأن سيد الذي نشأ نشــأته الدينية في القرية، كان المتوقع له أن يسير في طريق إســلامي واضح، ولكن اتصالــه بالعقاد أوجد عنــده ميلاً إلى

(١) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب. انظر المقالة في (الرسالة) السنة الرابعة عشرة، المجلد الأول، عدد ٦٦٣ تاريخ ١٨ مارس ١٩٤٦م، صفحات ٢٨٩ ـ ٢٩١.

(٢) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

الأدب والنقد والشعر، وصارت عنده اهتمامات أدبية وفنية، وسيطرت عليه هذه الاهتمامات فترة طويلة من الوقت، زادت على ربع قرن من الزمان، وكمنت اهتماماته الإسـلامية والروحية طوال هذه الفترة، ولم تظهر من جديـد إلا بعد أن اتصل بالقـرآن، ولبى أشـواقه الروحية والوجدانية والشـعورية، وأخرج كتاب (التصوير الفنـي في القرآن). وكان هذا في أيامه الأخيرة في مدرسـة العقاد، عندما أوشكت علاقته به على الانتهاء!

* * *

المبحث الخامس
في الصحف والمجلات...

بدأت علاقة سيد قطب بالصحف والمجلات في وقت مبكر من حياته، وساعد على اتصاله بها خاله (أحمد الموشي) الذي كان يشتغل بالتدريس والصحافة، إذ بواسطته تعرف سيد عليها، كما ساعد على اتصاله بها علاقته المبكرة بالعقاد، الذي كان يشرف على عدد من الصحف، ويكتب في عدد آخر.

بدأ اشتغال سيد بالصحافة عام ١٩٢١م، وأول مقال نشره كان عن (طرق التدريس) وكان في صحيفة (البلاغ) اليومية[1].

واستمر اتصال سيد قطب بالصحف والمجلات، إذ كتب فيها عندما كان طالباً في مدرسة المعلمين الأولية، وفي تجهيزية دار العلوم، وفي كلية دار العلوم، ثم بعد أن تخرج في الكلية وعمل موظفاً في وزارة المعارف، وصار يراسل المجلات وينشر فيها مقالاته وهو في أمريكا، ثم بعد أن عاد من أمريكا، واستقال من الوزارة، ولم تنقطع صلته بالمجلات إلا بعد أن أُدخل السجن عام ١٩٥٤م.

عمله في الصحف والمجلات على عدة حالات:

لم يكن عمله في هذه المجلات على حالة واحدة: فبعضها كان يعمل فيها موظفاً، يتناول مرتباً شهرياً، حيث يحرر فيها صفحة أدبية، وكان عمله في صحيفة (الأهرام)، وصحيفة (البلاغ) من هذا القبيل.

---

(١) الأسبوع ـ السنة الأولى ـ عدد ٢٦ تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤م، صفحة ١٤.

وبعضها كان يكتب فيها المقالات اليومية أو الأسبوعية بدون أجر، ويكفيه أن تفســح المجلة لمقالته صفحاتها، ليقرأ الناس آراءه، وكانت غالبية مقالاته من هذا القبيل، كمقالاته في مجلات (الأسبوع) و(الوادي) و(كوكب الشرق) و(الرسالة) و(الدعوة) و(الاشتراكية) وغيرها.

وبعضها كان يتولى فيها رئاســة تحرير المجلة والإشــراف عليها، وكتابة عدة مقالات فــي العدد الواحد، مثل مجــلات (الفكر الجديد) و(العالم العربي) و(الإخوان المسلمون).

كانت أول مقالات ســيد قطــب ظهوراً، في الصحــف والمجلات التابعة لحزب الوفد، لأن خاله كان وفدياً، وأســتاذه العقاد كان وفدياً، وهو نفسه انضم إلى حزب الوفد منذ صغره، كتب في صحف ومجلات الحزب كلها، وبمــا أن منها مجلات أدبية وأخرى سياســية، فقد كتب فيها المقالات السياسية والأدبية والتربوية ونشر فيها قصائده الشعرية!

في عام ١٩٣٤م حدثنا أحد قرائه عن أول نتاج قائلاً: (فقد قرأته من ثلاثة عشــر عاماً شــاعراً في صحيفة «الحياة الجديدة»، ثم قرأته بعدئذٍ شــاعراً وكاتباً في البلاغ، ثم ها أنا الآن أقرؤه شاعراً وكاتباً في الأهرام والأسبوع)[1].

ويخبرنا ســيد عن بعض المجلات التي كان ينشر فيها، حيث نشر (نثــراً ونظماً منذ عــام ١٩٢٤م بالبلاغ اليومي، والأســبوعي، وكوكب الشرق، والوادي، والمصور، وسواها من الصحف)[2].

---

(١) الأسبوع ـ المجلد الثالث ـ عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥م، صفحة ٨.

(٢) الأسبوع ـ المجلد الرابع ـ عدد ٤٣ تاريخ ١٩٣٤/٩/١٩م، صفحة ٩.

لم يكن سيد قطب ـ كما قلنا ـ متفرغاً لعمله الصحفي، بل كان يجمع بين الصحافة والدراسة والنثر والنظم، وهذا ما رفعه في أعين الأدباء في تلك الفترة، ورأوا فيه همة ونشاطاً عجيبين، وذكاء ونبوغاً بارزين، وتوقعوا له مستقبلاً عظيماً!

ثناء على عمله فيها:

من هؤلاء علي أحمد عامر الذي كتب مقالة في (الأسبوع) يبين فيها بعض ملامح سيد قطب، ويظهر فيها بعض نواحي نبوغه. ويقول متحدثاً عن مقالات سيد النقدية والأدبية التي ينشرها في الصحف، ويجد فيها الأدباء طلبتهم: «فقد طالما دفعته الدنيا إلى ملابسة الرجولة بينما هو في بداية مراحل الشباب. وقد طالما أسرفَتْ حقائق الحياة معه. فآذنت له أن يجمع أعصابه على موازنات، في الأدب والشعر والنقد. كان قرّاء الصحف ينصرفون إليها مغتبطين، ومؤمنين أنهم ملاقون فيها شيخاً كشفت تجاربه وجوه الأشياء جميعاً، وكشفت السنون الطويلة له خبايا الناس وطوايا الفنون».

ويصوره لنا في عمله اليومي: «ولو أنهم أبصروا به تلميذاً يقتعد أريكته في حجرة الدراسة، باحثاً عن (خبر كان)، منقباً عن (غزوة أُحُد)، كادحاً وراء (فقه اللغة)، دائباً على مصاولة الشعراء العباسيين لأسلافهم من شعراء أمية.. ولو أنهم بصروا به متحفزاً يثب إلى مكتبه في الليل يستذكر الدرس، ثم يكتب رسالة الغد إلى الصحيفة التي يعمل فيها، ثم يفشي بين المرحلتين سر نفسه في قصيدة، يطويها إلى صدره، حتى يؤذن لها أن تذوع.. ولو أنهم بَصُروا به في هذه المشاهد التي يؤلف ما

بينها التناقض.. لأنكروا على ابن الخامسة عشرة أن يقول الشعر، ولأنكروا على ابن المدرسة أن يكابد التحرير.. ولكنه سيد قطب طراز وحده في أدباء الشباب..!

ويبين طريقته في الكتابة قائلاً: (في هذا الهيكل الناحل، وفي تلك الابتسامة الخاطفة، وفي هذا الرأس الدقيق تأتلف جماعة من القوى الصاخبة، ولكنها لا تلبس قفاز الملاكمة إلاّ حين يكون ملقياً همه في زمرة من الورق الأبيض، يجري عليها بقلمه، فإذا السطور السوداء رسالات من دخائل الحياة)[1].

من المجلات التي كتب فيها:

من المجلات التي كان يكتب فيها في العشرينيات ـ وهو لما يتخرج من الكلية ـ مجلات البلاغ، والجهاد، والبلاغ الأسبوعي، والوادي، والحياة الجديدة، والأهرام، والمقتطف وغيرها.

وفي الثلاثينيات بقي يكتب في هذه المجلات، وأضاف إليها المجلات التي صدرت في هذا الوقت مثل: كوكب الشرق، وروز اليوسف، وأبوللو، والأمام، والأسبوع، والرسالة، والثقافة، ودار العلوم.

وفي الأربعينيات استمر يكتب في المجلات التي بقيت منها، مثل: الرسالة، والثقافة، ودار العلوم، وأضاف إليها المجلات التي صدرت في هذه الفترة مثل: الكاتب المصري، والكتاب، والسوادي، كما أشرف في هذه الفترة على مجلتي (الفكر الجديد) و(العالم العربي).

---

(١) الأسبوع ـ المجلد الثالث ـ عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥م، صفحة ٨.

وفي الخمسينيات وبعد عودته من أمريكا، بقي يكتب في مجلات: الرسالة، والثقافة، والكتاب، وأضاف إليها المجلات التي ظهرت في هذه الفترة مثل: (اللواء الجديد) و(الاشتراكية) و(الدعوة) و(المسلمون). كما أشرف على مجلة (الإخوان المسلمون).

كانت كتاباته متنوعة، إما قصيدة شعرية غنائية، أو مقالة أدبية، أو نقداً لكتاب، أو تسجيلاً لمحاضرة ألقاها، أو نظرة في الأدب والحياة، أو تعليقاً على حوادث سياسية، أو نقداً لمظاهر اجتماعية، أو مقالة قصصية، أو نقداً للفنون والأغاني، أو تعليقاً على محاضرة أو كلمة لأديب، أو هجوماً على مظاهر شائهة في السياسة أو المجتمع، أو تهكماً بالاستعمار وأدواته في البلاد، أو معركة أدبية، أو إصلاحاً أخلاقياً، أو دراسة فكرية، أو دعوة لثورة أو تغيير.

وعلى العموم ما ترك سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجالاً من مجالات الكتابة ـ على كثرتها ـ إلا خاض فيها، وكان فيها ابن بَجْدَتها، وفارسها البارز، وعندما تقرؤها تقول: كأنه لا يحسن إلاّ القول في هذا المجال. ثم تفاجأ به مبرزاً في مجال آخر. وهكذا، بإلقاء نظرة فاحصة على المجالات المتنوعة التي خاض فيها على صفحات المجلات العديدة يتبين صدق هذا الكلام.

كما أن الملاحظ أن سيد قطب كان يخص كل مجلة بمقال يناسب تخصصها، سواء كان سياسياً أو إصلاحياً أو أدبياً أو نقدياً أو شعرياً أو دينياً.

وهذه المقالات الأدبية العديدة أثارت إعجاب الأدباء والمطلعين والمراقبين. ففي عام ١٩٣٤م، وبعد ثلاثة عشر عاماً من مسيرته الأدبية،

كتب أحد هؤلاء وهو علي أحمد عامر مقالة في (الأسبوع) أشاد فيها بجهود سيد وبنبوغه وهمته[١]. كما سجل إعجابه بنتاجه المتعدد في هذا الوقت القصير وفي ذلك يقول: (ولو أننا تناولنا نتاجه في ضوء عمره، لدعونا الزملاء جميعهم إلى اكتتاب عام، يطيب لكاتب هذا الفصل أن يساهم فيه برأسه! حتى نقيم له تمثالاً في حجم صورته ونُتَوِّجَهُ بهذه الشهادة:

نشهد نحن الموقعين على هذا أن زميلنا سيد قطب من أولئك الذين أربت أقدارهم على أعمارهم، ولكننا في مصر. مصر المحروسة بلد العقوق)[٢].

وإذا كان نتاج سيد قطب الوفير في فترة زمنية قصيرة من بداية حياته، قد نال إعجاب الأدباء والباحثين، حتى قدَّم أحدهم هذه الشهادة، فكيف بسيد قطب وقد ملأ سمع العربية وبصرها في الأربعينيات والخمسينيات، وقد استقر به المطاف في طليعة أدباء العربية وقادة النقد الأدبي، ثم بدأ مسيرته الإسلامية، حتى انتهى إلى أن أصبح عملاق الفكر الإسلامي الحركي، كيف تكون الشهادة إذن؟ وكيف يكون التقدير؟ ولكن هذا العلامة النابغة نال من الإهمال والإساءة والعقوق ما لم ينله أديب أو مفكر، في القديم ولا في الحديث، حيث أُزهقت روحه، لأنها أبَتْ الخنوع والخضوع، وعومل معاملة أقسى من معاملة المجرمين! ولا عجب (فنحن في مصر المحروسة. بلد العقوق)!

---

(١) انظر صفحة ١٤٨ من هذا الكتاب.

(٢) الأسبوع ـ المجلد الثالث ـ عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥م، صفحة ٨.

لم يكن متفرغاً للكتابة في المجلات:

لقد تمتع سيد قطب بهمة فائقة، وطاقة عجيبة، ونفس قوية، وأفكار دانية، وأسلوب محكم، وصبر دائب، وقلم مطاوع لا يستعصي، ولولا هذه الميزات لما استطاع أن يقدم هذا النتاج الوافر الغزير. فها هو في بداية حياته الأدبية يتمكن من التوفيق بين الدراسة بمتطلباتها الكثيرة، ومناقشاته وندواته الأدبية مع الآخرين، وكتابة مقالاته، وإرسالها إلى الصحف، ونَظْمِ أشعاره، وتنمية ثقافاته واطلاعاته، واستمتاعه بخيالاته وأحلامه ورؤاه، ووفائه بواجباته الأسرية والاجتماعية!

وهو في الثلاثينيات يجمع بين وظيفته كمدرس ـ وهي تأخذ من وقته الكثير ـ ووظيفته في مجلة البلاغ ـ وتأخذ كذلك من وقته الكثير ـ ويكتب مقالات مطولة في مجلات أسبوعية منتظمة، في البلاغ والأسبوع وكوكب الشرق والرسالة، بانتظام.

وفي الأربعينيات يكتب مقالات أسبوعية منتظمة في: الرسالة والثقافة، ومقالات في مجلات شهرية مثل: الكاتب المصري والكتاب ودار العلوم والمقتطف، ويشرف على مجلة العالم العربي أو الفكر الجديد، ويطَّلع على كل مؤلف جديد في السوق، أو يتابع أفكار أديب بقراءة كتبه ومقالاته في الدوريات، أو يخلو إلى نفسه لينظم قصيدة، أو يعد بحثاً من بحوثه الأدبية أو الفكرية. بالإضافة إلى عمله في وزارة المعارف.

وفي الخمسينيات كان يكتب في مجلات الدعوة والاشتراكية واللواء الجديد، مقالات ثورية بالإضافة، إلى مقالاته الشهرية في

الكتاب والمسلمون. أو يقوم بواجباته العملية مع جماعة الإخوان المسلمين، أو يستعير الكتب والمراجع لتنمية ثقافاته! ويقدر على النهوض بكل هذه الواجبات! حقاً إن هذا لعجيب، ولكن:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجساد

وتعتبر مقالاته المختلفة في المجلات سجلاً أميناً لحياته الأدبية والفكرية، وبالاطلاع عليها نتعرف على مراحل حياته، وندرك تطور اهتماماته أولاً، وتطور أسلوبه وأفكاره ونظراته ثانياً، كما نتعرف على شخصيته، ونتلمس ملامحها في مختلف المراحل.

وإنها لخدمة عظيمة للأدب والفكر، ولتراث هذا العلامة الجليل، واعترافاً بفضله وأستاذيته، أن يقوم أحد الباحثين بتتبع مقالاته تلك، في مختلف المجلات التي كانت تصدر ما بين ١٩٢٠ و١٩٥٤، وتصنيفها وترتيبها حسب تاريخ صدورها، فإنه سيخرج بنتائج جديدة للأدباء والمفكرين. وستعينه على دراسة شخصية سيد قطب دراسة وافية من كافة النواحي.

مقالاته في مجلة الرسالة نموذجاً:

وبعد تتبعي لمقالاته في مجلة (الرسالة)، من حين صدورها عام ١٩٣٤ إلى توقفها عن الصدور عام ١٩٥٢م، وبتصنيفها حسب موضوعاتها، وجدتها كما يلي:

من سنة ١٩٣٣م ـ ١٩٣٧م قصائد شعرية وبعض المقالات الاجتماعية.

في سنة ١٩٣٨ م في الأعداد ٢٥١ ـ ٢٨٢ معركته الأدبية الشهيرة ضد الرافعي نصيراً للعقاد.

من سنة ١٩٤٠م ـ ١٩٤١م تركزت على نقد الأغاني والألحان، وتخللها بعض القصائد والمقالات الاجتماعية.

وفي سنة ١٩٤٣م معركته الأدبية ضد الدكتور محمد مندور حول الأدب المهموس، والأدب الخطابي.

في سنة ١٩٤٤م مقالات نقدية، وبيان لمذاهب فنية كمذهب العقاد والحكيم، كما تخللها مناقشات بينه وبين دريني خشبة وزكريا إبراهيم.

وفي نهاية عام ١٩٤٤م وبداية عام ١٩٤٥م مقالات نقدية لكتب وقصص ودواوين، ومعركة أدبية ضد صلاح ذهني حول القصة وقصص محمود تيمور.

في النصف الأول من عام ١٩٤٥م معركة أدبية ضد عبد المنعم خلاف حول كتابه (التصوير الفني في القرآن).

من عام ١٩٤٥م ـ ١٩٤٧م اهتمام بالقضايا الوطنية والأحداث السياسية والمشكلات الاجتماعية، وتركيز عليها مع بعض المقالات النقدية.

في الفترة ما بين ١٩٤٨م ـ ١٩٥١م انقطاع عن الكتابة قبل ذهابه إلى أمريكا بسنة وطيلة وجوده هناك.

من عام ١٩٥١م ـ ١٩٥٢م بعد عودته من أمريكا أصبح كاتب الرسالة الأول، يكتب المقال الأول فيها، ويهتم بالقضايا والأحداث السياسية والأمراض الاجتماعية، ويعالجها من وجهة نظر إسلامية، وبيان لأفكار إسلامية مع بعض المقالات الأدبية.

سبع معارك أدبية خاضها بإعجاب:

وخاض سـيد قطب على صفحات المجلات معـارك أدبية حامية، بشجاعة بالغة، وأثبت قدراته الأدبية والنقدية الفائقة، ومن هذه المعارك التي تمكنتُ من الاطلاع عليها:

١ ـ معركته ضـد جماعـة أبوللو، التـي خاضها عـام ١٩٣٤م على صفحات مجلة الأسبوع، بحجة قوية وأسـلوب محكم، حتى إن بعض الأدباء شـك في أنها من نتاج سيد قطب نفسه، فعزاها إلى أستاذه العقاد، وزعم أنه آثر أن يوقعها باسم تلميذه[١].

٢ ـ معركته ضـد الرافعيين عام ١٩٣٨م والتي أخـذت وقتاً طويلاً، وسـودت صفحات كثيرة من مجلة الرسـالة، وكان فيها وحده، ضد جماعة مـن كبار الأدبـاء، مما جعـل الأنظـار تتجه إليه مشدوهة[٢].

٣ ـ معركته ضـد الدكتور محمد منـدور، حـول الأدب المهموس والأدب الخطابي على صفحات الرسالة عام ١٩٤٣م[٣].

٤ ـ معركته ضد الدكتور طه حسين التي خاضها على صفحات مجلة (العالـم العربي) التي كان يشـرف عليها حول (الأدباء الشـيوخ والأدباء الشـبان) حيث وجه سـيد إليهم اتهامات عنيفة صارخة، ورد عليه طه حسين في مجلة (الهلال) عام ١٩٤٧م[٤].

---

(١) انظر الأسبوع أعداد: ٣١ ـ ٣٦ من السنة الأولى عام ١٩٣٤م.

(٢) انظر الرسالة أعداد: ٢٥١ ـ ٢٨٢ من السنة السادسة عام ١٩٣٨م.

(٣) انظر الرسالة أعداد: ٥٢٠ ـ ٥٢٦ من السنة الحادية عشرة عام ١٩٤٣م.

(٤) انظر العالم العربي عدد ٥ من السنة الأولى عام ١٩٤٧م وفق ١٣٦٦هـ.

٥ ـ معركته ضد صلاح ذهني في (الرسالة) حول الأساليب الفنية في كتابة القصة، وقصص محمود تيمور عام ١٩٤٤م[١].

٦ ـ معركته ضد عبد المنعم خلاف في (الرسالة) حول كتابه (التصوير الفني في القرآن) عام ١٩٤٥م[٢].

٧ ـ معركته ضد إسماعيل مظهر وعبد الله القصيمي عند ظهور كتاب الأخير (هذه هي الأغلال) عام ١٩٤٧م[٣].

ـ مناوشات خفيفة بين الحين والآخر، بينه وبين بعض الأدباء مثل: زكريا إبراهيم، وعباس خضر، وأحمد فؤاد الأهواني وغيرهم[٤].

هذا عدا المعارك الأدبية الأخرى التي لم أتمكن من الاطلاع عليها!!

سيد قطب ومجلة «العالم العربي»

واتفق سيد قطب مع يوسف شحاته ـ وهو رجل نصراني ـ على أن يمول هذا الأخيرُ مجلة باسم (العالم العربي) وأن يتولى هو الإشراف عليها، وقد رسم سيد في الصفحة الأولى من العدد الأول برنامجها ومنهاجها وغايتها وخطة سيرها[٥]، وراح ينشر فيها التحليلات السياسية، حيث حدثنا علال الفاسي عن أحدها قائلاً: (ولقد عرفته آخر هذه

---

(١) انظر الرسالة أعداد: ٥٨٥ ـ ٥٩٤ من السنة الثانية عشرة عام عام ١٩٤٤م.

(٢) انظر الرسالة أعداد: ٦١٦ ـ ٦٥٠ من السنة الثالثة عشرة عام ١٩٤٥م.

(٣) انظر الرسالة أعداد: ٧٠٠ ـ ٧٠٢ من السنة الرابعة عشرة عام ١٩٤٦م.

(٤) انظر الرسالة أعداد: ٥٠٩ ـ ٥١١ الحادية عشرة عام ١٩٤٣م، و٧٠٣ـ٧٠٤ من السنة الرابعة عشرة عام ١٩٤٦م.

(٥) انظر بيانه لمنهاج المجلة فيها: العدد الأول ـ ٨ جمادى الأولى ١٣٦٦ ص١.

المرحلة، حينما كان يشــرف على مجلة العالــم العربي، وقد أخذ مني أحاديث عن القضية المغربية عني بنشــرها والتعليــق عليها، ثم كتبتُ بطلب منه بحثاً عن السياسة الأمريكية إزاء العرب نشر في هذه المجلة، وكان له أثــر كبير في الأوســاط الأجنبيــة، إذ ترجمه عــدد كبير من المعلقين الإنجليز والأمريكان[١].

لم يستمر سيد في عمله في هذه المجلة، إذ تنحى عنها بعد صدور العدد الرابع منها، لأسباب لا نعرفها، حيث نشر رئيس تحريرها الجديد محمد العزب موســى في مفتتح العــدد الخامس كلمــة تحت عنوان (إيضاح لا افتضاح) قال فيها: «كان يضطلع بأعباء رياســة التحرير لهذه المجلة الأستاذ ســيد قطب، يعاونه نخبة من الكاتبين، وصفوة من كرام الباحثيــن، وعلى يديه ولدت هــذه المجلة، وقطعت مــن العمر أربعة أشــهر، ممثلة في أربعة أعداد، وجَــدَّتْ أمور بعد ذلــك، أوجبت أن يستقيل الأســتاذ، أو يتنحى عن المضي في الإشراف على غرس يده، وموالاة الرعاية لهذا النبت، ولم يتم نماؤه بعد»[٢].

سيد قطب ومجلة «الفكر الجديد»:

ثم اتفق ســيد قطب بعد ذلك مع الحاج محمــد حلمي المنياوي ـ صاحب دار الكتــاب العربي وهو من جماعة الإخوان المســلمين ـ على أن يمول مجلة باســم (الفكــر الجديد)، ويكون ســيد قطب هو المشرف عليها. «وكان ذا ميول اسماها يومذاك بالاشتراكية» «وكان خط ســير المجلــة الهجوم علــى الإقطــاع وهو فــي عنفوانــه، وتبكيت

(١) الشيهد سيد قطب لطائفة من الكتاب: ١٤.
(٢) العالم العربي ـ العدد الخامس ـ ٢٣ رمضان ١٣٦٦ ـ صفحة ٤.

(الباشوات)، وهم في أوج المجد والسلطة، وتحدي الرأسمالية وهي التي تحكم مصر يومذاك»[١].

غضب عليه الملك فاروق، على أثر إصداره المجلة وضاق ذرعاً به، وطالب باعتقاله، بل قيل إنه (دس إليه من يطلق عليه النار، ولكن أخطأه الرصاص!! ونجا من محاولة الاغتيال)، ولكن رئيس الوزراء وكانت له بسيد قطب صلة عندما كان سيد في حزب الوفد، أوحى إليه أن يسافر إلى أمريكا، وأغلقت المجلة بعد صدور اثني عشر عدداً منها.

مقالاته الثورية قبيل الثورة:

ولما عاد من أمريكا، صار يكتب في ثلاث مجلات ـ بالإضافة إلى المجلات الأخرى ـ وكانت مقالاته فيها عنيفة وثورية، وهي مجلات: (الدعوة) التي يصدرها الإخوان المسلمون، و(الاشتراكية) التي يصدرها أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكي، و(اللواء الجديد) التي يصدرها فتحي رضوان أحد شباب الحزب الوطني، وكان أعنفها وأشدها مقاله في (الاشتراكية)، وأخفها الذي في (الدعوة)[٢]، وكثيراً ما كانت الرقابة تمنع صدور المجلة بسبب مقاله، أو تصدر وهي خالية بعد حذفه[٣]، وكان يحقق معه ثلاث مرات في الأسبوع، على مقالاته في المجلات الثلاث، وقد حاز سيد في هذه الفترة ـ بسبب مواقفه ومقالاته ـ إعجاب الجميع، واعتبر من الممهدين للثورة التي قامت بعد ذلك.

---

(١) مقالة الأستاذ يوسف العظم في (الشهيد سيد قطب) ٢٦.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٣) انظر على سبيل المثال الدعوة عدد ٤٨ تاريخ ١٥ يناير ١٩٥١م صفحة ٣ وعدد ٥٠ تاريخ ٢٩ يناير ١٩٥١م صفحة ٣.

وبعد قيام الثورة، وقبيل محنة الإخوان المسلمين، أسند إليه مكتب الإرشـاد لجماعة الإخوان المسـلمين، الإشـراف على مجلة الإخوان المسـلمين، وقام بعمله بجدارة، إلا أنها لم تعمر طويلاً، إذ صدر منها اثنا عشر عدداً ثم وقعت المحنة[١].

دعوة إلى جمع مقالاته ونشرها:

لقد قدم سيد قطب في المجلات المتعددة التي فتحت صفحاتها له نتاجـاً وافراً غزيراً، متعـدد الجوانب، منه الأدبي والنقدي، والشـعري والفلسـفي، والاجتماعي والسياسـي، والإصلاحي والإسلامي، وغير ذلك، ولو جُمِع هـذا النتاج، وصُنِّـف تصنيفاً ببليوجغرافيا ـ حسـب الموضوعات ـ لكان مساوياً في حجمه كتبَه الأدبية المطبوعة!! وإن في جمعه ونشـره ـ رغم ما به من آراء تخلى عنهـا صاحبها في أخريات أيامه ـ لخدمة عظيمة للأدب والثقافة، وللأدباء والعلماء، وكشفا لكثير من مواهب هذا العلامـة الجليل، وإضافة جديدة إلـى المكتبة الأدبية والثقافية والسياسـية من تراث هذا النابغة، وإظهاراً لصفحات منسـية مجهولة من سجله الثقافي، لم يطلع عليها كثير من الباحثين.

* * *

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

المبحث السادس
المرأة في حياته

فتاته الأولى في القرية:

المرة الأولى: عندما كان في قريتــه، وقبل أن يغادرها إلى القاهرة، كانت فتاته تربطها بــه صلة مصاهرة بعيدة، حيث كانت ابنــة عم زوجة عمه، وقد أعجبت برجولته وشــجاعته ونخوته، عندما كان يقــف مدافعاً عن الفتيات، حينما يعتدي عليهن أحد طلاب المدرسة، بالكلمة أو الإشارة، وكانت تزوره في البيت، مــع صويحباتها الطالبــات، بحجة اللعب مع شــقيقته الصغيرة، ووقعت محبتها في قلبه، كما أحس أنها هي الأخرى تُبادله نفس الشعور.

حدثنا سيد عن أوصافها، وما حببها إليه قائلاً: «كانت خمرية اللون، ذات طابع خــاص، غير مكرر في الوجوه... ولم تكن حســب مقاييس القرية جميلة، فليست بيضاء البشرة، وليس أنفها دقيقاً بالقدر المطلوب، وليس فمها كذلك (خاتم سليمان).... ولكنها هي وحدها من بين بنات المدرسة ـ بل من بين بنات القرية جميعاً ـ كانت تبدو في نظره جميلة، وكان ســر جمالها أنها ذات طابع خاص! وإن لم يكن يدرك في ذلك الحين معنى الطابع الخاص»(١).

وبعد غيبة ثلاثة أعوام في القاهرة، كان أول ما قام به في القرية عند وصوله إليها هو: (الســؤال عن مصير الطفلة التي فتنته أول مرة، وعلم أنها تزوجت، وأنها تزوجت في جهة نائية عن القرية، ورأى نفســه في حاجة لأن ينسحب من الجمع، ورأى عينيه تتغرغران بالدموع)!

---

(١) طفل من القرية: ٥٥.

فتاته الثانية قاهرية:

المـــرة الثانية: عندما شـــب وتخرج فـــي الكلية، وعمـــل في وزارة المعارف، وفي أواخـــر الثلاثينيات، كانت فتاته بنتـــاً قاهرية، ملامحها تكاد تشـــبه بنت قريته، فهي «لم تكن ممن يحسبهن العرف جميلات، كان تكوينها الجسدي ـ إذا استثنينا صدرها الفاتن ـ ليس ممتازاً، ولكن كانت هناك في وجهها جاذبية ســـاحرة، كانت خمريـــة اللون، واضحة الجبين، وفي عينيها وهج غريب، تطل منه إشراقة مسحورة»[١].

وبعد أن أحب سيد فتاته، وبادلته هي حباً بحب، تقدم لخطبتها من أهلها، وقد بنى في أحلامه عش الزوجية، وكانت تصغره بعشرة أعوام[٢].

لماذا فسخ خطبتها؟:

ولكن في ليلة الخطبة، وعندما تناول يدها ليلبِســـها خاتم الخطوبة: «أحس بيدها ترتعش ملتصقة في يده، ونظر فإذا دمعة تَنِدُّ من عينيها»[٣] وأحس بأن أحلامه قد تلاشـــت، إذ طلع عليها نهار الواقع المر المؤلم. وبعد إلحاحه في سؤاله عن سر دمعتها، اعترفت له بأنها قبل أن تتعرف به كانت تعيش قصة حب مع ابن جيرانها الضابط في الجيش.

بعد معرفة هذه الحقيقة تعذب ســـيد قطب وفتاته عذاباً مضنياً، لا هو يقدر على أن يتزوجها، لأنها لم تعد «عـــذراء القلب»، وهو يتطلب (في فتاة أحلامه مفارقات لا تجود بها الحياة، يتطلب الحورية القاهرية المغمضة العينيـــن، يتطلـــب الفتاة العـــذراء القلب والجســـد في زي

(١) أشواك: ٤١.
(٢) المرجع السابق: ١٠.
(٣) المرجع السابق: ٧.

قاهري)[١]. ولا هو قادر على فراقها لأن محبتها نُقشت على سويداء قلبه، وظللت سماء حياته.

وعاشا سنوات في هذه الحيرة، وهذا العذاب، وسارا طويلاً في الأشواك، وكانت تجري فصول مأساتهما في أيام الحرب العالمية الثانية[٢]. واتخذ سيد قطب من حرمانه وعذابه مادة لقصائده الشجية، التي راح ينشرها على صفحات المجلات.

قصيدة «الكأس المسمومة» فيها:

ومن أروع قصائده التي قالها فيها في هذه المرحلة، قصيدة (الكأس المسمومة) التي قال فيها:

أَقْلاكِ أَقلاك كالشيطانِ أَقْلاكِ ... أَقْلاكِ كالسُّمِّ يَسْري جَدّ فتّاكِ
أَقْلاكِ إنَّكِ في نَفْسي وفي زَمَنِي ... وَفي حَياتِيَ أَفْعَى ذَات أشْواكِ
سَمَّمْتِ عَيْشي وَأَحْلامي وَأَخْيلَتي ... وأَنْتِ شَيْطانَةٌ في سَمْتِ أَمْلاكِ
وَعِشْتُ أَرْعاكِ في قَلْبي وأَنْتِ بلا ... قَلْبٍ يَحُسُّ ويَرْعى كَيْفَ أَرْعاكِ
مَنْ أنْتِ؟ ما أَنْتِ؟ إنّي حائِرٌ قَلِقٌ ... أَأَنْتِ أُسْطورَةٌ في كَفِّ أَفّاكِ
أَنْسى اللَّيالي التي قَضَّيتُها قلِقاً ... وأَنْتِ ساكِنَةٌ راضٍ مُحيّاكِ
أنْسى الدُّموعَ التي أَرْسَلْتُها غَدِقاً ... وَلَسْتُ لَوْلا هواكِ المُرِّ بالباكي
وَكِبريائي التي ما كُنْتُ أَخْفِضُها ... مِنْ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ في دُنيايَ لَوْلاكِ
أنْسى وأَذْكُرُ أَحْلامي وأَخْيلَتي ... كَأَنَّهُنَّ نُجومٌ بَيْنَ أَحْلاكِ
وَكُلُّهُنَّ نَسيجُ الوَهْمِ في خَلَدي ... وَلَسْنَ غَيْر أَحابيلٍ وأشْواكِ
أَقْلاكِ؟ لَيْتَ! فإنّي لَسْتُ أَقْلاكِ ... أَهْواكِ؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْتُ أَهْواكِ

---

(١) المرجع السابق: ٧٠.

(٢) المرجع السابق: ٧٤.

أَهْـوى وأَقْلـى وَأَيّامـي مُوَزَّعَةٌ — بَيْنَ الهَوى والقِلى كالضاحِكِ الباكي
هذا الرَّحيقُ وهذا السُّمَّ قَدْ مُزِجا... — وَلَسْـتُ أَرْوى بِكأْسٍ غَيْرَ ريّاكِ
هَاتي لي السُّـمَّ صَرْفا لا يُمازِجُهُ — هذا الرَّحيقُ فإنّي لَسْـتُ بالباكي
مَلَلْتُ كَأْسَـكِ لا أَلْتَذُّ نَشْـوَتَها — ولا أُحَطِّمهـا تَحْطيمَ سَـفّاكِ[1]

وبعد معاناةٍ شـديدة، قرَّر فسـخَ الخطوبة، علّه يسلو، ولكن لم يزده البعد إلاّ شـوقاً، ولم يزده الحرمان إلا حنيناً، وكان يحاول أن يعود إليها، ولكن «كانت كبريـاؤه تأبى عليه أن يعود، وكانتْ مرارة الذكرى تطغى على حلاوتهـا في معظم الأحيـان، وكانت تجربته تذكّـره دائماً بالآلام، ولكن هـذه التجربة وتلـك الكبرياء لم تكن واحدة منهما بمستطيعة أن تصرف طيفها عنه، أو تمحو صورتها من نفسه»[2] وبعد فترة ظن أنه نسيها: (وأحس فيها حقيقة بأن عالمه قد خلا من تلك الأسـطورة اللعينة، ولكنه لم يسترح لهذا الإحساس، لقد شـعر بالفراغ والجفاف، وانتابه ما ينتاب المؤمن بعد الإلحاد، وما يصيب الصوفي بعد الضلال..)[3].

وقال في هذه الفترة عدة قصائد، منهـا «تطهير الصنم» و«عبادة جديدة» و«حب الشكور» و«نهاية المطاف».

قصيدة «نهايةالمطاف» في فراقها:

ونختار فيما يلي مقاطع من قصيدته (نهاية المطاف) التي يقول فيها:

---

(١) الرسالة ـ السنة الحادية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٢٩ تاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٤٣م صفحة ٦٦٩.

(٢) أشواك: ١١١.

(٣) المرجع السابق: ١١٢.

قد مَضى الحُلْمُ فَحَقِّقْ في العَيانْ هَلْ تَـرى إلاّ خَواءً فـي الزَّمانْ
وَتَهاويـلُ الـرّؤى يـا وَيْحَهـا غالَهـا الصَّحْوُ فَماتَـتْ مُنْذُ كانْ
نَمْ قَريـرَ العيْـنِ إنْ كُنْـتَ تنامْ لَفَّـكَ الصَّمْتُ وغَشّـاكَ الظَّلامْ
يَأْمَـنُ الدُّنيـا وَيَخْلـو لِلْكَـرى مُعْـدَمُ الكَفَّيْـنِ مَفْقـودُ الحُطامّ
قد خَلا الهَيكلُ مِنْ وَحْيِ الصَّنَمْ وَغَـدا مَعْبـودُكَ الأَسْـنى حُطَمْ
أَتُـطيـقُ الآنَ تَحْيا مُـلْـحِداً أَمْ تُـرى تَخْلـو لِشَـيطانِ النَّدَمْ
ضِقْتَ بِالخَوْفِ وَدُنْيا الاضْطِرابْ أَتَـرى الأَمْنَ هُنـا بَيْـنَ اليَبابْ
أَيُّها المَنْكوبُ فـي أَحْلى المُنى الحَيـاةُ الحُبُّ وَالحُـبُّ العَذابْ

إلى أن يقول:

أَيْـنَ أَحْلامُكَ بِالعِـشِّ الجَميلْ أَيْـنَ آمالُـكَ بِالظِّـلِّ الظَّليـلْ
قد مَضـى الحُلْمُ وَوَلّـى موهِنا فارْكَنِ الآنَ إلـى الصَّحْوِ الطَّويلْ
تَمَّ يـا مَنْكودُ مـا كُنْـتَ تَرومْ وَمشى السّـلْوانُ في الحُبِّ القَديمْ
نَمْ قَريـرَ العَيْنِ واهْنَـأْ بِالكَرى الكَرِىٰ المَيِّتُ في القَلْبِ العَقيمْ[1]

وبعد مضيٍّ ما يزيد على عام من فسخ الخطوبة، قرّر سيد إرجاعها، والاقتران بها، لأنه لم يطق صبـراً على فراقها، وذهب إلى بيتها، لكنها لم توافقه على رأيـه، وعللت معارضتهـا بقولها: «أنت رجل شـاعر، فلتمض إلى عملك الأدبي كفنان! قال ـ وقد حسـب أنها تتجمل، ولا تنوي ما تقول «لا يا سيدتي، إن كان الشعر لا ينضجه إلا الحرمان فأنا سأطلق هذا الشعر من الآن»[2]!

(١) الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٣١ تاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٥م صفحة ٨٤٩.
(٢) أشواك: ١٢٣.

وبعد أن انتهت علاقتهما بالفراق، راح سيد يسأل نفسه «تراه أخطأ الطريق، فطلب الحورية العذراء في بنت من بنات القاهرة، أم تراه أخطأ الطريق من أوله، فطلب حياة زوجية لا تصلح له بحال»[١]؟

قصة «أشواك» لعلاقته بها:

وقد ألّفَ قصته الرومانسية «أشواك»، وفيها تسجيل لقصتهما، وقدمها هدية لها، وقال في الإهداء: (إلى التي خاضت معي في الأشواك، فدَمِيَتْ ودميتُ، وشَقِيَتْ وشقيتُ، ثم سارتْ في طريق، وسرتُ في طريق: جريحين بعد المعركة، لا نفسُها إلى قرار، ولا نفسي إلى استقرار...)[٢].

وقد تزوجت هي من بعده! أما هو فقد قام بعدها بأكثر من محاولة للخطبة فالزواج، ولكنه لم يوفق في جميعها إلى ما يريد[٣]! ثم أُدخلَ السجن ولقي ربه شهيداً.

* * *

(١) المرجع السابق: ٧٠.
(٢) المرجع السابق: ٥.
(٣) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

المبحث السابع
سيد قطب في أمريكا

كان إيفاده إلى أمريكا عملية سياسية للتخلص منه أولا! ثم للحيلولة دون اعتقاله كما طلب الملك فاروق! وذلك أن الحرب العالمية الثانية، وما أحدثته من مآس بين أفراد الشعب المصري، وشروخ في بنيان المجتمع، جعلت سيد قطب يميل في مقالاته نحو معالجة هذه المشكلات، وصار يغلب على تلك المقالات الطابع السياسي والاجتماعي والانتقادي، وقد تمتع سيد بأسلوب حاد عنيف في هجومه وانتقاده، وكانت المجلة الجديدة التي اتخذها ميداناً رئيساً له ـ بالإضافة إلى مجلاته السابقة ـ هي مجلة (الفكر الجديد) التي مَوَّلها المنياوي، وترك لسيد الحرية الكاملة في كتابة ما يريد!

ضاق الملك فاروق ذرعاً به، وأوعز إلى رئيس الوزراء باعتقاله، ولكن رئيس الوزراء كان يحب سيد قطب يوم كان معه في حزب الوفد، فأوحى إليه أن يخرج من البلاد، وطلب من الدكتور عبد الرزاق السنهوري وزير المعارف أن يهيء له وسيلة الخروج، ولكن سيد قطب ساءه هذا، ولم يوافق على السفر، واستغرب كيف يضيق به وطنه، ويحال بينه وبين محاولات إصلاحه، حينئذ مُنِعَ من الكتابة في الصحف، وأَغلقت الحكومة مجلة (الفكر الجديد)، وأمام هذا التضييق لم يجد سيد بُدّاً من السفر.

طبيعة بعثته إلى أمريكا:

وبما أنه كان يعمل في وزارة المعارف، في مديرية التفتيش الفني، لذلك هيئت له مهمة تتناسب مع عمله، فتم إيفاده في بعثة (لدراسة

المناهج التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية) كما قال هو[١]، ولم تكن بعثة دراسية للحصول على الماجستير، كما ظن بعض من كتبوا عنه، وإنما كانت بعثة عملية، يقوم فيها بزيارة مختلف الجامعات والمعاهد العلمية هناك، حيث يطلع على مناهجها الفنية في التربية والتعليم، ليطبقها على وزارة المعارف عند عودته، كما لم تكن بعثته محددة بزمن معين، وإنما كانت مدتها مفتوحة، تنتهي بانتهاء دراساته الميدانية، فقد كان أمر إنهائها بيده هو، يعود متى شاء[٢].

وكانوا يهدفون ـ بالإضافة إلى إبعاده عن القاهرة ـ إلى تغيير أفكاره، وتثقيفه بالثقافة الأمريكية، وتجنيده لخدمة أمريكا، عندما يعود إلى مصر، حيث كانت أمريكا تخطط لمصر، وتعد أناساً من قادة الفكر والرأي من المصريين ليكونوا أداة لها في التنفيذ، ولذلك وضعوا لسيد برنامجاً مدروساً لإفساده أخلاقياً وفكرياً ونفسياً، ليعود أداة طيعة في أيديهم، كغالبية المبتعثين إليهم، ولكن خاب مسعاهم في هذه المرة، لأن الله رسم له منهجاً آخر، ونقل خطاه فيه! ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

قراره أن يكون صاحب رسالة وهو على الباخرة:

غادر سيد قطب مصر إلى أمريكا في أواخر عام ١٩٤٨م[٣]، على ظهر باخرة عبرت به إلى البحر والمحيط، وهناك على ظهر الباخرة أومض في

(١) أثبت هذا مصطفى العالم، نقلًا عن سيد قطب في (الشهاب)، السنة السادسة، العدد التاسع، أيلول ١٩٧٢م صفحة ٨.

(٢) أفادني بهذه المعلومات الأستاذ محمد قطب.

(٣) حتى نهاية أغسطس ٤٨ كان في القاهرة، إذ تدخل في النصف الثاني من هذا الشهر لإخراج عباس خضر من السجن. انظر الرسالة ـ السنة السادسة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٧٩٠ تاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٤٨م صفحة ٩٦٥.

قلبه نورٌ أضاء جوانحه قال عنه: (أخذتني نشــوة، ألقت بي في شعاع من نور، اطمأن له قلبي، واستراحت له نفسي، واطمأنَنْتُ إليه أيما اطمئنان).

وبعد إغفاءة قصيرة راح يخاطب نفســه: «أأذهب إلى أمريكا وأسير فيها سير المبتعثين العاديين، الذين يكتفون بالأكل والنوم، أم لا بد من التميز بســمات معينة؟! وهل غير الإسلام والتمســك بآدابه والالتزام بمنهاجه في الحياة، وســط هذا المعمعان المترف، المزود بكل وسائل الشــهوة واللذة والحرام؟! وأردت أن أكونَ الرجــل الثاني وأراد الله أن يمتحنني: هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هو مجرد خاطرة؟.

محاولات أمريكا لإسقاطه وإغوائه:

كان ابتلاء الله له، بعــد دقائق من اختياره طريق الإســلام! إذ ما إن دخل غرفته (حتى كان البابُ يُقْرَع، وفتحتُ، فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة، فارعة الطول، شبه عارية، يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري، وبدأتني بالإنجليزية: هل يســمح لي ســيدي بأن أكون ضيفة عليــه هذه الليلة؟ فاعتذرتُ بأن الغرفة معدة لســرير واحد، وكذا الســرير لشخص واحد. فقالت: وكثيراً ما يتسع الســرير الواحد لاثنين! واضررتُ أمام وقاحتها، ومحاولة الدخول عنوة لأن أدفعَ الباب في وجهها، لتصبح خارج الغرفة، وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمورة).

بعد نجاحه فــي الابتلاء الأول قــال: (الحمدُ لله، هــذا أول ابتلاء وشــعرتُ باعتزاز ونشــوة! إذ انتصرتُ على نفســي، وبدأتْ تسير في الطريق الذي رسمْتُه لها)[1].

---

(١) الشهاب ـ العدد التاسع ـ السنة السادسة ـ أيلول ١٩٧٢م ص٨.

هذه الفتاة كانت الوسـيلةَ الأولى في الخطـة الأمريكية لاحتوائه. ولكن الله علم منه صدق الاختيار، اختيار جانبه، فوفقه لهذا الانتصار.

واصل سيد مسيرته الجديدة، فراح يقيم الصلاة على ظهر الباخرة، ويدعو المسـلمين من ركابها لأداء صلاة الجمعـة، وقام هو بـأداء الخطبة وإمامة المصلين[١]، وعندما وصل إلى أمريكا كان مثال المؤمن المتمسك بإسلامه.

لم تنقطع المحاولات الأمريكية لإغرائه وإغوائه، أشار سيد إلى بعض منها: مثل تلك الفتاة التي قامت بجهـد كبير لغوايته، ولاحَقَتْه من جامعة إلى أخرى ومـن مدينة إلى أخرى[٢]، وتلك الفتاة التي ناقشَـتْه في معهد المعلمين في مدينة جريلي في كولورادو، في مسـائل جنسـية مكشوفة! وعامل الفندق الذي عرض عليه تلبية ما يريد من نزوات جنسـية طبيعية أو شاذة، وأثاره بالحديث المكشـوف عن عينات منها[٣]. والشاب العربي الذي كان يغريه بإسماعه قصصاً عن مغامراته الجنسية مع الأمريكيات[٤]. والممرضة التي كانت تُغريه وهو في المستشفى بإسماعه مواصفاتها التي تطلبها في الشـخص ليكون عشـيقاً لها[٥]. والفتاة الجامعية التي تريد أن تمحو من فكره النفور من الرذيلة الجنسـية، وتزعـم أنه عملية بيولوجية جسدية، لا داعي لإقحامها في المعاني الأخلاقية[٦]. وغير ذلك!

---

(١) انظر القصة في (ظلال القرآن) ٣: ١٧٨٦ دار الشروق.

(٢) انظر الشهاب ـ العدد التاسع ـ السنة السادسة: ٨.

(٣) الإسلام ومشكلات الحضارة: ٧٥.

(٤) الإسلام ومشكلات الحضارة: ٧٧.

(٥) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٩٥٩ تاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٥١م صفحة ١٣٠٤.

(٦) الرسالة ـ نفس المرجع السابق: ١٣٠٥.

ولكن الله ثبته في هذه المواقف جميعها، لأنه يعده لمهمة كبرى، واستعلى سيد قطب على الإغراء، وانتصر على الإفساد، وفشلت الخطة التي رسمت له.

وانعكست الآية، فبدل أن يتأثر هو بأمريكا، ويعود داعية لها، نراه قد وجد ذاته هناك، ووجد الإجابة على استفساراته عن الحياة وغاياتها، ومهمة الفرد فيها، فراح من هناك ينظر في كتاب الله المنظور، نظراته الفاحصة الدارسة، ويقرأ في كتاب الله المسطور ـ القرآن الكريم ـ حديثه عن هذا الكون، فالتقت النظرتان على ذاته ومشاعره ووجدانه، واستقرت العقيدة في قلبه، وغمر النور الرباني حياته، وأضاء له طريقه، فكيف تَحولُ قوى البشرية جمعاء بين فرد وبين هذا النور؟ وكيف تستطيع أن تكسب لصف الشر فرداً فتح الله قلبه على هذه الحقائق؟ قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

راح سيد يراسل أهله في القاهرة، ومعارفه وأصدقاءه في الداخل والخارج، يقص عليهم قصته مع الوجود، ويحدثهم عن مذاقاته الجديدة، ويرسم لهم ملامح شخصيته الجديدة، ويخبرهم بنظراته وأحلامه ومشاعره، وتطلعاته وأمانيه في المستقبل[١].

كشفه سوءات المجتمع الأمريكي:

لم يكتف بثباته على مبادئه، بل راح يَدْرس المجتمع الأمريكي عن كثب دراسة فاحصة، ويسجل ملاحظاته ونتائج دراساته، وعندما

(١) انظر مقالة (موسيقى الوجود) الكتاب ـ المجلد التاسع ـ الجزء الرابع ـ أبريل ١٩٥٠م صفحات ٣٢٦ ـ ٣٢٨ و(في الأدب والحياة) الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ـ أبريل ١٩٥١م صفحات ٣٨٩ ـ ٣٩٣، و(أضواء من بعيد) الكتاب ـ المجلد التاسع ـ الجزء الثاني ـ فبراير ١٩٥٠م صفحات ١٤٣ ـ ١٤٥.

نشـــر بعض ملاحظاته هذه فوجئ الناس بها، وتكشفت لهم أمريكا على حقيقتها. حيث تحدث عن بعض مشاهداته هناك: قسوتهم على الضعيف، ووقــوف جماعة منهم أمــام زميلهم الــذي يحتضر وهم يســخرون منه، وخــروج الزوجة بعد وفاة زوجها مباشــرة لســهرة جماعية، وفرح زوجة أخرى لوفاة زوجها لأنه كان مؤمّناً على حياته. وكشــف عن حقيقة موقف الأمريكيين من الفنون، وبُعدهم عن الفن الإنســاني، وكيفيــة زيارتهم للمتاحــف، وتذوقهم للوحــات الفنية المعروضة فيها، واشــترك في عدة نواد كنســية هناك، في كل مدينة عــاش فيها، لأنها كانــت تمثل ناحيــة هامة من نواحــي المجتمع، تســتحق الدراســة عن كثب ومن الداخل، وبيّن لنا الدافع لإنشــاء الكنائس، وموقف الشــعب منها، وكشــف عن انســياقها مع التيار الماجن، واســتخدامها أساليب شــاذة لاكتســاب الزبائن، وتهيئتها الأجواء لارتكاب الفواحش ودعوتها للرذيلة[1].

لقد عرّى ســيد قطب المجتمع الأمريكي ـ المثل الأعلى لكثير من المثقفين في البلاد الإســلامية ـ وأبان عن مباذله ومفاسده، وانحطاطه الخلقي والاجتماعي والإنســاني، وصار: (دائم الشعور باستخسار هذا الشعب، الذي يصنع المعجزات في عالم الصناعة والعلم والبحث، ألاّ يكون لــه رصيد من القيم الإنســانية الأخــرى) ولذلك فهو: (شــديد الإشفاق على الإنسانية أن تؤول قيادتها إلى هذا الشعب، وهو فقير من تلك القيم جميعاً)[2]!

---

(١) انظر المقالات الثلاث القيمة التي نشرها في (الرسالة) تحت عنوان (أمريكا التي رأيت) السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٩٥٧ صفحات ١٢٤٥ ـ ١٢٤٧. وعدد ٩٥٩ صفحات ١٣٠٢ ـ ١٣٠٦. وعدد ٩٦١ صفحات ١٣٥٧ ـ ١٣٦٠.

(٢) الرسالة ـ عدد ٩٦١ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥١م صفحة ١٣٥٧.

مهاجمته أمريكا وحضارتها:

كثيراً ما كان يهاجم أمريكا وحضارتها ومبادئها، أثناء وجوده هناك، ويبرز مآسـيها وأمراضها، ويبين بالمقابل ما في الإسلام من خير، قال: (بعض هؤلاء «الأمريكيين» كانوا يواجهوننا ـ نحن القلائل المنتسبين إلى الإسلام ـ في أمريكا، في السنوات التي قضيتها هناك ـ وكان بعضنا يتخذ موقف الدفاع والتبرير.. وكنتُ على العكس أتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية!.. سـواء في معتقداتها الدينيـة المهلهلة، أو أوضاعها الاجتماعية والاقتصاديـة والأخلاقية المؤذيـة..)، (وكانت هذه حقائق نواجهها في واقع الحياة الغربية، وهي حقائـق كانت تُخجل أصحابها حين تُعرض في ضوء الإسلام)[١].

لم يتخل أثناء وجوده هناك عن اهتماماته السياسية، وتفكيره في بلده، وواقعها السياسي السيئ، فقد كان يكتب المقالات السياسية في المجلات الأمريكيـة، منها مقال كتبه فـي مجلة (Fulcrun) التي تصـدر في مدينة جريلي بكولورادو بعنوان (العالم وَلَدٌ عاقّ) «بنى فكرته على الأسـطورة المصرية القديمة، التي تتضمـن أن التاريخ كان في جولته التي يقوم بها، لتتبع الأحداث وتسجيلها، وقد جرى أن يسـأل الآلهة عما يغمض عليه، فشاهد امرأة تعلّم طفلاً، فسأل الإلهَ عن ذلك، فأجابه بأن المرأة هي مصر، وأن الطفل هو العالم، وترمز الأسـطورة إلى أن مصر هي أم الحضارات. وقال الأستاذ سـيد: إن العالم بعد أن كبر عَقّ أمه ومعلمته مصر، فأمريكا مثلاً خَذَلَتها في قضاياها السياسية ووقفت مع أعدائها»[٢].

(١) معالم في الطريق: ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) الرسالة ـ السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الأول ـ عدد ٨٦٨ تاريخ ٢ فبراير ١٩٥٠م صفحة ٢٢٣.

تنافس المخابرات البريطانية والأمريكية لاحتوائه:

وقد كان يتنافس رجـال المخابرات الأمريكية والبريطانية عليه، كل يريد كسبه إلى جانبه، الأمريكيون بوسائلهم الكثيرة لإغرائه واجتذابه، والبريطانيون بوسائلهم التي يشككون فيها بنوايا الأمريكيين.

حدثنا سيد عن وسيلة منها قائلاً: (والكثير من الحاكمين في الدولة الأمريكية تخرجوا في المعاهد التبشيرية، وهي حقيقة أفضى بها إليَّ أحد الأساتذة الإنجليز، الذين التقيتُ بهم في أمريكا، وعَدَّ لي عشرات من الأسماء البارزة في وزارة الخارجية الأمريكية، وفي السلك السياسي، ولم يكن يفضي إليَّ بهذه الحقيقة بريئاً لوجه الله، وإنما هو ـ كما عرفتُ فيما بعد ـ أحدُ رجالِ قلم المخابرات البريطاني، الذين يهمهم ألاّ يثقَ الشرقيون كثيراً في نيات أمريكا، مما دعاني إلى التشكك في بياناته لي، فتحقَّقْتُها بوسائل أخرى)[١].

هذا الرجل الذي أشار إليه اسمه (جون هيُووِرْث دِنْ) وقد ادعى الإسلام وتسمّى باسم (جمال الدين دِن) وتزوج مصرية مسلمة اسمها فاطمة، وقد عرض على سيد قطب ـ إغراءً له ـ أن يترجم كتابه الجديد (العدالة الاجتماعية في الإسلام) إلى الإنجليزية مقابل عشرة آلاف دولار[٢]. ولكن سيد قطب رفض العرض، وأعطى الكتاب إلى (المجلس الأمريكي للدراسات الاجتماعية) ليترجم مجاناً. حيث قام بترجمته المستشرق يوحنا «جون.ب.هاردي» الأستاذ بجامعة هالفكس بكندا[٣].

---

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٣) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الأول ـ عدد ٩٢٣ تاريخ ١٢ مارس ١٩٥١م صفحة ٣١٥.

وليس غريباً أن تتنافس على اكتسابه بريطانيا وأمريكا، لأنهم توقعوا أن يكون له دور مهم في وزارة المعارف، ويخشون منه على عملائهم فيها، هذا ما حدث مع الدكتور طه حسين، إذ عندما أصبح وزيراً للمعارف وكان الإنجليز «يعرفون» أن ميول الرجل ـ حسب ثقافته ـ فرنسية فلما صارت إليه وزارة المعارف، أدركوا أن هناك خطراً على الثقافة الإنجليزية قد يصيبها مع وجود هذا الوزير، وهنا فقد تذكروا أن طه حسين أديب كبير، يستحق الدعوة إلى انجلترا. والضيافة على الحكومة البريطانية، والمعهد البريطاني، والتكريم بالألقاب الجامعية من جامعات انجلترا، فقط عندما صار وزيراً للمعارف، إنه الاستعمار يخشى على حبائله في وزارة المعارف أن تتكشف أو تتزعزع»[١].

عودته إلى مصر بعد سنتين:

وفي أُخريات أيامه هناك، سيطر عليه الشوق إلى مصر، وراح ينتظر قدومه إليها بفارغ الصبر، ومما يصور هذا قوله في قصيدته (هتاف روح):

في النَّفْسِ يا مِصْرَ شَوْقٌ ... لِخَطْرَةٍ في رُباكِ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَراكِ ... لِنَفْحَةٍ مِنْ جَواكِ
لِلَيْلَةٍ فيكِ أُخْرى ... لِهاتِفٍ مِنْ رُؤاكِ
ظَمْآنُ تَهْتِفُ روحي ... مَتى تُراني أَراكِ؟؟[٢]

وبما أنه لم تُحَدَّدْ له مدة معينة لبقائه هناك، ولم يُطلب منه الحصول على شهادة دراسية عليا، وإنما فقط ليطلع على نظم التعليم، فقد رأى

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) الرسالة ـ السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الأول ـ عدد ٨٧٧ تاريخ ٢٤ أبريل ١٩٥٠م صفحة ٤٧٢.

سـيد أن مهمته قد انتهت، والأرجح أنه علم أن الأسباب التي أُبْعِدَ من أجلها عن مصر قد خَفَّتْ، وأنه إن عاد فلنْ يَنال منه أحد، لا سيما وأن الملك فاروق قد ضعفت سيطرته الفعلية على البلاد، عندها قرر العودة إلى مصر، حيث وصلها في ٢٠ أغسطس عام ١٩٥٠م[1].

* * *

(١) الرسالة ـ السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٨٩٤ تاريخ ٢١ أغسطس ١٩٥٠م صفحة ٩٥٨.

المبحث الثامن
سيد قطب مع جماعة الإخوان المسلمين

بعد أن احتل سـيد قطب مركز الصدارة في الأدب والنقد والشعر، وبعد أن أصبح رائد مذهب أدبي متميز، رسم الله له طريقاً جديداً وأعدَّ له مهمة جديدة، ووفقه وأخذ بيده نحوها، ونقل خطواته فيها، تلك هي وجهته إلى الإسلام وخدمته له.

دخل سيد قطب عالم الفكر الإسـلامي بعد أن اتسعت آفاقه، وازدادت ثقافته، واستقام بيانه، وسـلس أسلوبه، وصفت قريحته، وتفتحت شاعريته، لقد كانت حياته الأدبية مرحلة لا بد منها لحياته الإسـلامية، وأساساً متيناً لنجاحه في حياته الجديدة، تزود منها بالصفاء والبيان، والشـاعرية والدقة والوضوح، تزوّد منها بقوة الفكرة ومتانة العبارة، وشاعرية الأسلوب، بحيث يؤثر في وجدان القارئ بأسـلوبه وبيانه، فيسـير معه شبه مسحور، ويتلقى عنه الأفكار والقيم والمبادئ، التي عبر عنها بهذا الأسلوب السلس الساحر.

مراحل حياته الإسلامية:

لم يكن اتجاه سيد قطب إلى العمل الإسلامي قد تَكَوَّنَ بين عشية وضحاها، وإنما اتجـه إليه تدريجياً وعلى مراحل، وقد ذكر هو نفسـه للنـدوي ـ عند لقائه بـه ـ مراحل حياتـه، وكيف وصل إلـى العقيدة الإسلامية أو الإيمان بالإسلام من جديد:

١ ـ نشأ على تقاليد الإسلام، في الريف وفي بيته.

٢ ـ ثم انتقل إلى القاهرة، فانقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولى، وتبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الإسلامية.

٣ ـ مرَّ بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود.
٤ ـ ثم أقبل على مطالعة القرآن لدواع أدبية.
٥ ـ ثم أثر فيه القرآن، وتدرج به إلى الإيمان[1].

ومن المعروف أنه في القاهرة اتصل بالعقاد، ووجهه وجهة أدبية فنية نقدية، وعاش حياة أدبية لفترة طويلة، تقدر بحوالي ربع قرن، ومع هذا كان سيد يلمس الجدب الروحي والوجداني والشعوري عند أستاذه العقاد، وينتقده بين الحين والآخر، ويراه أديب العقل والذهن المجرد، ولم يُشبع العقاد حاجات سيد الروحية العظيمة، والتي صاحبته طيلة حياته، لكنها كَمُنَتْ وتوارت طيلة صلته بالعقاد، بسبب تأثيره عليه، وعندما افترق عنه عادت هذه إلى الظهور مرة أخرى، وأنبتت بذورها في نفسه وروحه ووجدانه من جديد.

فلا عجب إذن أن نراه مع العقاد وقد «تبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الإسلامية»، بل أن يمر «بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود». كما قال للندوي.

اتصل سيد قطب بالقرآن، وراح يطالعه لدواع أدبية، عندما كان يُعد بحثه عن «التصوير الفني في القرآن» وقد قرأه متصلاً مرات متوالية، قرأه قراءة دارسة فاحصة، وهنا التفت ـ مع اهتمامه بالجانب الفني ـ إلى جوانب أخرى تستحق الدراسة، فأعد بحثه الآخر عن «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، وما انتهى منه إلاّ وقد أثر فيه القرآن وقاده إلى الإيمان من جديد، ووجد نفسه، ووجد في القرآن الجواب الشافي

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندوي: ١٨٩.

على أســئلته التي حيرتْه، ونمت بذور العقيدة في كيانه، واستوتْ على سوقها، وراح يغذيها بنظراته المتجددة في القرآن وحياته في ظلاله.

تركه الأحزاب كلها:

وقد أشرنا سابقاً إلى أنه بدأ حياته السياسية مع حزب الوفد، وبقي فيه فتــرة طويلة إلى أن وقع حادث فبرايــر ١٩٤٢م، عندما انفصل عنه وانضم إلى حزب الطليعة الوفدية أو حزب الســعديين، الذي انشق عن حزب الوفد، وبقي فيه إلى عام ١٩٤٥م، حيث ترك الأحزاب كلها.

وقال:

«هذا القلم ليس لحزب من الأحزاب، فقد بات صاحبه لا يرى في الأحزاب إلا أقزاماً، بعد أن خلا الميدان من كل جبار، فهو بهذا يتوجه إلى مصر الخالدة، وهي أخلد وأسمى»[١].

ويقول مبيناً ســبب تركه الأحزاب، مصوراً شخصيات رجالها: «فلم أَعُدْ أجــد في حزب من هذه الأحراب ما يســتحق عناء الحماســة له، والعمل من أجله، كلهم ســواء أولئك الرجال! رجــال الجيل الماضي، للجميــع عقليــة واحــدة لا تصلــح لهــذا الجيــل ـ عقليــة أنصاف الحلول ـ كلهم نشؤوا وفي قرارة نفوسهم أن إنجلترا دولة لا تقهر، وأن الفقر مرض مستوطن، وكلهم يؤمن ـ إن كانت قد بقيت لأحدهم طاقة الإيمان بشيء ـ أن الله خلق الدنيا في ستة أيام! هؤلاء جميعاً لم يعودوا يصلحون لقيادة الجيــل، أعصاب منهوكة، وقلــوب خاوية من الإيمان الحار بشعبهم وأمتهم)[٢].

---

(١) الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٤٨ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥م، صفحة ١٣٠٩.

(٢) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٨١ تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م: ٧٩٦ ـ ٧٩٧.

لم يكن لسيد قطب، وقد فقد إيمانه بالأحزاب وتخلى عنها، لم يكن له أن يجلس في بيته، يبكي على وطنه، دون أن يتحرك لإصلاح مجتمعه، والقضاء على مظاهر الفساد فيه، فراح يكتب المقالات السياسية في الهجوم على الاستعمار الإنجليزي في المجلات القائمة، مثل (الرسالة)، وأنشأ مجلتين خصصهما لمحاربة الإقطاع والظلم السياسي والاجتماعي، وهما (العالم العربي) و(الفكر الجديد)، ولم يمكث طويلاً في المجلة الأولى، وضاق الملك فاروق بمقالاته في المجلة الثانية، فأغلقها، ومُنع سيد من الكتابة.

كان منزله في (حلوان) منتدى عاماً، يقصده الشباب المتلهف على الإصلاح، ليستفيد من تجارب سيد، ويستمع لأحاديثه وندواته وتوجيهاته، ولم يكن سيد يفكر في تنظيم هؤلاء الشباب، ولكنه كان يشعل فيهم نار الثورة، وكانت ثورة إسلامية، تدعو إلى الإصلاح على أساس الإسلام.

سيد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين:

في هذه الفترة كانت جماعة الإخوان المسلمين في قمة نشاطها، وقد استقطبت مختلف فئات الأمة، من مثقفين وعمال ومهنيين، واستحوذت على اهتمام كبير في الداخل والخارج.

وكان هناك التقاء في بعض أفكار سيد قطب مع أفكار الإخوان المسلمين، فعندما نشر في جريدة (الأهرام) وفي مجلة (دار العلوم) نقده لكتاب «مستقبل الثقافة في مصر» للدكتور طه حسين، تبنت جريدة (الإخوان المسلمين) هذا النقد، ونشرته على صفحاتها[1].

---

(١) المجتمع عدد ٢١٥ تاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٧٤م صفحة ١٦.

واتصل بالإخوان عن طريق اتفاقه مع الحاج محمد حلمي المنياوي صاحب دار الكتاب العربي، وعضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين، حيث اتفق معه على إصدار مجلة (الفكر الجديد).

واتصلَ ثالثة بالإخوان عندما قَدَّمَ إلى المطبعة كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) وَقَدَّم له بمقدمة، ظنت السلطات المصرية أن المقصود بها هم شباب الإخوان المسلمين ـ الذين كانوا في السجون ـ فصادرت الكتاب، مع أنه ـ للحقيقة ـ لم يقصد في مقدمته شباب الإخوان[1]، وإنما كان يقصد شباباً لمحهم بعين الخيال، ويراهم أمنية وحلماً، وهو ما تحققه بعد ذلك في شباب الإخوان.

لم توافق السلطات على طبع الكتاب إلاّ بعد حذف الإهداء، فتم حذفه.

وحتى ذلك الحين ـ عند ذهابه إلى أمريكا ـ لم يكن ـ على حد قوله: «لم أكن أُعطي الحركة الإسلامية ولا مرشدها من اهتمامي ما يجعلها على مستوى التنظيمات السياسية أو الدعوات الاجتماعية الأخرى، ولم أكن أتصور أنها تُشكلْ في بؤرة الشعور الغربي شيئاً يذكر، حتى صدمني الواقع من حولي في أمريكا، وهزني هزّاً، وفتح عيني فتحا على ما لم أفطن إليه من قبل»[2]. وهذا الواقع الذي أثر فيه، وفتح عينيه على الحركة الإسلامية، يتمثل في حادثتين:

حادثتان دفعتاه إلى الإخوان:

الأولى: عندما تم اغتيال الإمام حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، على أيدي رجال الملك فاروق، وبإيعاز من

(١) انظر المجتمع ـ نفس المرجع ـ صفحة ١٧، وقد أكد لي هذا محمد قطب.

(٢) المجتمع عدد ١١٥ تاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٧٢م صفحة ١٠.

الدول الاستعمارية، في فبراير ١٩٤٩م، وكان سيد وقتها في المستشفى في إحدى المدن الأمريكية، فشاهد الفرح والابتهاج، بل والشماتة في كل شيء من حوله: في الصحافة، وفي جميع أجهزة الإعلام، وفي كافة المنتديات! كلها تهلل ويهنىء بعضها بعضاً، بالتخلص من أخطر رجل في الشرق»[١].

الثانية: حادثَتُه مع رجل المخابرات البريطانية «جون هيوورث دن»[٢] حيث دعاه أكثر من مرة إلى بيته، وراح يحدثه عن أحداث مصر السياسية والاجتماعية، والمخاطر التي تنتظرها في المستقبل، وأخذت جماعة الإخوان المسلمين قسطاً وافراً من أحاديثه، وراح يَعرضُ على سيد قطب تقارير مفصلة ودقيقة عنها، وعن تحركات حسن البنا وخطبه ونشاطاته، منذ أن تكونت الجماعة في مدينة الإسماعيلية عام ١٩٢٨م، إلى أن تم اغتياله عام ١٩٤٩م، وعقَّب رجل المخابرات على أحاديثه بتصوير الخطر الماحق الذي يحل بالبلاد، لو نجحت هذه الجماعة، واستلمت الحكم، حيث توقعُ مصر في التأخر، وتحول بينها وبين الحضارة الغربية، وأظهر له أن الأمل معقود على أيدي الشباب المثقفين والمفكرين من أمثاله، ليحولوا بين هذه الجماعة وبين استلام الحكم، كما نصحه بالكف عن معاداة بريطانيا والهجوم عليها، لأنها إن خرجت من مصر فستحل أمريكا محلها، وهي أشد عداء منها[٣].

وقال سيد قطب: «قلت في نفسي: الآن حصحص الحق، وأيقنتُ أن هذه الجماعة على الحق المبين، ولم يبق لي عذر عند الله إن لم أتبعها،

---

(١) المجتمع ـ عدد ١١٥ ـ أغسطس ١٩٧٢م صفحة ١٠.

(٢) انظر صفحة ١٧١ من هذا الكتاب.

(٣) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

فهذه أمريــكا ترقص على جمجمة حســن البنا، وهذه بريطانيا تُســخر أجهزتها وأقلام مخابراتهــا ـ حتى داخل أمريــكا ـ لمحاربة الإخوان. فصممت في قرارة نفســي أن أنضم إلى الإخوان المســلمين، وأنا لم أخرج بعد من منزل رجل المخابرات البريطاني.

ولذلك انقطع عن الكتابة في الصحف طيلة وجوده في أمريكا، وكان بإمكانه أن يكتب، وأن يرسل مقالاته إلى الصحف والمجلات لتنشرها، ولكنه عزف عن الكتابة، ويعلل هذا بقوله: «ولعل منشأ هذا العزوف كان هو الرغبة في تحقيق شــيء أكبر مــن الكتابة، إنني علــى إيماني بقوة الكلمة وامتدادها، كنت أحسب أننا في مصر وفي الشرق قد تكلمنا أكثر مما ينبغي، وأنه آن لنا أن نصنع شيئاً آخر وراء الكلام وغير الكلام»[1].

وقد فكر ســيد وهو في أمريكا في عمل شــيء آخــر غير الكلام والكتابة، فكر في أن يبدأ العمل للإسلام، بتربية مجموعات من الشباب المثقفين، تتكون كل مجموعة من خمســة أفراد، ولكنه فكر في خطته التي رســمها ملياً، وقال مخاطباً نفسه: (لماذا أبدأ من أول الطريق، وقد بدأ غيري وساروا مراحل واسعة في هذا السبيل؟ أليس الأفضل أن أبدأ من حيث انتهوا؟ وأتابع طريقهم في هذا المجال)[2].

مظاهر إعجابه بحسن البنا:

صمــم بعد عودته مــن أمريكا أن يــدرس عن حســن البنا، قال: «وقرأت جميع رســائل الإمام الشــهيد، ووقفت على ســيرته النقية،

---

(١) الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ـ أبريل ١٩٥١م صفحة ٣٨٩.

(٢) الشهاب ـ السنة التاسعة ـ العدد السادس ـ أيلول ١٩٧٢م صفحة ٨.

وأهدافه الحقة، وعلِمتُ لماذا يحارَب، ولماذا قُتل، وعاهدتُ الله على أن أحمل الأمانة من بعده، وأواصل السير على نفس الطريق الذي لقي الله عليه»[١].

وكان سيد قطب معجباً جداً بالإمام الشهيد، وكان إعجابه يتركز على عبقرية البنا في ناحيتين:

أولاً: في البناء النفسي المتوازن لأعضاء الحركة، بإيجاد النِّسَبِ المتكافئة بين العلم والروح والحركة من جهة، وبين المدارس الإسلامية المتخصصة كالصوفية والسلفية والمذهبية من جهة ثانية.

ثانياً: في البناء التنظيمي للجماعة، وقد كان هذا البناء هو الأول من نوعه في العالم بالنسبة للعمل الجماعي[٢].

عاد سيد إلى مصر، والحظر ما زال مفروضاً على الإخوان المسلمين، ولكن الإخوان كانوا يمارسون نشاطهم العملي، رغم عدم التصريح القانوني لهم، وكانت لهم صحف يكتبون فيها مثل صحيفتي (المباحث) و(الدعوة). وفتحت «الدعوة» صفحاتها أمام مقالاته، وصار يكتب في الصحف الثلاث التي كانت تكافح الطغيان، (الدعوة) مجلة الإخوان، و(الاشتراكية) مجلة الاشتراكيين، و(اللواء الجديد) مجلة الوطنيين، وكانت مقالاته من القوة بحيث أزعجت الطغاة، وأثرت في قلوب الجماهير.

---

(١) المجتمع ـ عدد ١١٥ تاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٧٢م صفحة ١١.

(٢) سيد قطب لبركات: ١٦ وانظر مقاله في (دراسات إسلامية) «حسن البنا وعبقرية البناء» طبعة الشروق: ٢٢٥ ـ ٢٣٠.

انضمامه إلى الإخوان المسلمين:

وعندما اطمأن صالح عشماوي ـ أحد قادة الإخوان المسلمين البارزين ـ إلى صدق سيد قطب دعاه إلى الانضمام إلى الإخوان، فلبى الدعوة[١].

واتجه بنية صادقة وهمة عالية ودأب عجيب إلى خدمة الإسلام والحركة الإسلامية، وصار يكتب المقالات العنيفة الحادة، التي مهد بها لقيام الثورة المصرية، واعتبر كأنه (ميرابو)[٢] الثورة، وقد أقضَّتْ مقالاته مضاجع الطغيان، وجَرَّتْ عليه الكثير من المضايقات، ولقد أشفق الكثيرون من أصدقائه وزملائه عليه، وراحوا يزينون له الركون والسكوت، بحجة أن الشعب لم يبلغ درجة من الوعي يتابعه ويدرك ما يريد، وقد صور سيد على لسان أحد زملائه الخطر المحدق به قائلاً: «وأنت تُجابه قوى جارفة، قوى تملك أن تشتري دولاً وأمماً وشعوباً، قوى مدربة، لها عملاء في كل مكان، ولها أجهزتها التي مرنت على العمل.. هذه القوى تملك أن تحيلك متهماً في أعين مواطنيك، تملك أن تجردك من سمعتك ذاتها، فتظهر للناس خائناً، وتجد ألف شاهد وألف جهاز من أجهزة الدعاية تهتف بذلك ليل نهار.. إنك لست غنياً ولست فتياً...»[٣]..

وبعد محاورة بينهما قال له زميله: «فهمت. فهمت، إذن أنت تريد أن تموت». فرد عليه قائلاً: «لا يا صديقي إنك لم تفهمني بعد. إنني ما أردت أن أموت. أؤكد لك أَنني أريد أن أحيا، أريد أن أحيا حياة طويلة، فأنا لم أشبع من هذه الحياة، وأنا لم أُتمّ إلاّ القليل من الواجبات التي

(١) المجتمع ـ عدد ٢١٥ تاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٧٤م صفحة ١٧.

(٢) ميرابو: الرجل الذي مهد للثورة الفرنسية. انظر الشهيد سيد قطب: ٤٦.

(٣) دراسات إسلامية: ١٤١ أليس هذا بالضبط ما حدث له عامي ١٩٥٤م و١٩٦٥م؟ لقد كان ينظر في المستقبل وحوادثه بنور الله!.

أرجو أن أُوفق إلى النهــوض بها.. وأمر آخر: إني قــد بعدت فترة من حياتي عــن الله. وإني لأرجو أن أعيش حتى أُنفــق من عمري في قربه فترة تعدل كفتي الميزان.

ولكنَّ الموت والحياة غيب من غيب الله، فــلا يجوز أن يكونا في حساب أحد يريد أن يؤدي واجباً، أو يغير منكراً، أو يذهب ويجيء[١].

نشاطه السياسي والدعوي المكثف:

وراح ســيد بالإضافة إلى مقالاتــه الغزيرة، يُعِــدُّ البحوث، ويلقي المحاضرات، ويعقد الندوات، ويدير الجلسات، ويشترك في المناقشات، وكمــا كان يجذب القــارئ إليه جذبــاً، كان يؤثر في قلوب ســامعيه، فيتفاعلون معه، ويسلّمون قيادهم إليه، ولقد شهده المركز العام للإخوان المســلمين محاضــراً ومتحدثــاً، يجتمع عليــه العديد مــن الإخوان، يســتفيدون من تجاربه، ويعملون بتوجيهاته وآرائه، كما شــهد بيته في حلوان الأفواج من الشــباب الإســلامي، من المصرييــن والمغتربين، يَفِدون إليه لحضور ندواته المتكررة التي يقيمها فيه.

وإن الناظر في حياة ســيد قطــب وفي أوجه نشــاطه، وفي نتاجه، ليعجب أشد العجب، ويتساءل كيف استطاع سيد أن يقوم بهذه الأعمال كلها، وهي تحتاج من الرجل وقتاً واســعاً ليقوم بهــا، إن وقته محدود كغيره، وإنّ يومه لا يزيد عن أربع وعشرين ساعة، ولكن الله الذي علم منه صدق توجهه إليه، وجديته في السير إليه، بارك له في وقته، وهداه للاستفادة القيمة منه، وكأنَّ الساعات قد ضوعفت له!.

---

(١) دراسات إسلامية: ١٤٣ ـ ١٤٤ وهو وإن لم يذكر اسمه صراحة، ولكنه ذكر صفاتٍ وأوصافاً تدل عليه. فهو يتحدث عن نفسه.

من أبرز ما قام به سيد في هذه الفترة دعوته إلى قيام الكتلة الإسلامية، التي تضم جميع الشعوب الإسلامية، ككتلة ثالثة تختلف عن الكتلتين الشيوعية والرأسمالية، وتستقل بنفسها، وتثبت ثقلها الدولي، وتتحرر من سيطرة النفوذين الشيوعي والرأسمالي، وألقى المحاضرات وكتب المقالات شارحاً دعوته هذه، وقد تبنى الإخوان المسلمون الدعوة، ودَعَوْا إليها في وسائل نشرهم، ولكن الأحداث اللاحقة وَأَدَتْ هذه الدعوة في مهدها!.

دوره في التحضير للثورة:

كان لسيد قطب دور عملي في التحضير للثورة، وقد بين الضابط محمود العزب هذا الدور بقوله: «إن رائدنا وأستاذنا سيد قطب هو الذي رعى الثورة جنينا فوليدا، وأَمَرَنا أن نستعدّ لها» ثم قال: «قُبيل الثورة بأيام تلقينا من الأستاذ سيد قطب أمراً، بأن نكون على استعداد، وكنتُ على رأس تنظيم الإخوان المسلمين في بور سعيد، ولما تلقيتُ الأمر حضرتُ إلى القاهرة، ومضيتُ إلى منزل الأستاذ سيد، وكان ذلك في يوم ١٩ يوليو، وكان لديه بعض قادة الثورة منهم البكباشي جمال عبد الناصر! وذكر لي الأستاذ سيد أن أكونَ أنا ومن معي على أهبة الاستعداد، وأن يكون الإخوان المسلمون المدنيون على استعداد أيضاً، فإذا سمعنا بقيام الثورة كنا حماتها، وحَفَظَةَ الأمن في بور سعيد، وحَذَّرْنا من سفك الدماء[١].

ومجيء جمال عبد الناصر مع مجموعة من رجاله إلى بيت سيد قطب قبل قيام الثورة بأسبوع، يدل على الدور الكبير الذي قام به سيد قطب في التحضير للثورة، وتجنيده كافة الطاقات لنجاحها، كما يدل

---

(١) كلمة الحق: السنة الأولى ـ العدد الثاني ـ مايو ١٩٦٧م ـ صفحة ٣٨.

على مكانته الرفيعة ـ الظاهرة ـ عند رجالهـا، حيث يأتمنونه على أدق أسرارها، ويدرسون معه خططها وتفصيلاتها!.

ولما قامت الثورة عام ١٩٥٢م كان سيد قطب موضع احترام وإكبار رجالها جميعاً، اعترافاً بجهوده التي بذلها فـي التمهيد لها، فكان كثير من قادتها يتردد على منزله في «حلوان»، وكان هو المدني الوحيد الذي يحضر جلسـات مجلس الثورة أحيانـاً، ولقد كان متواضعـاً لا يعمل للشـهرة، ويبتعد عن الأضواء، ويمتنع عن حضور الحفلات العامة، مع أعضاء مجلس قيادة الثورة، وقد نشـرت له في السـنة الأولى للثورة، بعض الصور التذكارية مع محمد نجيب، ومع جمال عبد الناصر، ومع غيرهما من رجالات الثورة وقادتها.

تكريم سيد قطب في نادي الضباط:

وكمظهر من مظاهر تكريم قادة الثورة لسيد قطب، فقد طلبوا منه أن يلقي محاضرة فـي نادي الضبـاط بالزمالك، وجعلـوا عنوانها (التحرر الفكري والروحي في الإسـلام) وكان ذلك في شهر أغسطس ١٩٥٢م، وقَبِلَ سـيد قطب الدعوة، وفي الموعد المحدد ازدحـم النادي بحدائقه وأبهائه الفسيحة بالحضور، من كافة فئات الشعب، حيث حضرها: «جمع لا يحصى من الشعب، وحضر إلى النادي أبناء الأقطار العربية والإسلامية الموجودون في مصر، وكثير من رجال السـلك السياسـي، وكبار زعماء الأدب والفكر والقانون والشـريعة، وأسـاتيذ من الجامعـات والكليات والمعاهد، كما حضر الدكتور طه حسين وأحمد لطفي السيد..»[1].

---

(١) نفس المصدر.

وقد حرص قادة الثورة على حضور هذه المحاضرة، وكان من المقرر أن يتولى محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة تقديم سيد قطب إلى الحضور، وتقديم محمد نجيب ـ قائد الثورة ـ سيد قطب دليل آخر على سمو منزلة سيد، ورفعة مكانته عند قادة الثورة.

إلا أن عذراً عارضاً اضطر محمد نجيب إلى التخلف، فأناب عنه نائبه جمال عبد الناصر، وبعث برسالة مع أنور السادات، يعتذر فيها عن الحضور، وقد تليت رسالته على الحضور، وقد وُصِفَ سيد قطب فيها «بأنه رائد الثورة ومعلمها وراعيها، وقائد قادتها، ورئيس رؤسائها..»[1].

وقد استغل قادة الثورة الحفل وجعلوه مناسبة للاحتفاء بسيد قطب، والحديث عن مناقبه، وتبيين مزاياه، فقدمه الدكتور طه حسين، وبَيَّنَ أهم ملامح شخصيته، وعقَّب على تقديمه أحمد عبد الغفور عطار، وتحدث الضابط محمود العزب عن دور سيد قطب في التحضير للثورة، ومكانته عند رجالها.

ماذا قال سيد قطب وعبد الناصر في حفل التكريم:

ولما وقف سيد قطب لإلقاء محاضرته «أثَّرَ في السامعين، حتى دميت الأكف من التصفيق، وبُحت الحناجر من الهتاف» وكان طه حسين وأحمد لطفي السيد من أشد المعجبين المصفقين!

ومما جاء في محاضرة سيد قطب عن الثورة قوله: «إن الثورة قد بدأت حقاً، وليس لنا أن نثني عليها، لأنها لم تعمل ـ بعد ـ شيئاً

(١) المرجع السابق، صفحة: ٣٧.

يستحق أن يُذكر، فخروج الملك ليس غاية الثورة، بل الغاية منها العودة بالبلاد إلى الإسلام...».

ولقد كان يتوقع ـ بحسه البصير، وفراسته الصادقة، ونظراته النافذة ـ أن يناله من الأذى والمكروه على أيدي رجال الثورة ـ رغم تكريمهم له! ـ أكثر ما ناله منه في عهد الملكية.

قال في محاضرته: «لقد كنتُ في عهد الملكية مُهَيَّئاً نفسي للسجن في كل لحظة، وما آمن على نفسي في هذا العهد أيضاً، فأنا في هذا العهد مهيءٌ نفسي للسجن، ولغير السجن، أكثر من ذي قبل»!.

وهنا وقف جمال عبد الناصر، وقال بصوته الجهوري ما نصّه: (أخي الكبير سيد، واللهِ لن يَصِلوا إلاّ على أجسادنا جثثاً هامدة، ونعاهدك باسم الله، بل نجدد عهدنا لك أن نكون فِداءَك حتى الموت... إلخ. وصفق الناس تصفيقاً حاداً متواصلاً، مع الهتاف المتكرر بحياة سيد قطب..)[(١)].

ولا نريد أن نعلق على كلمة عبد الناصر هذه، سوى أن نذكر أن عبد الناصر هو نفسه الذي أمر بسجنه وتعذيبه، وأصدر عليه حكماً بالسجن مع الأشغال الشاقة خمسة عشر عاماً، ثم أصدر عليه حكماً بالإعدام بعد أربعة عشر عاماً كاملة من كلمته هذه!!

ومن تقدير رجال الثورة له أنهم عينوه مستشاراً لمجلس قيادة الثورة للشؤون الثقافية والداخلية، ولم يستمر أكثر من عدة شهور[(٢)].

---

(١) كلمة الحق: ٣٨، وانظر الوصف الكامل لهذا الحفل، والتلخيص للكلمات التي ألقيت، في مقال الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في نفس العدد ٣٧ ـ ٣٩.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

كما عرضوا عليه بعض المناصب الأخرى، منها ما ذكره الأستاذ أحمد عطار، «قرر مجلس قيادة الثورة أن يسند إليه منصب وزير المعارف المصرية ـ كما أذكر ـ ولكن سيد قطب اعتذر، ورَجَوْه أن يتولّى منصب المدير العام للإذاعة فاعتذر، وأخيراً وافق على أن يكون السكرتير العام لهيئة التحرير، ولبث فيه شهوراً، وما رضي بهذا المنصب الخطير إلا ليسعه التخطيط للسياسة العليا.

وبدأ الخلاف مبكراً بين جمال عبد الناصر وزملائه وبين سيد قطب، وسبب الخلاف إسلامي، حيث كان سيد قطب يستحثهم على الإسراع بتطبيق الإسلام، وكانوا يراوغون في هذا الأمر، فاضطر سيد قطب إلى تقديم استقالته من منصبه كسكرتير عام لهيئة التحرير، ولم تنشر الصحف كلمة عن استقالته، وخَلَفَه في منصبه عبد الناصر نفسه[١].

سيد قطب في سورية وفي الأردن:

وفي ١٩٥٣/٣/٢م عقد في دمشق مؤتمر حلقة الدراسات الاجتماعية، وقد انتدبت لجنة الدراسات الاجتماعية المصرية سيد قطب ليمثلها في هذا المؤتمر، فسار إلى دمشق، وألقى في المؤتمر محاضرة عن «التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكامل الاجتماعي»[٢] وانتهز الإخوان فرصة وجوده، فأعدوا له محاضرة ألقاها في كلية الآداب ـ جامعة دمشق. «وكانت محاضرة رائعة، حلق فيها سيد قطب خلال ساعتين من الزمان، يبحث في جمال التعبير القرآني، ويضع أيدينا على

(١) كلمة الحق: ٣٩.

(٢) الشهيد سيد قطب: ٢٩، وقد نشر محاضرته هذه في (دراسات إسلامية) دار الشروق: ٤٨ ـ ٦١.

جوانب الإعجــاز، ولم يكن بيــده كتاب ولا ورقة، كمــا يقول محمد الياسين مرافقه مدة وجوده في سوريا[١].

وبعد أن انتهى المؤتمر من دراســاته، اتجه سيد قطب إلى الحدود الأردنية، ليقوم بزيارة إلى الأردن، ولكن الســلطات الأردنية منعته من الدخول، بأمر مــن قائد الجيــش الأردني الجنــرال الإنجليزي «جون بادوت جلوب» الذي كان يحكم في الأردن كما يشاء[٢].

وفي ١٩٥٣/١٢/٢م عقد في مدينة القدس (المؤتمر الإسلامي) الذي دعــت إليه جماعــة الإخــوان المســلمين، وشــاركت فيــه الجمعيات والشخصيات الإسلامية في العالم الإسلامي، بهدف دراسة السبل لحماية القدس، والحيلولة دون وقــوع الأقصى في أيدي اليهود، وانتدب مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المســلمين في مصر سيد قطب ليمثل الجماعة في هذا المؤتمر، «ولولا أن وفود المؤتمر كانت في زيارة جماعية لحيل بينه وبين الدخول في المرة الثانية، كما حيل بينه وبين الزيارة الأولى»[٣].

وكان سيد قطب متواضعاً مناضلاً في المؤتمر، يصفه علال الفاسي بقوله: (فرأيت من سيد قطب المناضل المتواضع، الذي لم يكن يتطلع لشــيء من المناصب أو الألقاب، بل يتأثر حينمــا يرى بعض أصدقائه يتهافتون عليها، ولقد عملنا معاً في اللجنة السياسية التي كنت أترأسها، وَصَلَيْنــا وأعضاء هذه اللجنة بأثر وشــاية من بعض شــيوخ فلســطين المشهورين، ذوي الصلة بكلوب باشا)[٤].

(١) الشهاب ـ السنة الرابعة ـ العدد الحادي عشر ـ ١٥ آب ١٩٧٠م، صفحة ٩.
(٢) الشهيد سيد قطب: ٢٩.
(٣) المرجع السابق: ٢٩.
(٤) المرجع السابق: ١٦.

ورافق سيد قطب المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي في إحدى جولاته لمنطقة الصعيد في مصر، وألقى هناك عدة محاضرات، واطَّلع على الأحوال البائسة للأهالي، من الناحية الاجتماعية والسياسية والإنسانية، وحزَّت هذه المآسي في نفسه وآلمته، وكتب مقالات في مجلة (الدعوة) سجل فيها هذه المظاهر البائسة، وعلّق عليها بأسلوبه الثائر الحاد، وأحدثت مقالاته دويّاً في البلاد.

وعندما اصطدم الإخوان مع الحكومة في المرة الأولى في أوائل ١٩٥٤م، واعتُقل عدد من قادة الإخوان، كان سيد قطب في مقدمة المعتقلين، وبقي في السجن ـ مع باقي المعتقلين من الإخوان ـ الثلاثة أشهر الأولى من عام ١٩٥٤م، وأُفرج عن المعتقلين بعدها لخلافات وقعت بين ضباط الثورة.

سيد مسؤول مجلة الإخوان المسلمين:

وعندما قرر مكتب الإرشاد للإخوان، إعادة إصدار مجلة (الإخوان المسلمين) عهد إلى سيد قطب ـ بالإضافة إلى ما عهد إليه من مهمات ـ الإشراف على تحريرها، وجند طاقات بيته لخدمة الدعوة، فكتب في المجلة شقيقه محمد، وعهد إلى شقيقتيه (أمينة وحميدة) تحرير الأبواب النسائية فيها[1]، وعندما وقَّعَ رجال الثورة اتفاقية الجلاء مع بريطانيا عام ١٩٥٤م رأى الإخوان أنها مجحفة لمصر، وأنها بها لن تحصل على الجلاء الحقيقي، فانتقدوها بشدة، وتولى سيد قطب كتابةَ

(١) المجتمع ـ عدد ٢٠٥ تاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٧٤م، صفحة ١٨.

ونشرَ المقالات العنيفة الحادة في نقدها، فأغلَقَتْها الحكومة، ولم يصدر منها سوى اثنا عشر عدداً[١].

وفي الأيام الأخيرة، وقبل مذبحة الإخــوان في نهاية عام ١٩٥٤م، وبعد أن أدرك سيد قطب ما تبيته الحكومة ضد الإخوان، انتقل سراً من القاهرة إلى مدينة (بني سويف) ـ التي عمل فيها مدرساً فور تخرجه من الكليــة عــام ١٩٣٣م ـ وأصــدر هناك نشــرة سياســية ســرية تفضح المخططات المرســومة للقضاء على الحركة الإسلامية، وتكشف عمالة رجال الثــورة، وأُلقيَ القبض عليه قبل القضية الكبــرى التي اتهم فيها الإخوان بمحاولة اغتيال عبد الناصر[٢].

سجنه وتعذيبه والحكم عليه:

لقي سيد قطب ـ كباقي إخوانه ـ ألواناً شتى من التعذيب في السجن لا تضاهيها إلاّ ألوانُ التعذيبِ في محاكم التفتيش في أوروبا في القرون الوســطى، ومن هذه الألوان البشــعة تســليط الكلاب البوليسية عليه، ومطاردتها له لساعات، بينما تنقضُّ هذه الكلاب المدربة الضخمة على لحمه تنهشــه نهشــاً، إذا توقف عن الجري[٣]، وقد واجه كل هذا بنفس صابرة، وقلب ثابت، وعزم على المضي في الطريق، واســتعلى بإيمانه، وتذوق حلاوة الاتصال بالله، وهان عليه كل ما يلاقيه في سبيل الله.

وعندما تقررت محاكمة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، وفي اليوم الذي حُددت محاكمته فيه، جاءه مدير السجن حمزة البسيوني وقال له:

---

(١) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

(٢) المجتمع ـ نفس المرجع: ١٨.

(٣) انظر على سبيل المثال: الشهاب ـ العدد التاسع ـ السنة السادسة ـ أيلول ١٩٧٢م، صفحة ٨.

(لن نحاكمك لأنك مصدور!)، وعَرَفَ السبب بعد ذلك لأنه كان من المقرر حضورُ مندوب عن لجنة حقوق الإنسان الدولية، ويخشون أن يتحدث سيد أمامه بشيء، وفعلاً وبعد ذهاب المندوب قُدِّم إلى المحاكمة، وعندما طُلب منه الدفاع عن نفسه، خلع قميصه ليُري القضاة والمحلفين آثار التعذيب الوحشية عليه! وصدر عليه الحكم بالسجن خمسة عشر عاماً، «ولكنه اعترض مستهزئاً بأنَّ هذا قليل، فأين حكم الإعدام؟» وكان في سجنه يردد دائماً: (اللهم ارزقني إحدى الحسنيين. والشهادة عندي في المقدمة)[1].

حياته في مستشفى سجن «ليمان طُرَة»:

نُقل سيد قطب بعد الحكم عليه إلى سجن «ليمان طُرَة» خارج القاهرة، ليقضيَ الفترة المحكوم عليه بها، ولما ساءت صحته في السجن، نُقل إلى المستشفى الملحق بالسجن، وبقي فيه حوالي عشر سنوات، إلى أن أُفرج عنه، وهناك في السجن، بل في مستشفى السجن على وجه الخصوص هيَّأ الله له كل وسائل الراحة، حيث لقي عناية ورعاية تامتين، إذ كان حوله مجموعة من الإخوان المسجونين، يسهرون على راحته، وكَوَّنَ مع طبيبِ السجن ومديره صداقة شخصية، حيث أُعجبا به وبأخلاقه، فعاملاه معاملة حسنة، ووفرا له الراحة![2]، ولا عجب في هذا الموقف منهما، فإن السجن هو السجان، وبإمكانه بأسلوبه أن يُخفف من وطأة السجن! ولا نقصد من هذا أن سيد قطب كان وهو في السجن كأنه في بيته، يتمتع بالحرية، وإنما نقصد أن

---

(١) الشهاب ـ السنة السادسة ـ العدد التاسع ـ أيلول ١٩٧٢م، صفحة ٩.

(٢) أفادني بهذه المعلومات الأستاذ محمد قطب.

معاملته ـ وبخاصة وهو نزيل مستشفى السجن لا السجن نفسه ـ كانت أحسن من معاملة إخوانه، وأن الله رقق له قلوب سجّانيه، ليتمم المهمة التي أعده الله لها، ويكمل الطريق الذي رسمه له.

ورغم أن الكتابة في السجن ممنوعة رسمياً، إلاّ أنَّ الله هيأ له ظروف الكتابة، وظروف النشر أيضاً، وكان يكتب بنفسية صابرة هادئة، وروح متصلة بالله مطمئنة، ومن هناك قَدَّمَ للمكتبة الإسلامية، وللعاملين المجاهدين أقوى بحوثه وأعمقها، وعلى رأسها موسوعته (في ظلال القرآن).

لم تفارقه صفاته الكريمة وهو في السجن، بل تمكنَتْ من نفسه، وصقلتها المحنة، فملك قلوب السجناء والسجانين، حتى عندما كانت تنشب مشكلة بين السجناء يُسرعون إلى سيد قطب لحلها، وأُطلقَ عليه لقب (قاضي السجن) بل إن مدير السجن الحلواني كان يقول: (إن المدير الفعلي للسجن هو سيد قطب)[١].

ويَروي مصطفى العالم الذي كان معه في نفس الزنزانة في السجن ـ قبل نقله إلى ليمان طُرَة ـ أنه قد أصيب بانفصال غضروفي، والوسيلة الوحيدة لعلاجه هي أن يبقى مستلقياً على ظهره مدة لا تقل عن ستة شهور، وأن سيد قطب بقلبه الكبير وعواطفه الأخوية الصادقة، كان يقوم على خدمة أخيه، ويُطيِّب خاطره كيلا يتضايق[٢].

شفت روحه، واستعلى بإيمانه على المحنة والابتلاء، وبدلاً من أن يكون في سجنه قلقاً ضجراً عابساً مكتئباً، رأيناه مؤمناً لطيفاً

---

(١) أفادني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) الشهاب ـ السنة السادسة ـ العدد التاسع ـ أيلول ١٩٧٢م، صفحة ٨.

بشوشـــاً وقوراً متواضعاً، ملك قلوب من حولـــه، وصاروا يكنون له الحب والاحترام، سواء كانوا مسجونين عاديين، أم سياسيين، أم من عتاة المجرمين، حتـــى إنّ هؤلاء المجرميـــن الموغلين في الإجرام، الذين ينزلون معه مستشفى الســـجن يرفضون أن يتناولوا العلاج إلا من يـــده الكريمة أمـــلاً في الشـــفاء[١]. كما كان يقف بين الســـجناء والســـجانين يخطـــب فيهم العيـــد أو الجمعـــة، رغـــم مخالفة ذلك لتعليمات السجن.

وقد رُويت حادثـــة غريبة تدل علـــى مدى حبه الذي ســـيطر على القلوب، فقد كان أحد الإخوان ســـجيناً بســـجن بعيد عن سجن سيد، واشتاقت روحه لرؤية أستاذه، وهو لا يملك حريته لينتقل إليه، فكان أن ادعى أنه مريض جداً، وأن مرضه يســـتدعي عمليـــة جراحية، وقرر له الطبيب الانتقال إلى مستشفى سجن طُرَة، وأجريت له عملية في المثانة والمســـالك البولية، وصبر علـــى آلامها المبرحة، وتحقـــق له مقصوده حيث التقى بأستاذه[٢].

سيد مع القرآن في السجن:

جعل سيد قطب من سجنه خلوة يختلي فيها مع القرآن، ويعيش في ظلاله، ويعمق صلته بالله، فها هو «يجوب الزنزانة كل يوم، يذرعها قارئاً لســـورة من كتاب الله، بصوت عـــذب رخيم، ومعه قلمه يـــدوِّن كل ما يخطر له من خواطر وأفكار على هامش المصحف، وهو فرح مســـرور

---

(١) الشهاب ـ السنة الثامنة ـ العدد الخامس تاريخ ١٥ آب ١٩٧٤م، صفحة ٩.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

بما يجول فـي خاطره من معان جديدة، لم تكـن تلامس ذهنه قبل أن يدخل السجن، ويأنس فيه بكتاب الله، في جو من الصفاء العجيب»[١].

إن سيد قطب يمثل في سجنه ظاهرةً عجيبة، قلَّ أن يوجَدَ لها نظير في التاريخ، فهو قد أمد المكتبة الإسـلامية ببحوثه الإسلامية العميقة الرصينـة، وأتم تفسـيره للقرآن، الذي يمثل موسـوعة كاملـة، وأقبل العاملـون على كتبـه، يجعلونها معالـم لهم في طريقهـم في مواجهة الجاهلية، لأنها صادرة عن تجربة حيّة واعية.

«وكان الأهم من ذلك كله ـ نفسـياً ـ أن أعاد اتصالاته مع الإخوان المسـلمين، داخل السـجون وخارجها، وأنشـأ أرقى أشـكال التنظيم الإسلامي سرية وفاعلية في مصر.. وكان هذا الإنشاء يعتبر عملية انتحار ـ إن جاز التعبير ـ في الظروف الرهيبة التي كانت تسود أرض الكنانة»[٢].

كذب عبد الناصر عن عدم سجن سيد:

وكما يسَّـرَ الله له في سجنه وسـائل الكتابة، يسّرَ له وسـائل النشر كذلك، فصارت كتبه تصدر عن دور النشـر في القاهرة. وكان المسؤولون يوافقون على نشرها، لأن في نشـرها إبطالاً لاتهامات الإخوان عن سجن سـيد قطب وتعذيبه، فعندما زارَ رئيـسُ الجمهوريةِ جمـال عبد الناصر باكستان، كان يواجَه بالأسـئلة الكثيرة عن سـيد قطب وسجنه وتعذيبه، وأَنكر تهمة السـجن أو التعذيب، حيث زعم أنه فـي بيته معافى، يتمتع بحريته! بدليلِ أنه يؤلف كتبه، ويُصدر أجزاء التفسـير تباعاً، فما كان من

---

(١) المجتمع ـ السنة السادسة ـ العدد التاسع ـ أيلول ١٩٧٢م، صفحة ٨.

(٢) سيد قطب لبركات: ١٩.

أحد الباكستانيين إلا أن أَرسلَ برقية إلى شقيقهِ محمد قطب، يستفسر منه فيها عن صحة كلام الرئيس. ولم يستطع محمد أن يبين له الحقيقة، ولا أن يرد عليه، وأصدرت الحكومة المصرية تعليمات إلى سفاراتها في الخارج توصيها باتباع أسلوب الرئيس عندما يُسألون عن سيد قطب. وهكذا أراد الله ـ وبهذه الوسيلة العجيبة ـ أن تُنشرَ كتبه كي ينتفع بها العاملون[١].

الإفراج عن سيد قطب بشفاعة عبد السلام عارف:

وفي أواخر عام ١٩٦٤م، زار مصر الرئيس العراقي عبد السلام عارف ـ وكان قد قرأ لسيد في (الظلال)، وتقدم له علماء العراق، بطلب يلتمسون فيه أن يتدخل لإطلاق سراحه ـ وبذل جهده عند الرئيس المصري عبد الناصر، وصدر الأمر بالإفراج عنه بعد أن أمضى في السجن ما يزيد على عشر سنوات[٢].

وَعَرَض عليه الرئيس العراقي أن يسافر معه إلى العراق، وَبَيَّنَ له أنهم في حاجة إليه، وأنه سيكون عندهم مُعَزّزاً مكرماً، وسيشغل أرقى المناصب! ولكن سيد لم يستجبْ لهذا الإغراء، وبيَّن له أن مصر إليه أحوج، وبخاصة في هذه الفترة الدقيقة التي تمرُّ بها، إذ إنّه على ثغرة من ثغور الإسلام، فكيف يتخلى عنها!.

* * *

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) سيد قطب لبركات: ٢٠.

المبحث التاسع
استشهاده

خرج سيد قطب من سجنه بقائمة من الأمراض، مثل الذبحة الصدرية والنزيف الرئوي، التي سببها له سجنه الطويل، والعذاب الوحشي الذي لاقاه، لا سيما وأنه كثيراً ما كان يشكو من الأمراض قبل دخوله السجن، والتي رافقته طيلة حياته، ولكن السجن زادها، ومكَّن لها في جسده الناحل.

لم يركن إلى الراحة بعد خروجه، بل استمر في إعداد بحوثه العميقة، كما لم يكتف بالكتابة والتأليف، حيث أشرف على التنظيم الذي أنشأه داخل السجن ـ بإذن من المرشد العام حسن الهضيبي ـ وكان يتعاهده ويرعاه.

كان يزوره في بيته عدد من الإخوان، من مصر وخارجها، رغم أن أجهزة المخابرات تراقب بيته دائماً، وترصد حركة الداخلين والخارجين، إلا أنه كان يهزأ بها، ويعقد اللقاءات، ويدير الجلسات، ويزوِّد القادمين بنصائحه وتوجيهاته، ويطلعهم على تجاربه، ويعلق على الأحداث القائمة من الزاوية الإسلامية.

تحليلات سيد لزوار بيته:

من هذه الزيارات زيارة أحد طلاب جامعة الخرطوم ـ حافظ الشيخ ـ وكان من جملة ما قال له سيد: «إن الشيوعية لا يمكن أن تنتصر من الطريق الديمقراطي، لأنه ليست لها جذور في السودان، ولكن الخطر أن يلجأ الشيوعيون إلى نظام حكم شيوعي بالقوة،

فالخطر في الجيش، ولكــن حتى إذا أفلح الجيش في القيام بانقلاب، ووصل الشيوعيون إلى الحكم وأقاموا نظامهم، فإنه لن يستمر طويلاً، لأن الأمريكان حريصون ألا يقوم في الشــرق العربي نظام شــيوعي، وهم أصحــاب النفوذ في هذه المنطقة، ثم ضرب مثلاً بســوريا فقال: «إن سوريا كادت أن تصبح شيوعية، فدبروا لها الوحدة مع مصر، مع أنها تتنافى مع المخطط الصهيوني في المنطقة العربية، فتمت الوحدة بين مصر وســوريا لغرض معين، وهو القضاء على الشيوعية، وانتهت بمجرد أدائها الغرض» ثم قال: «إن الخطر الحقيقي هو خطر الصهيونية والأمريكان، وهم يبسطون نفوذهم على منطقة الشرق»[١].

بهذا التحليل السياسي الرائع، كشف سيد عن وعيه العميق لأحداث المنطقة، وعن رؤيته الصادقة لحقيقة القوى التي تخطط لها وتؤثر فيها!

وكان يدرك أنــه لمعلوماته هــذه ونظراته الصائبــة أصبح هدفاً لأمريكا والصهيونية، يقول إبراهيم المصري في الشــهاب: «وهنا لا بد من كشف النقاب عن حديثٍ اســتكتمه سيد ـ رحمه الله ورضي عنه ـ أحد إخوانه قبــل اعتقاله بأســابيع، كان الحديث يدور حول اليهودية العالمية، وخطرها على العالم أجمع، والمســلمين خاصة، يقول سيد: «لقد وقفتُ على مدى تغلغل الأصابع اليهودية وخطرها، بعد بحث وطول وعناء، واليهود إذا علموا أنني أحيط بذلك فلا بد أن أُقْتل[٢]!!!.

---

(١) الشهيد سيد قطب: ٩١ ـ ٩٢ نقلًا عن جريدة الميثاق الإسلامي في السودان عدد ٣٣٤ تاريخ ١٩٦٦/٩/١٦م.

(٢) الشهاب ـ السنة الخامسة ـ العدد الحادي عشر ـ أيلول ١٩٧١م، صفحة ٣.

عبد الناصر يعلن اكتشاف مؤامرة الإخوان:

ومن موسكو ـ عاصمة الإلحاد ـ وقف الرئيس المصري عبد الناصر عام ١٩٦٥م، يعلن اكتشــاف مؤامرة دبرها الإخوان المســلمون بقيادة ســيد قطب، للاســتيلاء على الحكم بالقوة، والقيام باغتيالات لرجال الحكومة والمســؤولين، والممثلين والمغنيــن والفنانين، وتدمير البلاد اقتصاديــاً وعمرانياً، ونشــطت أجهزته في إلقاء القبــض على الإخوان المسلمين، وأصدقائهم ومعارفهم وأقاربهم ونسائهم وأطفالهم، وأقيمت مذبحة للإخوان، ولاقوا من التعذيب الوحشي الرهيب ما لا يحتمله أو يطيقه بشر عادي!.

وكان نصيب سيد قطب وآله من هذا أكثره، حيث وضع في السجن هو وشقيقه وأخواته الثلاثة، وأبناء أخته، ولاقى الجميع من الأهوال ما لا يوصف، ورأى سيد أمام عينيه استشهاد أعز أقربائه وأقربهم إلى قلبه، ابن أُخته «رفعت بكر شافع» ووســع قلبه الكبير ونفسه العظيمة محنته وعذابه الرهيب، وعذاب أهله أمام عينيه، وعذاب إخوانه، وتحمل هذا كله بقلب صابر ويقين ثابت.

كان سيد يُحس إحساس المؤمن بالأشــياء قبل وقوعها، فقد توقع هذا كله في فتــرة اعتقاله الثاني، حيث قال: «لقــد عرفت أن الحكومة تريد رأسي هذه المرة، فلست نادماً لذلك، ولا متأسفاً لوفاتي، وإنما أنا سعيد للموت في سبيل دعوتي، وســيقرر المؤرخون في المستقبل: من كان على الصراط المستقيم؟ الإخوان أم نظام الحكم القائم؟»[1].

---

(١) الشهيد سيد قطب: ٥٦ نقلًا عن مجلة الأخبار الإسلامية الدولية الباكستانية أكتوبر ١٩٦٦م.

لقد كان مســـتعداً للموت في سبيل الله، في كل لحظة، منذ أن اتجه وجهته الإسلامية، قال في رسالة بعثها من أمريكا إلى أخته في القاهرة: «لــم أعُد أفزعُ من الموت حتــى لو جاء اللحظة، لقــد عملتُ بقدر ما كنت مستطيعاً أن أعمل! هناك أشياء كثيرة أود أن أعملها لو مد لي في الحياة، ولكن الحســرة لن تأكل قلبي إذا لم أســتطع، إن آخرين سوف يقومون بها، إنها لن تموت إذا كانت صالحة للبقاء»[١].

رؤياه حول الثعبان الأحمر:

وعندما زاره أحد إخوانه قال له ســيد: «رأيتُ البارحــة كأن ثعباناً أحمر يلف نفسَــه حولي، ثم يقترب، فاســتيقظتُ من ساعتها ولم أنم» قال له أخوه: «اسمع يا ســيدي: هذه هدية سيقدمها لك أحد المؤمنين، هي ملفوفة لفات بخيط أحمر». قال سيد: «ولماذا لا يكون تفسيرها: أن أكون أنا الهدية المقدَّمة للمؤمنين».

فقال له: «أليس بقاء الصالحين أنفع للدعوة الإسلامية؟» أجاب سيد قائلاً: «ليس دائماً، بل ربما كان ذهابهم أنفع، ولا أتعمد التهلكة، ولكن يجب أن نتعمد الثبات، مع علمنا أن في الثبات التهلكة»[٢].

وهكذا كان، فبعد تعذيب رهيب، قُدِّمَ ســيد قطب مع مجموعة من الإخوان إلى محاكمة صورية، وكان ســيد في المحكمة كالأسد يخيف ـ وهو في قفص الاتهام مجرداً من كل وسيلة ـ بنظراته رئيس المحكمة الذي يتمتع بالســلطة والقوة المادية، فقد كان يتحاشى النظر إلى عيني سيد النافذتين.

---

(١) أفراح الروح: ٢٩.

(٢) الشهيد سيد قطب: ٦٤ ـ ٦٥ نقلًا عن ملحق النهار البيروتية عدد ٩١٤٦ تاريخ ١٨ أيلول ١٩٦٦م.

الحكم عليه بالإعدام شنقاً:

وقد صدر عليه الحكم بالإعدام مع اثنين من قادة الحركة الإسلامية، محمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل، وقامت المظاهرات والاحتجاجات في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وقُدمت العرائض للتوسط لتخفيف الحكم، وبذل بعض المسؤولين في الدول الإسلامية جهودهم لدى الرئيس المصري.

وبعد الحكم عليه بخمسة أيام سمح الطغاة لسيد قطب أن يزور أخته حميدة، التي كانت في زنزانة مع زينب الغزالي، وكان برفقته ضابط من جيش السجن. قالت زينب الغرالي: «قلت مرحباً يا أخ سيد، هذه مفاجأة سارة وغالية جداً، إنها لحظات من رضوان الله، أن تجلس إلينا... وجلس يتحدث إلينا عن الآجال ومواعيدها، وأنها بيد الله، ولا أحد يتحكم فيها إلا الله، وأمَرَنا بالرضا والتسليم»[1].

وكان بعد صدور الحكم بالإعدام راضياً بقدر الله، فرحاً بقرب لقائه، مستبشراً بما عنده وقال: «الحمد لله، لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل الحصول على الشهادة»!.

رسالتان بخط سيد لأحمد عطار:

وفي صفر عام ١٣٨٦هـ الموافق أغسطس (آب) ١٩٦٦م ـ أي قبل أقل من شهر من إعدامه ـ تلقى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في مكة المكرمة رسالتين كريمتين من سيد قطب، بعثهما إليه من زنزانته،

(١) أيام من حياتي، لزينب الغزالي: ١٨٢.

وشـاء الله لهما أن تصلا إليه بطريقة خاصة، وقد نشـرها الأستاذ أحمد عطار في مجلة (كلمة الحق) بخط سيد قطب بالزنكوغراف.

وتُعتبـر الرسـالتان وثيقتيـن هامّتيـن، تُصوران حالة سـيد قطب الإيمانية، بعد العذاب الرهيب الذي لَقِيه، وبعدَ صدور الحكم بإعدامه، كما تُصوران جلده وصبره وجهاده، وثباته وعزته واستعلاءه!.

ونورد فيما يلي مقتطفات منهما:

قال في الرسالة الأولى: «أما أنا فأجدني خيراً من أي وقت مضى ـ في عقيدتي وإيماني، وفي وضوح هذه العقيدة وهذا الإيمان في نفسي، وفي وضوح إدراكي وتصوري لهـذا الأمر ومقتضياته، ووضوح الهدف والوسـيلة والطريق والغاية، وكل هذا خير جزيل جميل، يرجح كل ما أديته ثمناً له، من راحتي وصحتي، والحمد لله».

وقال في الثانية: «أهم من أن أشـكرك ـ فيما أعتقـد ـ أن أُطمئنك عليّ، وأنا في وضعي الذي تعلمه، لقد وجدت الله كما لم أجده من قبل قـط، ولقد عرفت منهجـه وطريقه كما لـم أعرفه من قبـل قط، ولقد اطمأننـتُ إلى رعايته ووثقت بوعده للمؤمنيـن كما لم أطمئن من قبل قط، وأنا بعد ذلك على ما عهدتني، مرفوع الرأس لا أحنيه إلا لله، والله يفعل ما يشاء، واللهُ غالب على أمره، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون».

ولا نريد أن تعلق على هذه الفقرات، فكل عبارة فيهما، بل كل كلمة وحرف، معالم مضيئة، وبصائر هادية، في طريق العمل الإسلامي اللاحب الطويل، بيَّنها سيد قطب بكلامه، بعدما بينها بعمله وجهاده وثباته رحمه الله![(١)].

---

(١) انظر: قصة الرسالتين وصورتهما بالزنكوغراف في مجلة «كلمة الحق» العدد الثاني ١٣ ـ ١٤.

مساومات وإغراءات له للاعتذار:

وفي أثناء ذلك تعرض سيد في سجنه لوسائل شتى من الإغراء: منها أنه إذا قدَّم أسطراً لرئيس الدولة يعتذر عما فعله! فإنه سيخرجه من السجن، ويعيد إليه اعتباره، ويوليه وزارة التربية والتعليم، واستخدموا إخوانه وأهل بيته للضغط عليه، ولكنه استعلى على كل هذه المحاولات، وثَبَّتَه الله على موقفه، وأطلق من سجنه عبارات نابعة من القلب، ذهبت مثلاً، إذ صار يتمثلها كل من وفقه الله للسير على طريق العمل الإسلامي بجد وثبات وإخلاص!.

من هذه الكلمات الخالدة: إجابته على سؤال أحد إخوانه: لماذا كنت صريحاً كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك؟ قال: «لأن التورية لا تجوز في العقيدة، وإنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص».

وقال: «لماذا أسترحم؟ إن سجنتُ بحق فأنا أرضى حكم الحق، وإن سجنتُ بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل»!.

وقال: «إنَّ أصبعَ السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة، ليرفض أن يكتب حرفاً يقر به حكم طاغية».

وعندما طلب منه الاعتذار مقابل إطلاق سراحه قال: «لن أعتذر عن العمل مع الله»!.

مدير السجن يطلب من أخته إقناعه:

وأمام ضغط المظاهرات والاحتجاجات التي أحدثها الحكم بإعدامه، أوعز عبد الناصر إلى رجاله بضرورة الإسراع في تنفيذ الحكم، وفي ليلة التنفيذ ١٩٦٦/٨/٢٨م جاء مدير السجن الحربي

حمزة البسيومي ـ في محاولته الأخيرة للحصول على تنازل منه ـ وكلم شقيقته حميدة، لتضغط عليه، وقد روت ما جرى بقولها: «قال لي: إن الحكومة مستعدة أن تخفف هذا الحكم، إذا كان شقيقي يجيبُهم إلى ما يطلبون، ثم أردف قائلاً: إن شقيقك خسارة لمصر كلها، وليس لك وحدك، إنني غير متصور أن نفقد هذا الشخص بعد ساعات، إننا نريد أن ننقذه من الإعدام بأي شكل وبأي وسيلة، إن بضعَ كلمات يقولها ستخلصه من حكم الإعدام، ولا أحد يستطيع أن يؤثر عليه إلاّ أنت، أنت وحدكِ مكلفة بأن تقولي له هذا... نريد أن يقول: إن هذه الحركة كانت على صلة بجهة ما، وبعد ذلك تنتهي القضية بالنسبة لك ـ أما هو فسيفرج عنه بعفو صحي.. قلتُ له: ولكنك تعلم ـ كما يعلم عبد الناصر ـ أن هذه الحركة ليست على صلة بأي جهة من الجهات! قال حمزة البسيومي: أنا عارف، وكلّنا عارفون أنكم الجهة الوحيدة في مصر التي تعمل من أجل العقيدة، نحن عارفون أنكم أحسن ناس في البلد، ولكننا نريد أن نخلص سيد قطب من الإعدام! قلت له: «إذا كان سيادتك عاوز تبلغه هذا فلا مانع»!.

ولما عَرَضَتْ عليه مطلبهم قال لها: «والله لو كان هذا الكلام صحيحاً (الاتصال بجهة أجنبية) لقُلته، ولما استطاعَتْ قوة على وجه الأرض أن تمنعني من قوله، ولكنه لم يحدث وأنا لن أقول كذباً أبداً»!.

ثم سَمح لهما أن ينفردا ببعضهما قليلاً، فأفهمته أصل الطلب. فسأل سيد شقيقته «وأنتِ ترضين ذلك؟» قالت: لا، قال: «إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً، إن الأعمار بيد الله، وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي، ولا يستطيعون إطالة الأعمار أو تقصيرها، كل ذلك بيد الله،

والله من ورائهم محيط..»[١] وحمَّلها الأمانة للمرشد الهضيبي قائلًا: «إنْ رأيتِ الوالد المرشد فبلغيه عني السلام وقولي له: «لقد تحمل سيد أقصى ما يتحمله بشر، حتى لا تُمَسَّ بأدنى سوء»».

كان سيد قطب متشوقاً إلى الشهادة، طالباً لها: قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]: «وهو تعبير عجيب عن معنى عميق. إن الشهداء لمختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه ـ سبحانه ـ فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيارٌ وانتقاءٌ وتكريم واختصاص.. إن هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة، ليستخلصهم لنفسه ـ سبحانه ـ ويخصهم بقربه»[٢].

ولذلك قال عندما سمع الحكم بإعدامه: (الحمد لله، لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل الحصول على هذه الشهادة).

وفي ليلة التنفيذ تم نقله بسيارة إلى المكان المعد لتنفيذ الحكم، ليقضي فيه ليلته، والتقطت له أجهزةُ الإعلام صورة عند ركوبه السيارة، وظهرت في الصورة ابتِسامة عريضة مشرقة، ملأت وجهه، وهو يودع إخوانه، وقد وضع سيد قطب في ابتسامته هذه كل ما يريد أن يقوله لإخوانه ومؤيديه وتلاميذه والأجيال اللاحقة، وأبان فيها عن ثباته واستعلائه على المغريات، كما أبان عن فرحته بقرب لقاء الأحبة في الجنة، محمد وصحبه.

---

(١) أيام من حياتي: ١٨٣ بتصرف يسير.

(٢) في ظلال القرآن ـ طبعة الشروق: ١: ٤٨١.

استشهاده فجر الأثنين ١٩٦٦/٨/٢٩م:

وقبل بزوغ فجر يـوم الإثنين ١٩٦٦/٨/٢٩م الموافق ١٣ جمادى الأولى عام ١٣٨٦هـ تقدم سـيد وإخوانه، إلى حبل المشـنقة بخُطى وئيدة ثابتة. وتنفـس الصبح على منظر الأبطـال الثلاثة، وقد علقت أجسـادهم بحبل المشـنقة، بينما حلقت أرواحهم في سماء العلياء، ونزلت ملائكة السـماء لاصطحاب هذه الأرواح الطاهرة، في رحلتها إلى عالم الخلود، واصطف المؤمنون والشـهداء لتحية هذا الموكب الكريم.. وتزينت الحور العين لاسـتقبال أزواجهـا، وأُزلفت الجنات للوافدين الجدد، وأُسـدلَ السـتار على آخر صفحة مـن حياة الرائد الشهيد في هذه الدنيا الفانية، وبدأ عند ربه حياته الحقيقية في جنات الخلود، التي طالما تشوقت روحه إليها.

عُلُوٌّ فـي الحَياةِ وفـي المَماتِ لَحَقٌّ تِلْـكَ إحْـدى المَكْرُماتِ

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٩٦]. صدق الله العظيم.

* * *

الباب الثاني

ثقافته ومواهبه وآثاره





الفصل الأول

مصادر ثقافته



المبحث الأول
مصادر ثقافته العربية والغربية

عرفنا أن سيد قطب أمضى دراسته الأولية في القرية، وأنه كان في مقدمة الطلاب الأوائل، مما يدل على أنه هضم الكتب الدراسية المقررة، التي تعلم مبادئ القراءة والكتابة، وتعطي للتلميذ معلومات أولية في مختلف العلوم، تتناسب ونموه.

مصادر ثقافته في القرية:

لم يكتف سيد بتلك الكتب بل طمحت نفسه إلى المزيد من الثقافة، فصار يرتاد المساجد ويحضر دروس التفسير والحديث والفقه، التي يلقيها الأزهريون في مواسم معينة، ويثقف نفسه بها، وكان ـ على صغره ـ يتجرأ ويسأل الشيخ الواعظ إن أبهم عليه شيء، أو تعارض ما يقوله مع معلومات سابقة لديه!.

وبعد أن حفظ القرآن، استفاد منه زاداً ثقافياً جديداً، بالإضافة إلى تقويم لسانه، وحسن بيانه، حيث تفتحت مواهبه المبكرة على أساليب القرآن الفنية المؤثرة، وقد كان لذلك أكبر الأثر على مسيرة سيد قطب الأدبية الفنية والبيانية فيما بعد.

كما كان يكثر في قريته من الاطلاع على الكتب الأدبية، من قصصية أو شعرية أو تاريخية، والتي كان يُعدُّها له مدرسوه، الذين أعجبوا به وبمواهبه، وتوقعوا له نبوغاً، ومستقبلاً في عالم الأدب والفكر والثقافة.

ولا ننسى في هذا المجال الجريدة اليومية، التي كان والده مشتركاً فيها، والتي كان يقرؤها للقادمين إلى البيت، ثم يخلو بنفسه إليها،

ويطالع أخبارها وتحليلاتها السياسية، ومقالاتها الأدبية والعلمية والاجتماعية، والقصص والأشعار التي تنشرها، حيث كانت هذه أغلب موضوعات الصحف في ذلك الوقت.

وازدادت حصيلته الثقافية، بمكتبته الكبيرة ـ بالنسبة إلى سنه ـ والتي اشتراها من (العم صالح)، بائع الكتب المتجول، حيث قرأها كلها، كما قرأ الكتب الأخرى التي اشتراها زملاؤه في القرية، وكانت موضوعاتها متنوعة، فهي إما قصص خرافية، أو كتب صغيرة للأطفال، أو كتب سحر وطب شعبي.

وجمع إلى هذا كله تصوراته التي رسخت في ذهنه عن عفاريت القرية وغيلانها وجِنِّها، والقصص الريفية القديمة التي سمعها وانفعل بها، ومواويل القرية والشوق والمحبة، المنبعثة من أفواه العمال والمحبين.

مصادر ثقافته العربية:

قدم سيد قطب إلى القاهرة ومعه حصيلته الثقافية التي كَوَّنها في قريته، وهناك راح ينهل من معين الثقافة الصافي، في الكتب الدراسية المنهجية، التي كانت مقررة عليه، سواء في دراسته في مدرسة المعلمين الأولية، أو في تجهيزية دار العلوم، أو في كلية دار العلوم نفسها، التي تخرج منها وانطلق للحياة العملية.

درس في هذه المرحلة الكتب العربية، التي تشمل علوم العربية ممثلة في النحو والصرف والعروض، والبلاغة بأقسامها، والأدب العربي تاريخه وأطواره، والأدب الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والمملوكي، والأدب الحديث، والنقد الأدبي واتجاهاته

ومدارسه، والقصة ومناهج التأليف فيها، كما درس الشعر في الأدب العربي، الشعر الجاهلي وأبرز شعرائه، والشعر في العصور اللاحقة، ومدارس التجديد في الشعر العباسي، والشعراء الموهوبين كالبحتري وأبي تمام وابن الرومي والمتنبي والمعري، ورجال الشعر في العصر الحديث، والمدارس الشعرية المعاصرة.

ودرس علوم الدين الإسلامي، متمثلة في الفقه وأصوله، والحديث ومراحله، والتفسير وأبرز كتبه، ومناهج المفسرين، وعلوم القرآن، والبلاغة القرآنية، مثل بديع القرآن ومعاني القرآن وتشبيهات القرآن وكناياته، وإعجاز القرآن ومراحله ومدارسه.

لم يتعمق في هذه العلوم الدينية والعربية، وإنما ألم منها بنسب مختلفة متفاوتة، حسب مناهج الدراسة المنهجية، والمقصود من تدريسها للطالب أن يلم بإجمال مختصر، يمكنه من التعمق في هذه الموضوعات إن أراد في المستقبل.

جمع سيد قطب بالإضافة إلى الدراسات السابقة، دراسات أخرى في التاريخ والجغرافيا، وعلم الاجتماع والرياضيات والفلسفة، والعلوم من فيزياء وأحياء، ومناهج التربية ورجالها وأساليبها.

كان سيد يمثل في هذه المرحلة الطالب الذي يعي ما يدرسه، ويتفاعل معه ويتأثر به، ويزيد رصيده الثقافي، حتى بَزَّ أقرانه، وحاز إعجاب أساتذته، وقد تخرج في الكلية مجازاً في اللغة العربية وآدابها، ولم يكن خالي الوفاض من المعرفة والثقافة كبعض الخريجين، وإنما ضم جوانحه على حصيلته الثقافية، ثم نماها وغذاها باطلاعاته الجديدة.

مصادر ثقافته الغربية:

خرج سـيد إلى الحياة العملية، مزوداً بثقافته الواسعة التي حصلها أثناء دراسـته، في مراحلها المختلفـة، ولكنه لم يكتـف بها، بل راح يبحث عن مصادر جديدة، يضيفها إلى رصيده الثقافي، ويوسع آفاقه من خلالها.

وجد ضالته في مكتبة أسـتاذه العقاد، التي كانـت مليئة بمختلف نتاج الفكر الغربي، شعراً أو أدباً أو قصة، أو تاريخاً أو فلسفة، أو علوماً طبيعية، أو تربية، أو دراسـات نفسـية، أو حضارية، منهـا ما هو بلغته الأصلية، ومنها ما هو مترجم إلى العربية.

وقد كان العقاد وزميلاه المازني وشـكري، يتأثرون بالفكر الغربي والثقافة الغربية، ومن المعجبين بالنتاج الغربي في شتى نواحي المعرفة الإنسانية، بل إنّهم كَيَّفوا نفوسهم وفق معطيات هذه الثقافة، حيث نمت عقولهم وثقافتهم عليها، وتكوَّنت نفسياتهم وتربت على مبادئها، وصار من الطبيعي أن يتأثر تلاميذهم بهم، وأن يتركوا لمساتهم واضحة على نفسية هؤلاء التلاميذ!!

ولقد كان أثر العقاد على سـيد قطب كبيـراً، إذ وجهه إلى البحث والدراسـة والتحليـل، حيث فتح لـه مكتبته، ليتـزود بمختلف فروع المعرفة والثقافة، ودعمه فـي بدء حياته العملية، وحال بينه وبين الفكر الماركسي الذي كان يمكن أن يتجه إليه.

* * *

المبحث الثاني
رحلة الضياع

أغرى العقاد سيد قطب بدراسة الفكر الغربي، والثقافة الأوروبية التي راح يعب منها، والتي أثرت على فكره ونفسه وأحاسيسه، وتسببت بمرحلة من القلق والضياع والشك والحيرة، كادت تعصف به، وتوقعه في الضياع والعدمية، حيث انقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولى، وتبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الإسلامية، ومرَّ بمرحلة من الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود[١] على حد قوله لأبي الحسن الندوي. وقد طالت هذه المرحلة في حياته، وأَخَّرت وجهته الإسلامية لفترة طويلة، وقد كان العقاد هو المسؤول المباشر عن هذه المرحلة! لأنه هو الذي وجهه إليها!!

طبيعة الثقافة الغربية الجاهلية:

إن الثقافة الأوربية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، والتي نهل منها سيد قطب وأستاذه العقاد: «تتميز بالسير نحو الفردية، وتنمية الاستقلال الفكري والنفسي، وإيجاد قيم خاصة، والخروجِ على القيم السائدة، ولذلك فإن الذي ينهل منها بغير ميزان ثابت يتيه في مجاهلها، ويضيع في تيار ضلالها»[٢].

وقد تركت آثارها في مختلف نواحي المعرفة الإنسانية، بصياغتها لها وفق مبادئها وتصوراتها وقيمها: «إن اتجاهات الفلسفة بجملتها،

(١) مذكرات سائح من الشرق العربي، للندوي: ١٨٩.
(٢) سيد قطب، لبركات: ١٢.

واتجاهات تفسير التاريخ الإنساني بجملتها، واتجاهات علم النفس بجملتها ـ عدا الملاحظات والمشاهدات دون التفسيرات العامة لها ـ ومباحث الأخلاق بجملتها، واتجاهات التفسيرات والمذاهب الاجتماعية بجملتها ـ فيما عدا المشاهدات والإحصائيات والمعلومات المباشرة، لا النتائج العامة المستخلَصة منها ولا التوجيهات الكلية الناشئة عنها ـ إن هذه الاتجاهات كلها في الفكر الجاهلي ـ أي غير الإسلامي ـ قديماً وحديثاً متأثرة تأثراً مباشراً بتصورات اعتقادية جاهلية، وقائمة على هذه التصورات»[1].

نهل سيد قطب من هذه المعارف المختلفة التي أنتجتها الثقافة الغربية، وكيَّفَتْها كما تريد، وراح يلتهم كل ما تنتجه المطبعة العربية من كتب مؤلفة أو مترجمة، أو دواوين شعرية، أو دوريات يومية أو أسبوعية أو شهرية، وكانت هذه الدوريات تحمل خلاصة الفكر الغربي، وآخر مكتشفات العلم هناك، وكان سيد يجد لذة في الاطلاع على هذه الخلاصة، ومتابعة ما يجري هناك أولاً بأول، وكانت مجلة (المقتطف) هي الرائدة في هذا المجال[2].

أثر الثقافة الغربية السلبي على سيد قطب:

تشرَّب سيد قطب هذه الثقافة، وغدا صاحب نظرات في الأدب والنقد، وفي الفلسفة والتربية وعلم النفس، وفي الحياة ومعناها، وسرها وغايتها، وأهدافها ورسالة الإنسان فيها، نظرات جديدة وفق قيم هذه الثقافة ومبادئها

---

(١) معالم في الطريق: ١٧١.

(٢) انظر ما أورده كمثال لاطلاعاته في تلك الفترة في مجلة دار العلوم ـ السنة السابعة ـ العدد الرابع ـ أبريل ١٩٤١م، صفحات ٤٠ ـ ٤٢.

واتجاهاتها، وصاغ عقليتـه الثقافية على هديها، ومـرَّ بمرحلة من الضياع والشـك، والحيرة والقلق، والعذاب والألم، فـكان يبحث ويتأمل، وينظر ويفكر، ويسـأل الأحياء والأموات والجوامد، يريد أن يكشف سر الحياة، ويعرف كنهها وغايتها، وحاول السـير إلـى القمة، وغاصـت أقدامه في الرمال، وراح يبكـي ويصرخ من الألم، ويلوم نفسـه المتحفـزة، وعقله الباحث، على ما وصل إليه، ويتمنّى لـو يدركه الموت، ليخلصه من عناء المعرفة، وعذاب البحث، وظل يبحث ويتأمل، ويسـأل كل يوم، فلا يصل إلى الاستقرار، ولا يجد لأسئلته واستفسـاراته مجيباً، فوقع في قلق دائم، وهياج مستمر، وفَقَدَ اطمئنان الضمير، وسعادة النفس، وراحة البال، وسعة الصدر، ويقين القلب، فَقَدَ نفسه وقلبه ويقينه وحياته وسعادته، فغدا رجلاً بائساً حزيناً قلقاً عدمياً، لم يعرف سـرَّ وجوده، ولا سر الكون من حوله، ولا هدف الحياة التي يحياها، فاعتبرها تافهة بـكل ما فيها، واعتبر الفناء نهايتها، بكل ما فيها من أفكار وقيم، ومشـاعر وأعمال، وسـيطرت عليه روحه العدمية، وراح ينشـر قصائده التي تنضح بهذه الروح، وغدا شـبيهاً بعمر الخيام في رباعياته وضياعه وقلقه وحيرته!!!

رحلة ضياع سيد قطب غريبة:

هذا الكلام عن سـيد قطب قد يبدو غريباً، ولكن لن يسـتغربه إلا إنسـان لم يدرس مراحل حياته، ولـم يتعرف علـى اتجاهاته في هذه المراحل، لأن معظم الناس لم يعرفوه إلا مفكراً إسـلامياً أصيلاً، ولم يتعرفوا عليه إلا في مرحلة العطاء الفكري التي ختم بها حياته، والبعض تعرَّف عليه أديباً ناقداً قبل اتجاهه الإسلامي، ولكن مَنْ لم يدرس حياته بالتفصيـل، ولـم يطلع علـى نتاجه المتنوع المنشـور فـي الصحف والمجلات، لم يعرفه حق المعرفة!!

ولو قام باحث بجمع قصائده المنشـورة في هذه الدوريات، ورتبها ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نشرها، لعرف هذه المرحلة من حياته، وتعرف على اتجاهاته فيها، ولمس أثر الثقافة الغربية عليه، وشاهد ملامحه في رحلة الضياع التي سـارها، والتي أنقذه الله منها، فلم يصل إلى نهايتها، حيث نقل خطاه نقلة بعيدة في طريقه إلى الخلود.

قصائد له تسجل ضياعه:

وسنقدم فيما يلي نماذجَ من قصائده، فيها الدليل القاطع على ما ذكرناه!!

١ ـ قصيدة «السر» عام ١٩٣٥م:

من هذه القصائد قصيدة (السر) التي نشرها في يناير ١٩٣٥م، والتي يقول فيهـا مخاطباً أصحاب القبور عند زيارته (لـوادي الموتى): يقول معرِّفاً بنفسه:

هو الشّاعِرُ المَلْهوفُ لِلْحَقِّ والهُدى ... وَلِلْسِّـرِّ لَمْ يَكْشِـفْهُ ضَوْءٌ لِناظِرِ
تَحَيَّرَ في سِـرِّ الحَياةِ وَما اهْتَدَى ... إلَيْهِ وَلَـمْ يَقْنَعْ بِتِلْـكَ الظَّواهِرِ
وَساءَلَ عَنْهُ المَوْتَ وَالمَوْتُ سادرٌ ... وَساءَلَ عَنْهُ الشِّـعْرَ في حَنْقٍ ثائِرِ
وَسـاءَلَ عَنْهُ كُلَّ شَـيْءٍ فَلَمْ يَفُزْ ... بِشَـيْءٍ وَلَمْ يَرْجِـعْ بِصَفْقَةِ ظَافِرِ
أَفي هذهِ الأَجْداثِ طِلَّسْـمُ سِرِّهِ ... لَعلَّ، فَمَنْ يَدْري بِسِـرِّ المَقابِرِ[1]

وقد عَرَّفَ أهلَ القبور بقصده من زيارتهم قائلاً:

أَنا الحَيُّ لمَّا يَدْرِ أَسْـبابَ خَلْقِهِ ... أَنا المُدْلِجُ الحَيْرانُ بَيْنَ الخَواطِرِ
دَلَفْتُ إلـى وَادِي المَنايَا لَعَلَّني ... أفـوزُ بِسِـرٍّ فـي حَنايَـاهُ غائِرِ

(١) دار العلوم ـ السنة الأولى ـ العدد الثالث ـ يناير ١٩٣٥م، صفحة ٨٣ ـ ٨٤.

ثم طرح أسئلته عليهم، وكله أمل في أن يجد عندهم الجواب الشافي عليها!!

أَمَا تَعْلَمُونَ السِّرَّ في خَلْقِ عالَمٍ ... يَموتُ وَيَحيى بَيْنَ حِينٍ وَآخَرِ
وَتَكْنَفُهُ الأَحْداثُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... وَيَرْكَبُ لِلغاياتِ شَتَّى المَخاطِرِ
وَلَيْسَ لَهُ مِن غَايَةٍ غَيرَ أَنَّهُ ... مَسوقٌ إلى تَحْقيقِ رَغْبَةِ قاهِرِ
ضنينٌ بِما يَبْغيهِ لَيْسَ يُبيحُهُ ... لِسائِلِهِ عمَّا وراءَ الظَّواهِرِ
وَماذا وَراءَ الغَيْبِ وَالغيْبُ مُطْبقٌ ... وَهَلْ يَتَجَلَّى مَرَّةً لِلْنَّواظَرِ؟
سُؤالُ أَخي شَوْقٍ وَقَدْ طالَ شَوْقُهُ ... وَحيرَتُهُ بَيْنَ الشُّكوكِ الكوافِرِ[1]

ولكنه لم يسمع سوى صدى أسئلته، فرجع خسران خائب الآمال، وراح يتمنى لو يأتيه الموت ليريحه:

فَأَلْفى سَراباً ثَمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدى ... فَوا نَدماً عَنْ بَحْثِهِ المُتواتِرِ
فَقَدْ كانَ خَيْراً أَنْ يَعيشَ على المُنى ... وَيَأْمَلَ بَعْدَ المَوْتِ كَشْفَ السَّتَائِرِ
وَيا لَيْتَ هذا المَوْتَ يَسْرِعُ خَطْوَهُ ... فَيَطْوِيَ حَيّاً عُمْرُهُ رِبْحُ خاسِرِ![2]

٢ ـ قصيدة «الإنسان الأخير» عام ١٩٣٤م:

ويوجه في قصيدته «الإنسان الأخير» دعوة إلى عزرائيل كي يخلصه من هذا العذاب والضياع، فقد يئس من معرفة سر الحياة:

هُنالِكَ دَوَّتْ في السَّماكَيْنِ صَيْحَةٌ ... دُعاءً لِعِزْرائيلَ وَالكوْنُ سادِرُ
بَرَمْتُ بِهذا الكَوْنِ هَمْدانَ مُوحِشاً ... بَرَمْتُ بِمُلْكٍ رَبُّهُ فيهِ خاسِرُ
فَهَيَّا إِذَنْ لِلْمَوْتِ أَرْوَحُ رِحْلَةٍ ... لِتُكْشَفَ أَسْتارٌ وَيَهْدَأَ ثائِرُ

(١) دار العلوم: ٨٥.
(٢) دار العلوم ـ نفس المرجع: ٨٦.

وَفيما يُعاني سَكْرَةَ المَوْتِ رَقْرَقَتْ إلى مَسْـمَعَيْهِ هاتِفاتٌ سَـواحِرُ
«هُوَ السِّرُّ أَنْ تَهْفوا إلى السِّرِّ لَهْفَةً وَأَنْ تَشْتَروا الآتي بِما هُوَ حاضِرُ»[1]

٣ ـ قصيدة «قافلة الرقيق» عام ١٩٤٦م:

ويصور نفسه فرداً في (قافلة الرقيق) يسير مذعناً إلى المجهول، فإذا ما حاول التوقف لمعرفة السر اقتيد قسراً إلى رحلته.

يقول في قصيدته (قافلة الرقيق):

قِفْ بِنـا يا حـادِيَ العُمْـرِ هُنا لَـحْـظَـةً نَـنْـظُـرُ مـاذا حَوْلَنا
فـي طَريـقٍ قَـدْ نَثَرْنـا عُمْرَنا فـيـه أَشْـلاءُ حَـيـاةٍ وَمُـنـى
قَـدْ نَثَرْناها على طـولِ الطَّريقْ وَمَضَيْنا ضِمْـنَ قِطْعـانِ الرَّقيقْ
مَوْكِبٌ يَعْطو إلى الشَّطِّ السَّحيقْ مُغْمَـضَ العَيْنَيْنِ يَمْشـي موهِنا
مِنْ ظَـلامِ الغَيْبِ تَخْطـو قَدَماهْ لِظَـلامِ الغَيْـبِ تَنْسـاقُ خُطـاهْ
في طريقٍ غامِـضٍ يُدْعى الحَياةْ يَهْتِفُ الحـادي فَيَمْضي مُذْعنا[2]

ويبلغ سـيد قطب قمة (العدمية) والشـعور بتفاهة الحيـاة، وفنائها وزوالها، بما فيها من قيم وآمال، وشـخوص وظلال، وتبدو لمسـات الثقافة الجاهليـة واضحة عليه، بل يُخَيَّلُ للقـارئ أن صاحب القصيدة ليس سـيد قطب الذي عهده، بل هو عمر الخيـام (قائد الضائعين) في رحلة الحياة الذي يقول:

لَبِسْـتُ ثَوْبَ العُمْرِ لَمْ أُسْتَشَـرْ وَحِـرْتُ فيهِ بَيْـنَ شَـتَّى الفِكَرْ
وَسَـوْفَ أَنْضو الثَّوْبَ عنّي وَلَمْ أدْرِ لِمـاذا جِئْتُ أَيْـنَ المَفَرّ؟[3]

---

(١) المقتطف ـ مجلد ٨٥ ـ الجزء الرابع ـ ديسمبر ١٩٣٤م، صفحة ٤٣٤.

(٢) الكتاب ـ المجلد الثاني ـ الجزء الثامن ـ يونيه ١٩٤٦م: ٢٩٠.

(٣) كتب وشخصيات: ٧٦.

٤ ـ قصيدة «أقدام في الرمال» عام ١٩٤٦ م:

أقول: إن سيد قطب يمثل هذا في قصيدته (أقدام في الرمال) التي يقول فيها:

نَحْنُ؟ أَمْ تِلْكَ على الأَرْضِ ظِلالْ ... وَخَيالٌ سارِبٌ إِثْرَ خَيالْ
في متاهاتِ وُجودٍ لِزَوالْ ... كَبَقايا الخَطْوِ في وَجْعِ الرِّمالْ
زُمَرٌ تَدْلُفُ في إِثْرِ زُمَرْ ... وَيْحَ نَفْسي إِنَّهُ رَكْبُ البَشَرْ
مُغْمَضُ العَيْنَيْنِ في كَفِّ القَدَرْ ... كُلَّما أَوْغَلَ في التّيهِ انْدَثَرْ
أَيْنَ رَأْسُ الرَّكْبِ أَمّ أيّان سارا ... ما أَرى في إِثْرِهِ حَتّى غُبارا
ما أَرى قَبْراً ومَا أُبْصِرُ دارا ... ضِلَّةٌ لي! ذاكَ ظِلٌّ وَتوارى
مِنْ ظلامِ الغَيْبِ في التِّيهِ البَعيدْ ... لِظَلامِ الغَيْبِ في التَّيهِ المَديدْ
وَمْضَةٌ كَالبَرْقِ تَجْتازُ الوُجودْ ... وَيُسَمِّيها بَنو الأَرْضِ الخُلودْ
خِدْعَةٌ راقتْ لِأَبْناءِ الفَناءْ ... حِينما أَعْيا على الأَرْضِ البَقاءْ
المساكينُ هَباءٌ في فَضاءْ ... رَحْمةٌ لِلذَّرِّ في مَسْرى الهَواءْ!
ما أَرى الأَرْض تَحَسُّ الوافِدينْ ... أو أَرى الأَرْضَ تَحُسُّ الرَّاحِلينْ
كُلُّ ما كانَ وما سَوْفَ يَكونْ ... نَأْمَةٌ تَهْجُسُ في جَوْفِ السُّكونْ
خُطُواتٌ ذاهِباتٌ في الرِّمالْ ... وَخَيالاتٌ تَراءى لِخيالْ
وَشُخوصٌ تَتَوارى كَظِلالْ ... لِلزّوالْ.. كُلُّ شَيْءٍ لِلْزّوالْ[١]

وقد خلع سيد قطب على الكون كله حيرته وتعبه وضياعه، فصوره لنا يقف شاخصاً حيران، لا يعرف وجهته، وبَيَّنَ أن كل ما فيه فهو ضائع.

(١) الكتاب ـ المجلد الثاني ـ الجزء الثاني عشر ـ أكتوبر ١٩٤٦م، صفحة ٩٣٠.

يقول:

وَقَفَ الكَــوْنُ حائِراً أَيْنَ يَمْضي؟ وَلِماذا وَكَيْفَ لَوْ شــاءَ يَمْضي؟
عَبَــثٌ ضائِــعٌ وَجُهْــدٌ غبيــنٌ وَمَصيــرٌ مُقَنَّــعٌ لَيْــسَ يُرْضي[١]

* * *

(١) في ظلال القرآن ـ دار الشروق: ٦: ٣٣٥٢.

المبحث الثالث
نقلة بعيدة

لو استمر سـيد قطب في رحلة الضياع التي وصفناها، لقضى عمره في ضياع، قلقاً حائراً بائساً حزيناً، يسأل ولا يجد جواباً، يبكي ويصرخ، ويتعذب ويتألم، ويئن ويشكو، لا يجد قلبه ولا نفسه ولا معنى لحياته!!

نقله الله إلى الإيمان واليقين:

ولكن الله قدَّر له أمراً آخر، ورسـم له طريقاً جديـداً، وأعد له مهمة كبرى!! وسار سيد في الطريق الذي رسمه الله له، بخطى ثابتة موفقة، وإذا به يتحول كلياً من حال إلى حال، وإذا بنفسـه وحسه، ومشاعره وأفكاره وقيمه، تولَـدُ ولادة جديدة، وتتكيف مع الوضع الجديد، وإذا به إنسـان آخر، واضح الملامح والسـمات، مقطوع الصلـة بالماضي الذي وصفنا، ولا يكاد المرء يصدق أن سـيد قطب الذي عرفه بالأمس، هو نفسه سيد قطب الذي يعرفه اليوم، بل يكاد يجزم أنهما شخصان مختلفان!!

ويزول عن المرء استغرابه، وتنتهي حيرته، عندما يعرف السر الذي أدركه سـيد قطب، والـذي غير حياتـه ونظراته إلى الكون والإنسـان والحياة، هذا السر هو ومضة الإيمان التي أضاءت جوانح قلبه، فبددت ظلامه، وراح يمشي مبصراً في عالم النور، سوياً على صراط مستقيم!!

أومضت له هذه الومضة النورانية، عندما أقبل على القرآن الكريم، وكان أول إقباله عليـه أنه أراد أن يطالعه ويدرسـه ويتمعن فيه، لدواع أدبية صرفة، فقد أراد أن يتحسس مواضع الجمال الفني فيه، ووُفق في اكتشافه الجديد الذي سجله في كتابه (التصوير الفني في القرآن).

لم يكن قد تكيف مع القرآن حتـــى الآن، ولا عاش حياته الحقيقية في ظلاله، لأنه لم يتخلص بســهولة من الرواســب التي تركتها الثقافة الغربية في نفسه، وإنما راح ـ في معاناة وجهد عجيبين ـ يتخلص منها، ويتكيف مع حياته الجديدة.

«موسيقى الوجود» في أمريكا:

وعندما ســافر إلى أمريــكا، ورأى الجاهلية هناك علـــى حقيقتها، تعمقت معاني الإيمان في نفســه، وشعشع النور في شغاف قلبه، وعلى ضوئه أخذ يدرك سر الحياة وغايتها.

يقول في مقاله (موسيقى الوجود) إنه أحس بهذه الموسيقى مرتين: «مرة وأنا في عرض المحيط، والباخرة تمر مر الريح على وجه الخضم، والنسيم رخاء، والليل ساكن، والقمر مفضفض اللألاء.

والثانية وأنا على قمة جبل تشرف على حديقة من الصخور يسمونها هنا (حدائق الآلهة) وقد انكشـــف المرتقى والمنحـــدر كلاهما، واعتنقا عند تلك القمة الشاهقة في الفضاء، لست أدري كيف أحسست، ولست أدري كيف أقـــول، إلا أن تعبيراً واحداً انســـاب على لســـاني في تلك اللحظة، التي أومضت في روحي كما تومض الشـــعلة، فتكشف الطريق إلى بعيد ثم تغيب.. تعبير واحد أحسست فيه كل ما فاض على خاطري في تلك اللحظة من قدسية وشفافية وتسبيح (موسيقى الوجود)»[1].

وقد أثرت فيه هذه الومضة النورانية التي أسماها (موسيقى الوجود) مباشرة، وتمكنت من حسه ونفســـه ووجدانه، واكتشف سر الحياة على

---

(١) الكتاب ـ المجلد التاسع ـ الجزء الرابع ـ أبريل ١٩٥٠م: ٣٢٦.

ضوئها، وأعلنها واضحة: «كلا، إنها ليست لُقىً هذه الحياة، ولا وليدة المصادفة العمياء»، «كلا إن هناك نغماً واحداً سارباً في هذا الكون كله، ولكن الآذان لا تسمعه في كل آن، وإن هناك نسقاً واحداً يضم الأشتات، ولكن العيون لا تبصره في كل اللحظات».

ثم يتساءل بعدما أحس: «هل خدعَتْني الأوهام وكَذَّبَتْني الأحلام؟ كلا! فإني لأُكَذِّبُ ما تلمسه يدي، وما تراه عيني، وما تسمعه أذني، ولا أُكَذِّبُ مسَّ هذه اللحظة الخاطفة لروحي، وإشراقها في ضميري»[1].

تفاعل كيانه مع هذه الومضة، وفتح مغاليقه لهذا النور، وتذوقت روحه حلاوة الإيمان، وهنا أحس أنه قد ولد من جديد، أحس لذة الراحة وبرد اليقين، ووجد نفسه وذاته، وعرف سر وجوده، لقد رُزِقَ الإيمانَ أكبر منَّة في الوجود، وضم جوانحه عليه، وصار عليه حريصاً، وبه ضنيناً، لقد عرف قيمة ما معه، وصار أغلى عنده من الحياة نفسها، لأن قلبه من قبل قد اجتاحه القلق والظلام، وغمرته الوساوس والشكوك، واستبد به الأسى والشقاء، وتخبط طويلاً في ظلماء، لا يعرف أين يضع قدميه، وصرخ قلبه طويلاً صرخات موجعة..

أمّا الآن فهو فَرِحٌ مسرور، لحصوله على هذا الرصيد من الهدى والنور، والثقة والطمأنينة، والرضا والسعادة، والمعرفة واليقين.

وجد في الإيمان ضالته:

استقرت حقيقة الإيمان في قلبه، وسيطرت على وجدانه وحسه وفكره، ووجهت مشاعره وأفكاره، وأعماله وسلوكه، نحو الغاية المحدودة، أثَّـرَ الإيمان في نظرته إلى الوجود، فوسع من تصوره له،

---

(١) الكتاب ـ نفس المرجع: ٣٢٧.

وقوى من يقينه، فانطلق يصحح على أساسه تصوره للقيم والأشياء، والأشخاص والأحداث، واطمأن بذلك في رحلته على هذه الأرض. وأنس بكل ما في الوجود من حوله، وشعر بقيمته وكرامته، وأحس بأن له مهمة مرسومة، وهدفاً محدداً وطريقاً واضحة، وأن عليه أن يتحمل ذلك كله بأمانة وإخلاص، ليُرضي الله ﷻ، ويحقق الخير للناس.

وجد بهذا الإيمان الجواب الفاصل اليقيني على أسئلته التي طالما وجهها إلى الأحياء والأموات والكون، عرف من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وبهذا الجواب اختفت عنه مشاعر القلق والشك والحيرة، الناشئة عن عدم معرفته المنشأ والمصير، وعدم رؤية المطويّ من الطريق، وعدم الثقة بالحكمة التي تكمن وراء مجيئه وذهابه، ووراء رحلته في الحياة.

لقد كسب بإيمانه كسباً ضخماً في عالم الشعور، وعالم التفكير، وعالم الجسد والأعصاب[1].

أقبل على القرآن يتذوقه ويعيش معانيه، وأقبل على الثقافة الإسلامية: «ينهل منها ويعبّ ولا يرتوي.. حتى بلغ مجموع ساعات مطالعاته في اليوم عشر ساعات، كحدّ أدنى للبحث والاطلاع»[2].

صاغ على هدي هذا القرآن قيمه ومبادئه وموازينه، وفكره ونفسه ووجدانه، ومشاعره وأحاسيسه، وصار يسعى إلى تطبيق ما يؤمن به، ويكيف حياته وسلوكه وواقعه وِفقه. لم يعد ـ على هدي حالته الجديدة ـ يؤمن بالتفريق بين المبدأ وصاحبه، لأن المبدأ أو الفكرة بدون عقيدة حارة تدفع قلب الشخص إلى الأمام، ليس سوى كلمات

---

(١) لبيان أثر الإيمان في نفسية صاحبه، انظر: «في ظلال القرآن» ٦: ٣٣٥١ ـ ٣٣٥٣ دار الشروق.

(٢) انظر: مقالة يوسف العظم في (الشهيد سيد قطب): ٢٧.

خاوية أو معان ميتة، أو صياغة لفظية خالية من الروح والحياة. وإن التفريق بين الفكرة والشخص، كالتفريق بين الروح والجسد، أو المعنى واللفظ، وإن تَمّتْ فإنما تعني التحلل والفناء.

وقد حدثنا عن تجربته في معايشة ما يؤمن به «وكنتُ أجدني أقرب إلى حقيقتي وأنا أكتبه، إلى حد أن أعيش هذه الأفكار والخواطر، وأترجمها شعوراً وسلوكاً، لحظة بعد لحظة، ويوماً بعد يوم، وكنت أجد من الصفاء الروحي والرضا النفسي بسبب عيشتي لهذه الأفكار، ما يملأ حياتي غبطة، أن لا أجد ما يخجلني أمام نفسي من عزلة بين ما أقول للناس وما أزاوله في الحياة»[1].

وبدأ يتخلص من أثر الثقافة الغربية عليه، ويزيل رواسبها شيئاً فشيئاً، فصار وهو في أمريكا يهاجم الحضارة الغربية في عقر دارها، ويكشف عوراتها ومساوئها، ويعلن بعزة وشجاعة تمسكه بالإسلام، ويدعو إليه على بصيرة.

نشاطه الإسلامي بعد عودته من أمريكا:

وعندما عاد إلى مصر، أدرك على هدي إيمانه الجديد، أنه لا بد أن يجند نفسه ووقته وطاقاته ومواهبه لخدمة هذا الدين، والدعوة إليه، وتحكيمه في واقع الحياة، فرأيناه جندياً عاملاً في الدعوة الإسلامية، حيث سخر كل ما يملك في سبيل الله، من خلال عمله مع جماعة الإخوان المسلمين.

تغيرت نغمة كتاباته بعدما تعمق الإيمان في قلبه، فانصرف عن نظم

---

(١) الكتاب: المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ـ أبريل ١٩٥١م: ٣٩٠ ـ ٣٩١.

الشـعر، وعن الاهتمامات الأدبية الأخرى، من مقالة أو نقد أو بحث، واتجه إلى الإسـلام في مقالاته وبحوثه، يجلي محاسنه، ويبين مبادئه، ويعالج أمراض المجتمع على هديه، ويجاهد الجاهلية به، ويسـتخرج معالم الطريق منه.

وبمقدار ما أغاظ أعداءَ الإسلام في داخل البلاد وخارجها، باتجاهه الجديد، وبروحه الفتية التي توفرت لديه، بمقدار ما استحوذ على قلوب الشـباب المؤمن، في الداخل والخارج، ووجدوا فـي مقالاته وبحوثه ومحاضراته ونشـاطاته، زاداً لهم ومعرفة وثقافة، وجعلـوه قدوة لهم، ورائداً يكشف أمامهم الطريق.

تحولت كلماتـه إلى معالم مضيئة، تنير الطريـق للمجاهدين، وفي نفس الوقـت تحولت إلى كوابيـس مرعبة تقض مضاجـع الظالمين، وإنذارات موجهة إلى أعداء الدين.

كلامه عن سرّ «قوة الكلمة»:

وقد كانت كلماته وأفكاره الوقود الذي أشعل الثورة المصرية، وقد عجب هو نفسه من قوة الكلمة، وكشف عن سـر هذه القوة قائلاً: «إن السـر العجيب ليس في بريق الكلمات وموسـيقى العبارات، إنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء الكلمات، إنه في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس، في هذا يكمن سر الكلمة، وفي شيء آخر: في اسـتمداد الكلمات من ضمائر الشعوب، ومن مشاعر الإنسان، ومن صرخات البشـرية، ومن دماء المكافحين الأحرار!. إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلـوب الآخرين، فتحركها وتجمعها وتدفعهـا، إنها الكلمات

التي تقطـر دماء، لأنها تقتات قلب إنسـان حي، كل كلمة عاشـت قد اقتاتت قلب إنسـان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسـنة، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقـد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شـبراً واحداً إلى الأمام. إن أحداً لن يتبناها لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنـون الأموات، إن أصحاب الأقلام يسـتطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً، ولكن بشرط واحد: أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم. أن يُطعموا أفكارهـم من لحومهم ودمائهم. أن يقولـوا ما يعتقدون أنه حق، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق، إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامدة حتى إذا متنا في سبيلها وغذيناها بالدماء، انتفضت حية، وعاشت بين الأحياء.

فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم ويكدّون قرائحهم، لينتقوا اللفظ الأنيق، وينمقوا العبارة الرنانة، ويلفقوا الأخيلة البراقة. إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة: وفِّروا عليكم كل هـذا العناء، فإن ومضة الروح، وإشـراق القلب بالنار المقدسة. نار الإيمان بالفكرة.. هو وحده سبب الحياة حياة الكلمات وحياة العبارات»[1].

بهـذه الكلمات القويـة، أبان لنا عن سـبب تأثير كلماتـه، وأرانا روحها، وعلى هذا الهدي سـار في بقية حياته، فعاش عزيزاً شـجاعاً عاملاً، ولما ضُيق عليـه في دنياه، واكتوى بنـار المحنة والابتلاء مع إخوانه، سخر بالجلادين والطغاة، واستعلى عليهم بإيمانه، وأراهم من نفسه العزة والكرامة، وعاش سـنوات المحنة، في الزنازين والسجون، في جو آخـر، وحَلَّقَ في آفاق شـفافة عالية، عاش مع القـرآن، وتفيّأ

---

(١) دراسات إسلامية: ١٣٨ ـ ١٣٩.

ظلاله، وتــذوق ألفاظه ومعانيــه وقيمه، وأخرج للعالــم نتيجة نظراته ودراساته فيه، وبين لنا طرفاً من حياته معه، وكشف لنا عن سرو روحه ونفسه الراضية الآمنة.

وأخيرا بذل روحه في ســبيل دينه، وقدم نفســه فداء لما يؤمن به، ولقي ربه شــهيداً صادقاً وفياً، قال قبل أن يلقى الشــهادة: «إن كلماتنا تبقى عرائس من الشــمع، حتى إذا متنا في ســبيلها دبت فيها الروح، وكتبت لها الحياة»[1].

وما أن خرجت روحه من جســده، حتى دبت الحيــاة في كلماته، فتلقفها الشــباب الظامئ إلى الإسلام، وراح يغترف من منهلها، ويحيي نفسه وفكره وروحه بمعانيها.

سيد قطب رائد الفكر الإسلامي المعاصر:

إن ســيد قطب يمثل نموذجاً خاصاً، يذكرنا بالصحابة الكرام عند اســتقبالهم لهذا القرآن، فما أن يومض الإيمان في قلب أحدهم حتى يتحول إلى رجل جديد بملامح جديدة، ويكيف ســلوكه وواقعه وفق تعاليم الإسلام، ويخلع على عتبة الإســلام كل ماضيه.. وهكذا كان سيد قطب، لمســنا فيه آثار هذا الإيمان، وسار معه نقلة بعيدة، وهذا يبين لنا فضل الإســلام عليه، فلولاه لبقي ضائعاً تائهاً قلقاً، وبه صار رائد أجيال، وقائد دعوة، ومدرسة جهاد ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

---

(١) دارسات إسلامية: ٢٢٨.

صار سـيد قطب ـ بالإسـلام ـ رائداً، والرواد في تاريخ الإنسانية قليلون، وقـد بين لنا طبيعة هؤلاء الرواد بقولـه: «إن الرواد دائماً كانوا وسـيكونون هم أصحاب الطاقـات الروحية الفائقة، هـؤلاء هم الذين يحملون الشعلة المقدسة، التي تنصهر في حرارتها كل ذرات المعارف، وتنكشـف في ضوئها طريق الرحلة، مزودة بكل هـذه الجزئيات، قوية بهذا الزاد، وهي تجدّ السير نحو الهدف البعيد! هؤلاء هم الرواد الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشـاملة، المتعددة المظاهر في: العلم والفن والعقيدة والعمل...

إنهم قليلون، قليلون في تاريخ البشـرية.. بل نـادرون! ولكن فيهم الكفاية.. فالقوة المشـرفة على هذا الكون هـي التي تصوغهم، وتبعث بهم في الوقت المقدر المطلوب»[1]!

* * *

(١) أفراح الروح: ١٩ ـ ٢٠.

الفصل الثاني

ملامح شخصيته وخصائص أسلوبه

المبحث الأول
أهم ملامح شخصيته

إن المتتبع لسير سيد قطب في مراحل حياته المختلفة، منذ طفولته إلى استشــهاده، والدارس لنتاجه وآثاره، والمطلع على مواقفه وأعماله، والمتذوق لأدبه وبيانه، يســتطيع أن يرســم في مخيلته صورة واضحة القسمات، تبدو فيها ملامح شخصيته، وتظهر فيها العوامل المؤثرة في نفسيته، كما تطل منها على السطح سجاياه ومزاياه وأخلاقه!

سيد قطب يحلل نفسه:

وقبل أن أوجز أهم ملامح شــخصيته، أرى من المناســب أن أدعه يتحدث عن شــخصيته، ويحلل نفســيته، ويرينا إياهــا واضحة، فأدرى الناس بالنفس وخباياها هو صاحبها، يقول سيد متحدثاً عن نفسه:

نفســي خيِّرة محبة، يغمر الحنان جوانبها، تريد ـ لو استطاعت ـ أن تبسم لكل شيء، وأن يبسم لها كل شيء.. وهي تعشق الرضا والهدوء، وتتلمســهما في كل ناحية، وفي كل مظهر من مظاهــر الحياة، وتود لو كانت الحياة منبســطة هادئة، لا عوج فيها ولا نتــوء، ولكنها مع ذلك تحتفظ بخيرها وحنانها في أشد ساعات الغضب والانفعال والسخرية، وهي تود ألا تغضب ولا تنفعل في يوم من الأيام، حتى إذا انتهى ذلك الموقف عاد إليها حنانهــا، وعادت تبحث عن مظاهــر الود والمحبة، بحث اللاهث المستزيد! وكل ذلك في غرارة بريئة مندفعة، في رضاها وسخطها على الســواء، وفي طفولة كبيرة لا تخرج منها إلا وهي تحن إليها، وتسخط على الحوادث والتجارب التي فجعتها فيها.

ويعلل سبب ثورته وشكواه وغضبه وسخطه بأنه ناتج عن (التفاعل بين الحياة بقسوتها وسكونها وبين هذه النفس التي تُفجع في هدوئها وتُنكَب في آمالها).

ويبين آفاق حبه بقوله: «وهذا الحب الذي يخفق به قلب شاعرنا ليس مقصوراً على حب المرأة، ولا حب الأصدقاء، وما أردت ذلك فقط حين قلت إن نفسه (محبة)، وإنما قصدت إلى معنى أشمل، هو معنى الحب العام الذي يعمر النفوس، فلا يدع فيها مكاناً للبغضاء أو الحقد، والذي يجعلها نزّاعة أبداً إلى الاجتماع والعطف، وَتَلَقّي كل مظهر من مظاهر الحياة بنوع من القبول والرفق، فهو يود لو يشمل الكون جميعه بالحنان، وأن يشمله كل شيء في الكون بالحنان كذلك، وأن يكون بينهما تعاطف وتراحم وتوادّ.

ويكمل تحليل نفسيته ببيتين من الشعر يقول فيهما:

هُوَ قَلْبٌ ما دَرى كَيْفَ الشُّرورُ لا وَلا كَيْفَ يُرائي أَوْ يَخونْ
يَحْفَظُ الودَّ وَحاشا أَنْ يَجورْ وَلَكَمْ يَبْكي لِمَرْأىٰ البائِسينْ»[1]

ونستطيع أن نُضيف إلى تحليله الذي ذكر فيه بعض ملامح شخصيته، وسمات نفسيته بعض الملامح الأخرى:

١ ـ الصدق:

غرست هذه السمة فيه منذ صغره، وبقيت ملازمة له طيلة حياته، فقد كان في طفولته صادقاً في كلامه، وفي معاملاته، وفي علاقته مع الآخرين، وعندما شب سيد قطب، وصار يمارس الكتابة ونظم الشعر،

---

(١) الأسبوع ـ المجلد الثالث ـ عدد ٣٧ تاريخ ٨ أغسطس ١٩٣٤م، صفحة ١١.

انصبغت آثاره كلها بهذه الصبغة، الصـــدق المطلق، الصدق في بواعث القول، والصدق في الإحساس الشعوري، فما كان ينظم قصيدة إلاّ بعد أنّ يعيشها في شعوره، وتتوهج نفســـه في الإحساس بمعانيها، ثم تأتي الكلمات والأبيات الشـــعرية، تنقل هذه التجربة التـــي مرَّ بها بصدق، ولذلك ما رأينا ســـيد قطب ـ مثل بعض الشـــعراء ـ يقف في المجامع والاحتفالات، ينشد قصائده، يتزلف بها في مدح ملك أو عظيم[1]، وما رأيناه ـ كغيره من الشعراء ـ يقول الشعر في معان لم تتفاعل بها نفسه، وقد عاب في مقالاته النقدية كثيراً على شعراء المناسبات، الذين تكون القوافي عندهم جاهزة للقول في أي غرض شعري.

انصبغت مقالاته بهذه الصبغة، فكان صادقاً في قول ما يريد، يقوله صريحـــاً فيه، غير عابئ بما يصيبه منه، المهم عنـــده أنه كان صادقاً مع نفســـه، في التعبير عما تحس به، ولذلك ضاق الأدبـــاء ذرعاً بمقالاته النقدية، التي وجهها لأدبهم وشـــعرهم، وحاولوا بشـــتى الوســـائل أن يحملوه على أن يغير أحكامه، ولكنه كان يصر عليها!

كذلك ضاق النظام الحاكم في مصر ـ وعلى رأسه الملك ـ بمقالاته الصادقة، التي بين فيها أمراض المجتمع، وأظهر فيها صوراً عديدة من الظلـــم الاجتماعـــي، يتجلى فيهـــا الترف الفاجـــر في مقابـــل البؤس والحرمان.

---

(١) غير قصيدة نشرها سيد قطب في مجلة دار العلوم باسم (المهرجان)، قالها في مدح فاروق، ولا نعرف دوافعه إلى إنشادها، إلاّ أن مجلة دار العلوم خصصت ذلك العدد الذي نشرت فيه القصيدة بجلوس فاروق ملكاً على العرش، ونشرت فيه قصائد كثيرة منها قصيدة سيد قطب، هذا ولم أجد أختاً لهذه القصيدة فيما اطلعت عليه من شعره!!
انظر: مجلة دار العلوم ـ السنة الرابعة ـ مارس ١٩٣٨م، صفحات ٥٢ ـ ٥٤.

ولقد اتصفت بحوثه المختلفة بالصدق، وما سجَّلَ أفكاره وآراءه إلا بعد أن عاشها في قلبه وواقعه، وما أعلنها للناس إلا بعد أن اقتاتت قلبه وتغذت بدمه، ولذلك أقبل عليها الدعـاة العاملون، لأنها حية، حملت روحاً من روحه، واصطبغت بلهجته الصادقة.

ونتيجة لهذه الصفة صارَ تَعامُلُ رجال السياسـة معه مستحيلاً، لأن حياتهـم مبنية على الكذب والخـداع، فلم يتمكن من الاسـتمرار في حزب الوفد، ولا حزب السعديين، ولم يكن مرضيّاً عنه عند رؤسائه في وزارة المعارف، ولا عند أصحاب الصحـف، لأنهم لا يُطيقون إلا مَنْ يتزلـف إليهم، وعندمـا قامت الثورة، لم يسـتطع أن يسـير معهم في وظيفتـه الجديـدة إلا عدة شـهور، ولما اسـتحال عليـه بصفته هذه الاسـتمرار في حياته الوظيفيـة، اعتزل الوظائف كلهـا، وانصرف إلى الشباب المؤمن المجاهد، يربيه في صدق.

كان صادقاً في اتجاهه إلى الله، ففتح الله له المغاليق، وأنار له معالم الطريق، وأعانه علـى الصبر والثبـات في المحنة، ووفقـه في بحوثه الإسلامية الحركية الجادة!

وكان صادقاً في طلبه الشـهادة، فرزقه الله إياها، وجاءته تسعى إليه في سجنه، وكتب الله له السعادة والحياة الأبديّة على أيدي قوم بؤساء، كُتبت عليهم التعاسة والشقاء بإزهاقهم روحه الصادقة!

٢ ـ الجدية:

وكما اصطبغت شخصيته بالصدق، تميزت كذلك بالجدية، فهو جاد منذ صغره، لا مجـال في حياته للهو أو لعـب أو ترخص، وبينما كان لداتُهُ الصغار من الأطفال ينصرفون إلى العبث واللعب، كان هو منصرفاً

إلى الجد والمثابرة، في مدارسة كتبه، أو مداومة النظر في آيات القرآن يحفظها، أو مطالعة الكتب التي اشتراها، أو مشاركة الكبار أحاديثهم الجادة، أو السير في الحقول يتأمل خلق الله!

وعندما شب وكبر، وانصرف زملاؤه إلى العبث واللهو، انصرف إلى الجد، المتمثل في اهتماماته الأدبية، من مطالعة الكتب، أو كتابة البحوث والمقالات، أو نظم الشعر، فلم يجد متسعاً من وقته لِلَّهوِ أو الترخص.

وكانت الجدية في البحوث التي اتجه إليها، حيث لم تكن اهتماماته الأدبية منصرفة إلى كتابة المقالة الساقطة، أو القصة المكشوفة، أو القصيدة العابثة، وإنما إلى البحوث الأدبية الجادة، ودراسة الشخصيات الأدبية، وتحليل نتاجها، ورسم ملامحها.

كان حريصاً على وقته أن يضيع، يقول في إحدى محاضراته مخاطباً جمهوراً من المثقفين: «أنا ممن يؤمنون إيماناً جازماً بأن أعمارنا القصيرة، وساعاتنا المحدودة في هذه الحياة العاملة، أقصر وأثمن من أن تضيع في التكرار، وكل مطلع شمس لا يغذيني بجديد، ويعوضني عن اليوم الفائت من عمري، عمقاً وسعة في فهم الحياة، هو خسارة لا تعوض»[١].

وكانت الجدية في حياته الإسلامية الزاهرة، فلم تفارقه حتى وهو في أمريكا، البلد التي تغوي الكثيرين بمباهجها ومفاسدها، بل انصرف فيها إلى الحياة الجادة المستقيمة.

---

(١) دار العلوم ـ السنة السابعة ـ العدد الرابع ـ ابريل ١٩٤١م، صفحة ٣٩.

وتتمثل الجدية في مسيرته مع جماعة الإخوان المسلمين، قبل دخول السجن، وأثناء سجنه حيث صار ـ بجديته في مواقفه التي وقفها ـ منار جهاد للعاملين!

«وتظهر الجدية في الموضوعات التي عالجها، والبحوث القيمة التي قدمها، حيث كان يكتب في مشكلات الساعة، وقضاياها الملحّة التي يعيشها الناس، ويعانون من شرورها وآثامها، ووضع الحلول الصالحة التي يعتقد صوابها وجدواها»[1].

كما «تظهر الجدية أيضاً في الاهتمام بالكليات والأصول، والابتعاد عن الجزئيات والفروع، التي تستهلك أوقات المسلمين وأعمارهم، في معارك كلامية جانبيّة، وجدل فارغ عقيم» حيث راح يركز في بحوثه وموسوعته (الظلال) على العقيدة، وترسيخها في القلب، ويعرضها عرضاً أخاذاً بليغاً، يؤثر في الوجدان، متأثراً بأسلوب القرآن في العرض، ومبتعداً عن طريقة المتكلمين والفلاسفة العقلية الجافة.

٣ ـ الحركية:

لم يكتف سيد قطب بالنظر في نصوص القرآن، بقصد المتعة العقلية، والزاد الثقافي، وإنما نظر فيها بقصد العمل والحركة، ولذلك ما إنْ تعرف على هذا الزاد، وأضاء نور الإيمان جوانح نفسه، حتى سارع بالانضمام إلى الحركة الإسلامية، جندياً مع العاملين، وسخّر كل إمكانياته الثقافية والعملية للإسلام، وعاش أقسى تجربة عملية حية، ولاقى الكثير، واحتمل أقصى ما يحتمله بشر، من صنوف الأذى

---

(١) فقه الدعوة، لأحمد حسن: ٧.

والعــذاب، وقابل هذا بنفس راضية، وصبر عجيب، وفي ســجنه، ومن خلال مواجهته للجاهلية التــي كادت له، راح ينظر في نصوص القرآن، ويتذوقها على هدى تجربته الجديــدة، ولابس الأحداث التي عاصرت نزولها أول مرة، وتنسم جوها الواقعي، انتقل بتجربته الجديدة إلى جو مكة، والدعوة مستضعفة، والمسلمون مسجونون في الشِّعْب، وسمعت أذنه أصوات السياط تهوي على أجساد القلة المؤمنة، في جنبات مكة، ولذعت جســده بألمها وجراحها، ورأت عيناه الدماء تسيل من أجساد المجاهدين في مكة، وســار مــع الحركة الإســلامية خطواتها الأولى، خطــوة خطــوة، وراح ينظر فــي نصوص القــرآن على ضوء مســيرته الجديدة، فوجــد له مذاقاً جديداً، وفتح الله عليه فهمــاً جديداً، وأنار له معالم الطريق اللاحب الطويل، فسار فيها بثبات وعزم ويقين.

وآتاه الله المفتاح الحركي، الــذي فتح به كنوز القرآن الحركية، هذا المفتاح هو قوله: «إن المســألة ـ في إدراك مدلولات القرآن وإيحاءاته ـ ليس هي فهم ألفاظه وعباراته، ليست هي «تفسير» القرآن كما اعتدنا أن نقول! المسألة ليست هذه. إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تشــابه المشــاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله، وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك. معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس... إلخ»[1].

وقد جعل هذا أساس تفسيره «في ظلال القرآن»، ودعا الذين يريدون فهم القرآن إلى الحركة بــه كما تحرك هو، ومواجهة الجاهلية بنصوصه كما واجه هو، والعيش في ظلاله كما عاش هو، وتتبع مســيرة الجماعة

---

(١) خصائص التصور الإسلامي: ٧ ـ ٨.

المسلمة الأولى كما تتبع هو، والصبر على مشاق الطريق كما صبر هو، وتحمل كل ما يلاقيه أثناء المسير كما تحمل هو، وأعلن أنه بدون هذه الطريق، فإن القرآن لن يفتح كنوزه لأي باحث، مهما أُوتي من العلم والمعرفة والثقافة، وبيّنَ أنّ هذا هو الميدان الذي يجب أن يدخله العاملون، ودعا العلماء والباحثين والمؤلفين إلى دخوله، وكشف النقاب عن أن العمل في الجانب الفكري النظري الإسلامي وحده، هو ضياع العمر والجهد فيما لا طائل تحته، وأن مَنْ يسلكه فإنه يتهرب من دفع ضريبة العزة، وإنما يُؤْثِرُه قاصداً الراحة، طالباً العاقبة المأمونة، وَنَصَحَ للذين يسلكون هذا الجانب وحده ـ وهم يظنون أنهم يخدمون الإسلام ـ بأن يشتغلوا بعمل آخر يتكسبون منه، كالزراعة والصناعة[1].

٤ ـ العصامية:

وأعني بها دأبه ومثابرته، لتحصيل العلم والثقافة، والتزود كل يوم بجديد، وتثقيفه نفسه بنفسه، وإقباله على الثقافة ينهل منها، وخوضه غمار البحث والدراسة وحيداً دون معونة أحد.

فقد وهبه الله نبوغاً وذكاء وعبقرية، وفطره على محبة البحث والتحليل والمطالعة، ولو اكتفى بنبوغه وذكائه لما قدم لنا هذا النتاج الكبير، لأن النبوغ وحده لا يكفي، ولا العبقرية كذلك، ولا بد من أن يتبعهما الدأب والثبات والمثابرة، وكثيراً ما تضيع المواهب الفنية؛ لأنها لم يواكبها الدأب والمثابرة.

أقبل سيد قطب على الكتب القديمة والحديثة، العربية والمعربة، وعلى المجلات في مختلف التخصصات، وكوَّن منها رصيداً ثقافياً

(١) انظر خصائص التصور الإسلامي: ٧ ـ ١١ والظلال ٤: ١٨٩٤م و٤: ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٦.

كبيراً، استطاع به أن يكون أديباً وشاعراً، وقاصّاً وصحفياً، وناقداً ومصوراً وباحثاً، وما كان يترك كتاباً مهماً كان إلاّ ويطلع عليه، ولا يضيع لحظة من وقته في ليل أو نهار، بل عندما كان جسمه الناحل يعلن تمرده، ويصاب بالإعياء والتعب والمرض، وينصحه الأطباء بالإخلاد إلى الراحة، كان يجلس على سرير المرض متأملاً متفكراً، أو يتناول أوراقه ليسطر عليها قصيدة أو مقالة.

يقول سيد قطب مشيراً إلى عصاميته: «وأنا اليوم أحمد الله على أنني خططت طريقي بنفسي مستقلاً، وبجهدي خالصاً، لم يأخذ بيدي عظيم، ولم يقدِّمني إلى الناس أستاذ»[1].

بهذه الهمة القوية والعصامية النادرة، شق سيد قطب طريقه في عالم الأدب والنقد، ففي الثلاثينيات كان من الشعراء الشبان الذين يشار إليهم بالبنان، ونظم قصائد ترقى إلى عيون الشعر العالمي، وفي الأربعينيات كان في طليعة النقاد المصريين المرموقين، بل كان ناقد مصر الأول، وهو لم يتخصص في دراسته بالنقد، ولم يتعمق في مناهجه، بل استصحب معه حاسة نقدية عميقة، وفطرة سليمة، وفي أوائل الخمسينيات كان في طليعة أدباء العربية.

وعندما اتجه وجهته الإسلامية، شق طريقه في عالم الفكر بنفسه، وأقبل على أُمهات الكتب الإسلامية في مختلف التخصصات، وصار ينشر بحوثه الإسلامية التي أثَّرت في الناس، وهزت عروش الظالمين.

وعندما ضاقوا به ذرعاً زجوا به في السجن، وصبوا عليه صنوف العذاب والاضطهاد، وما إنْ خف عنه، حتى عاد سيرته الأولى في عالم

(١) الثقافة ـ السنة الثالثة عشرة ـ عدد ٦٦٣ تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١م، صفحة ٨.

البحث والدراسة والتأليف، فوجد في سجنه خلوة، خلا فيها إلى نفسه وفكره، وأقبل على القرآن الكريم، وأصدر موسوعته الإسلامية (في ظلال القرآن)، وغيرها من البحوث الإسلامية الحركية الجادة، التي أَثَّرَتْ في مسيرة الحركة الإسلامية!

إن الإنسان ليعجب من إنسان ينتج كل هذا النتاج في السجن! ولكن المطلع على حياة سيد قطب، والمتعرف على شخصيته، والمدرك لعصاميته، يزول عنه هذا العجب، فهو طراز وحده، بين الأدباء والنقاد والباحثين، والعلماء والرواد والمفكرين.

٥ ـ العزة والشجاعة:

وقد جبلت نفسه عليها سجية، ونماها والداه فيه، فكان منذ صغره يأنف مواقف الذل والجبن، وينفر من المواقف التي تسيء له، أو تسبب له الضعف أو الغضاضة، كان معتداً بنفسه، واثقاً من شخصيته.

وقد سيرت هذه الصفة حياته العملية، في الوظيفة، والصحف والمجلات التي كان يعمل فيها، فما عرفنا عنه أنه وقف موقف ذل أو ضعف أو جبن أو استخذاء، بل كان عزيزاً أبياً، وهذا ما عقَّد علاقته برؤسائه، الذين لم يتعودوا من المرؤوسين إلا السكوت أو الجبن والاستخذاء يقول سيد قطب: «أنا لا أؤمن بهذا الحياء، الذي يقعد بأصحاب الكفايات عن بلوغ حقهم، وترك الكلاب تَلِغُ في الاستثناءات وغير الاستثناءات، بل أنا أشك في كفاية هذه الكفايات، التي ترى حقوقها تؤخذ وتعطى للكلاب من الوصوليين، ثم تتقبل ذلك وتستنيم»[1].

---

(١) الرسالة ـ السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٨٩١ تاريخ ٣١ يوليو ١٩٥٠م، ص٨٧٢.

وعندمـا تعرَّف علـى النور الإلهي، وسـار في طريقه الإسـلامي الواضـح، نمّى الإيمانُ هـذه الصفة، وطبعهـا بطابعـه، وأعطاها بُعداً إسـلامياً، وأغاظت هذه الصفة أعداءه، الذين عذبوه وسـاوموه، ولكن الإيمان استعلى في قلبه، والعزة والإباء تمكنت من نفسه، فصمد وصبر وثبت ووفى بالعهـد، وعندما طلبـوا منه أن يعتـذر، واجههم بعزيمة الإيمان وعزة المسلم، وقال عبارته التي تقطر حروفها عزة وإباء: «لماذا أسترحم؟ إن سُـجنت بحق، فأنا أقبل حكم الحق، وإن سُجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل»!

ومما يتعلق بالعزة الشـجاعة النـادرة التي نماها الإسـلام، والتي تَجلت في مواقفهِ بعد انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين، ودخوله السجن، ومواقفه أمام المحققين، وأمام القضاة والمحلفين!

٦ ـ الكرم والسخاء:

ومنها الكرم والسخاء الذي اشتهر به، حيث كان ينفق ما يأتيه، ولم يدخر شـيئاً من المال الوفير الذي يأتيه من ريـع كتبه المطبوعة مرات ومرات.

وقد روى لي الأسـتاذ أحمد عبد الغفور عطـار حادثة غريبة، رآها بنفسـه، تدل دلالة واضحة على كرمه، فقد كان العطارُ يزوره في منزله في حلوان كثيراً، وكان أثاثُ غرفةِ الاسـتقبال متواضعاً، لأنّ حالة سيد قطب المادية لم تكن تسمح له بتحسـينه، وزاره ذات يوم فوجد عنده أثاثاً جديداً جميلاً، فَسُـرَّ بهذا التغيير، ثم زاره مـرة أخرى فوجد أثاثاً قديماً! فاستغرب، وبعد إلحاح منه على سيد قطب ليعرف حقيقة الأمر، أجابه بأنه باع الأثاث الجديد، وقدَّم ثمنه مسـاعدة لأحد إخوانه، ليتمم

مصروفات زواجه! وقال لــه: إن ما معك من المــال لا يكفي لنفقات الزواج، فإذا أنفقتَه عشــتَ فقيراً معدماً، فاســتعن بمالك على حياتك العائلية القادمة، وأنا أتبرع بكل نفقات الزواج!

وكان الذي تبرع به هو ثمن أثاثه الجديد!

هذه هي القمة في الكرم، وهذا هو الإيثار ـ كخلق إسلامي ـ يقدمه سيد قطب في صورة عملية!.

وكان لأقاربه وللفقراء والمحتاجين من الناس عموماً، ومن الإخوان المســلمين على وجه الخصوص، ولأســر المعتقلين من الإخوان، كان لهم نصيب من ماله، وقد شمل كرمه المجرمين في السجن، كما شمل السجانين، وتعداهم إلى الحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب!.

٧ ـ النزاهة والتجرد:

ومنها النزاهة: فقد عاش ســيد قطب حياته كلها نزيهاً شريفاً نظيفاً، لم تمتــد يده إلى مال بغير حق، ولا إلى عظيــم أو كبير يتزلفه مادحاً، ليهب له بعض عطاياه، ولا إلى جهة مــا، عارضاً عليها خدماته، مقابل حفنــة من المال يبيع بها نفســه، كما فعل ويفعل كثير مــن قادة الرأي والفكر والأدب والثقافة! لقد عاش ســيد قطب حياتــه فقيراً، حتى إنه ـ رغم المال الوفير الذي يأتيه من كتبه المطبوعة مراراً ـ لم يستطع أن يدخر من المال شــيئاً، لكثرة أعبائه المالية، ولكرمه وجوده، وكان من الممكن أن تكــون هذه نقطة ضعف، يســتغلها من يودون اســتغلاله، وتسخير مواهبه لخدمتهم، ولكن نفســية سيد قطب الحساسة المرهفة، وشــخصيته النزيهة المســتقيمة، تأبى عليه أن يحمل مواهبه إلى سوق المزايدات، التي تباع فيها الأفكار والقيم والمبادئ والمثل!.

وقد حدثني أحد الأساتذة الفضلاء ـ وقد كانت له بسيد قطب صلة وثيقة ـ عن حادثة تدل على نزاهة سيد قطب، وهي أقرب إلى الخيال! قال: «اتَّصل بي سيد قطب تلفونياً ذات يوم، وطلب مني أن آتي إلى منزله سريعاً، ورجاني ـ باستيحاء ـ أن أُحضر معي بضعة عشر جنيهاً، لأنه مريض، ولا يملك ثمن الدواء! قال: فذهبتُ إلى منزله مسرعاً، ورأيت هناك مشهداً عجيباً! ،أُقسم لقد دهشت مما رأيت! كان مع سيد قطب في الغرفة سفيرُ دولة عربية بترولية، وأمامه حقيبة مليئة بالأوراق المالية، من مختلف الفئات! تبلغ عدة آلاف، وهو يرجو سيد قطب بحرارة أن يأخذها، فهي هدية من دولته له، لأنها تعرف منزلته ومسؤولياته، وتريده أن يستعين بها على أعباء حياته، ويمول بها مشروعاته الأدبية والفكرية.. ويتابع هذا الأستاذ الفاضل حديثه قائلاً: ونظرتُ إلى سيد قطب فإذا به حزين مكتئب.. ثم رد هدية السفير بحزم، وبدا الغضب عليه وهو يخاطبه: لا أَبيع نفسي وفكري وعقيدتي بأموال الدنيا كلها، فأَعِدْ أموالك إلى حقيبتك! ثم التفت سيد قطب إليّ وقال: هل أحضرت ما طلبتُه منك؟ فناولتُه المبلغ، ففرح به كثيراً! ولما عرف السفيرُ قصة المبلغ خرج محتاراً متعجباً مما رأى.

وقال: إن كثيراً من قادة الرأي والفكر والأدب يأخذون من دولتي هدايا مالية باستمرار، ولكن سيد قطب طراز وحده!.

وهذه الحادثة أُثبتُها بدون تعليق، وأَسوقها لمن يتناولون حياة سيد قطب وفكره وآراءه الحركية ومواقفه الجهادية بالتخطئة، وهم يعيشون في ترف ظاهر، ويلهثون وراء المال، ويرتبطون الارتباطات المشبوهة! وأقول لهم: قليلاً يا هؤلاء! فرحم الله امرَأً عرف قدر نفسه! وأين أنتم من هذا الإمام الشهيد!

٨ ـ المثالية المثالية والثبات:

ومنها ما وصفه به الدكتور طه حسين ـ عندما قدمه إلى الحضور، ليلقي محاضرته في نادي الضباط بالزمالك ـ القاهرة، في أغسطس (آب) عام ١٩٥٢م ـ حيث قال: «إن في سيد قطب خصلتين هما: المثالية المثالية، والعناد...»[1].

ويعني بالمثالية المثالية أن سيد قطب كان مثالياً، فكل سيرته وحياته ومواقفه مثالية، فهو فيها قدوة مُثْلى، ومثل عملي للمقتدين والعاملين والسائرين.

كما أنه مثالي في المثالية ـ وهذه قمة جديدة أسمى من كونه مثالياً ـ فهو ليس قدوة وَمَثَلاً فقط، بل هو مثال رفيع في قدوته ومثاليته!

أما العناد: فيعني به أن سيد قطب كان يصر على ما يراه أنه الحق، إذا عرف حقاً اعتقده، وآمن به، وثبت عليه، فكان عنيداً في الحق، عنيداً في مواقفه، عنيداً في كفاحه وجهاده، عنيداً في مواجهته مع الجاهلية من حوله، فلم يثن عزيمته وعناده أمر من الأمور، التي تحطم الرجال الأشداء الأقوياء! وهذه الصفة جرَّت عليه أذى كثيراً من قبل الطغاة، لأنهم حاولوا ـ بشتى الوسائل ـ تحطيم عناده في الحق، ولكنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً!.

ومنها تواضعه الجم، فرغم منزلته البارزة في عالم الفكر والبحث والتأليف، وفي عالم العمل والحركة والجهاد، وفي عالم العذاب والأذى والابتلاء، إلا أنه لم يَدُلّ بما قدم، ولم يمن على العاملين، كما

---

(١) انظر مجلة (كلمة الحق) العدد الثاني: صفر ١٣٨٧، مايو ١٩٦٧م، صفحة ٣٧ ـ ٣٨.

يمن كثير من أدعياء التقوى والتواضع، بل كان من العباد الأتقياء الأخفياء، لأنه قدم ما قدم وهو يرجو الثواب من الله.

ومنها حبه ووفاؤه، وإخلاصه ويقظته، وجرأته وإقدامه، وسمو روحه ورضا نفسه، ووضوح الرؤية لديه، والعمق في فكرته، والشمول في معالجاته، والثورية في فكره وشخصه، وغير ذلك من السمات الواضحة في شخصيته التي سيرت خطاه في حياته، وحددت له مواقفه[١].

* * *

(١) من الذين تحدثوا عن صفاته أحمد حسن في تقديمه لكتاب (فقه الدعوة)، وزين العابدين الركابي في تقديمه لكتاب (معركتنا مع اليهود) ومحمد علي قطب في كتابه (سيد قطب)، ويوسف العظم في كتابه الذي هو تحت الطبع، وأحمد عبد الغفور عطار في مجلته (كلمة الحق) العدد ٢.

المبحث الثاني
أهم خصائص أسلوبه

إذا كان أسلوب الكاتب انعكاساً لشخصيته، فإن هذا يصدق صدقاً كاملاً على سيد قطب وأسلوبه، حيث نجد أبرز ملامح شخصيته التي أشرنا إليها، تظهر على أسلوبه واضحة، وتصبغه بصبغتها.

من المعروف أن سيد قطب كان تلميذاً من تلاميذ المدرسة العقادية في الأدب، وهي المدرسة التي حملت لواء التجديد، وبخاصة التجديد في المعاني والأساليب.

وقد عني هو بالتجديد في الأسلوب، حيث خرج على الأساليب القديمة، التي كانت تعتمد على الزخارف اللفظية، وتبالغ فيها، على حساب المعاني والأفكار، وقد دعا كناقد أدبي ذواقة إلى اعتماد الأسلوب الجميل في الصياغة، وإلى المعاني الصادقة القيمة التي يحويها.

إن أهم مميزات أسلوبه هي:

١ ـ التصوير:

وقد استفاد هذه السمة، من طبيعته الفنية الشاعرة، وذوقه العميق، وخياله المتناسق، ونفسه المصورة الحالمة، كما استفادها عندما أقبل على القرآن الكريم وهو صغير، فكان له أكبر الأثر في تنمية مواهبه المصورة، وعندما سطع نجمه في أفق الأدب، أقبل على القرآن يتذوقه من جديد، وخرج بنظريته التي اكتشفها فيه، وهي (التصوير الفني)، وراح في أسلوبه ينسج على منواله، ويترسم طريقته في التعبير والعرض.

٢ ـ الوضوح:

وهي سـمة ناتجة عن وضوح الفكرة في الذهـن أولاً، الناتج عن المعاناة والمعايشة والتفكير فيها، فيأتي تعبيره واضحاً كوضوح الفكرة نفسها؛ لأنه صادق في الدلالة على ما في ذهنه.

٣ ـ السلاسة:

حيث كان يُعنَى دائماً، ببيان فكرته، والتدليل عليها، ويسـتخدم في ذلك الألفاظ الموحية، والتراكيب المتقاربة، وقد أُوتي في هذه الناحية مقدرة فائقـة، وكأنّ اللغة العربية أَسـلمتْ له قيادها، فـراح ينتقي من مستودعها، ما يحلو له من الألفاظ والتراكيب، التي يراها تجلو فكرته.

وبما أنه قد أتى بأفكار جديدة، غريبة على الوسط الذي يعيش فيه، سـواء في النقد الأدبي الذي تربع على عرشه، أو في الفكر الإسلامي الذي صار رائداً له، فإنه كان يحتاج إلى بيان وإسـهاب في شرح هذه الأفكار، والتدليل لهـا، لتحظى بالقبول عند القارئ، الذي يسـتغربها لأول وهلة، ولولا مقدرة سـيد قطـب في اختيار الألفـاظ والتراكيب المناسبة لما نجح في بسـط أفكاره هذه، وقد عد البعض هذا عيباً في أسلوبه، واعتبروه تكراراً يؤدي إلى الضيق في نفس القارئ، ولكن الأمر ليس كما ظنوا، إذ أنه سلاسة في الأسلوب، لا تكرار في الأفكار.

٤ ـ الثورية:

يمتاز أسـلوبه كذلك بالثورية، وأعني بها الهجوم والحدة، وهذا ناتج عن الثقة بالنفس إلى درجة كبيرة، وقد خاض في المرحلة الأدبية من حياته معارك أدبية عديدة، ضد أدباء كبار، وتمتع بنَفَس طويل في الهجوم، وكان

يخرج من كل معركة منتصراً، ويرتفع بأسلوبه هذا كثيراً في أعين الأدباء والقراء والدارسين، الذين يتشوقون لهذا الأسلوب الحاد في الكتابة، وعندما انصرف إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي لم تفارقه صفة الثورية في الكتابة، وبهذه الصفة غزا قلوب القراء، وأَحفظَ قلوبَ الأعداء، وأَوقع الغيظَ فيها، وعندما اتجه إلى الفكر الإسلامي راح يهاجم الحضارة الغربية، والجاهلية بأفكارها ومؤسساتها، بل إنه قاد هذا الفكر من مرحلة الدفاع على استحياء، إلى مرحلة الهجوم المباشر، وصار بهذه الصفة هو الكاتب المفضل عند الجماهير، التي تفضل هذا اللون من الكتابة.

إنه مهاجم في كل حالاته، فهو يهاجم مهاجماً، ومدافعاً ومجادلاً، ولكنه لم يسفَّ في استخدام ذلك، ولم يخرج إلى حد المهاترات والسباب، وإنما كان له من عقله الواعي وفكره المتزن عاصماً يعصمه من الوقوع في هذا.

وهذه السمة في أسلوبه، أوقعت القارئ في خطأ، عندما يرسم له في مخيلته صورة لشخصيته، إذ يتصوره ضخم الجسم، عريض ما بين المنكبين، قوي البنية، مفتول العضلات، ولكنه يفاجأ عندما يراه، ضعيف البنية، ناحل الجسد، تبدو عليه سيما الموادعة واللطف والود والايناس.

كذلك يمتاز أسلوبه بالبساطة والحيوية والعمق، والجاذبية والصدق، وقوة العاطفة والإشراق[1].

* * *

---

(١) أنظر فقه الدعوة، لأحمد حسن: ٩ ـ ١٠، وسيد قطب لفضل الله: ٦٦ ـ ٦٨ وسيد قطب، لبركات ١٧ ـ ١٩.

الفصل الثالث

مواهبـه



المبحث الأول
سيد قطب الأديب

حبا الله سيد قطب مواهب كثيرة، مثل الذكاء والنبوغ، ومحبة البحث والدراسة والتحليل، ولم يكتف سيد بهذه المواهب، أعني لم يعتمد عليها، ويجعلها سلاحه في خوضه غمار الثقافة والمعرفة، إذ هي وحدها لا توصل صاحبها إلى شيء، وكثيراً ما رأينا أناساً اعتمدوا على مواهبهم الفطرية وحدها، فضيعوها، وسيطر عليهم الكسل والخمول. ولم يتقدموا إلى الأمام خطوات تذكر.

سيد يحسن استخدام مواهبه:

أما سيد قطب فإنه استخدم هذه المواهب خير استخدام، وغذّاها بهمته وعصاميته وجهده، فكان يُصبِّر نفسه على البحث والدراسة، ويشدها إليه، حتى أسلمتْ له قيادها، وأشغلها بدأبه ومثابرته وجهده، فصار يقرأ، ويُمضي الساعات الطويلة في القراءة والاطلاع، وراح يكتب، ويقف عند الفكرة وقفة المتأمل المتعمق، ينظر فيها، ويُقلّب وجوه النظر، ويُركّز ذهنه عليها، ويخرج بعد هذا كله بالتحليل الصائب الشامل العميق.

ما ترك سيد قطب مجالاً من مجالات الأدب والفكر إلا تحدث فيه، ولا ميداناً إلا خاضه بهمة عالية، وثقة أكيدة، ونظرة فاحصة، ورأي سديد، كان له دراساته المتنوعة، واطّلاعُه الواسع على شتّى أنواع المعارف والآداب والفنون، وثقافته العريضة، وعقليته الكبيرة، التي تستوعب ما يصلها، وتزوده بما عندها من آراء، وتدفعه إلى أسلوبه

الرصين، الذي يحســن التعبير عن مضمون ما فيها، ويخرجه إلى رواد الأدب والثقافة فينال ثقتهم ويحظى بإعجابهم.

إن الناظــر في تراث ســيد قطب ليعجــب من المســاحة العريضة الفسيحة التي جعلها ميداناً له، والتي أجاد فيها بما قدمه لعشاق الأدب والفكر والمعرفة.

تفتحت مواهب ســيد قطــب الأدبية فــي القرية، وغذاهــا ونماها بدراســاته واطلاعاته، وفي القاهرة درس الأدب في تجهيزية دار العلوم ثم في الكلية، وبدأ حياته الأدبية في مدرســة العقاد، التي كانت تعنى بالتجديد في المشاعر والأساليب.

ما هو الأدب عنده؟:

الأدب عنده ليس ترفاً ولا إشــغالاً للوقت، ولا مجرد صياغة لفظية مزركشــة، ولا بضاعة يحملها صاحبها ويبذلها لمن يدفع الثمن، ويبيع أدبه ومواهبه له!.

إن الأدب عنده هو «التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية»[١]. فالتجارب الشــعورية هي مادة التعبير، وإذا لم يُستمد منها، صار مجرد صياغة، تعتمد على رصيد صاحبها من الألفاظ والعبارات، لا شأن لها بالمشــاعر والأحاســيس، وهي بهذا بعيدة عن أن تســمى عملاً أدبياً موحياً.

كذلك يُشــترط للعمل الأدبي عنده كي يكون أدباً أن يكون صاحبه صادقاً في تجربته الشــعورية صدقــاً واقعياً وفنياً، بحيــث عندما تقرأ

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ٧.

للأديب تشعر أنه صادق في معاناته وتفكيره، صادق في مشاعره وأحاسيسه، وأن الفكرة قد اقتاتت قلبه، وتغذت بدمه، وسيطرت على عالمه، وتوهجت بها نفسه، وأن يرزق هذا الأديب موهبة في التعبير الجميل الأخاذ، بصورة موحية مؤثرة، ينقل بها تجربته الحية، ومعاناته الحقيقية إلى القراء، ليتذوقوها ويعيشوها، فإذا لم يُرزق هذه الموهبة، لم تخرج عن إطار التجربة الشعورية، وبقيت مختصة بصاحبها، لم يشاركه فيها أحد.

سيد عاش أدبه عملياً:

وقد كان سيد قطب خير من تمثل هذه الحقيقة في أعماله الأدبية المختلفة، فهو لم يُخرج لنا عملاً أدبياً إلاّ بعدما عاش تجربته في نفسه، وعاناه معاناة حقيقية، في مشاعره وأحاسيسه ووجدانه، وقد كان صادقاً في نقل هذه التجربة كاملة إلى القراء، ليطلعهم على تطورها في نفسه، ويصور لهم مشاعره وأحاسيسه وهي تعيشها.. ولم ترض نفسه الأدبية الصادقة أن ينافق في نتاجه الأدبي، أو يتزلف به إلى ذوي المكانة والنفوذ، كما فعل كثير من الأدباء، كما رزق سيد قطب موهبة فطرية، وقدرة فائقة على اختيار الصورة الموحية، التي ينقل بها تجربته الأدبية إلى القراء، حيث يؤثر في وجدانهم ومشاعرهم، ويسحرهم بأسلوبه السلس الجميل.

* * *

المبحث الثاني
سيد قطب الشاعر

بدأ اهتمام سيد قطب بالشعر منذ صغره، فقد أخبرنا أنه عندما كان في القرية، وأثناء ثـورة عام ١٩١٩م، راح يخطب في مسـاجد القرية، وينظم الشعر وينشـده فيها، لم يكن شعراً قوياً رصيناً، ولكن محاولاته الشعرية هذه تدل على تفتح حاسته الشعرية مبكراً.

وفي القاهرة صار ينشر قصائده في الصحف والمجلات، وقد عُرف في الأوسـاط الأدبية كشـاعر موهوب قبـل دخوله كليـه دار العلوم. واصطفى في الكلية شاعرين موهوبين مثله، هما عبد العزيز عتيق وفايد العمروسـي، وصار الثلاثة يلتقون وينشـدون قصائدهم، وينشرونها في المجلات.

وبعد أن تخرج في الكلية تابع نشـر قصائده فـي المجلات، وقد اشـتهر في الثلاثينيات، وكان في مقدمة الشـعراء الشبان، وقد شهد له النقاد بالنبوغ والعبقرية والشاعرية الفياضة.

لقد كان سـيد قطب شـاعراً حقيقياً، لأنه أحس بالحياة إحساسـاً عميقاً، وكان إحساسـه بها دقيقاً وبارزاً وعميقاً، ومتميزاً عن إحسـاس الآخرين، كما أنه عبّر عن إحساسـه هذا تعبيراً عالياً سـامياً، تَرجم فيه عن نفسه، وسجل تأثره بما حوله، ولمسـنا في شعره فلسفة خاصة له، فسَّـر الحياة علـى ضوئها، وقـد كان شـاعراً مصوراً، يصـور أفكاره وأحاسيسه وانفعالاته، في صور فنية رائعة، تستحوذ على قلوب القراء، وتتفاعل معها مشاعرهم وأحاسيسهم.

ما هو الشعر عنده؟:

الشـــعر عنده تعبير عن الحياة، بل هو تعبيـــر عن اللحظات الأقوى والأملأ بالطاقة الشـــعورية في الحياة، وهو: «هتاف حياة، ودعوة حياة، وتعبير حياة، الشـــعر طاقة فائضة، تريد لها متنفساً وحيوية دافقة، تبتغي لها مســـيلاً، الشـــعر تعبير أحرار يملكون التعبيـــر، لا جمجمة عبيد أو أسرى خلف القضبان، الشـــعر انتفاضة قلب، وتحليق روح، لا وسوسة السلاسل، ولا جرجرة الأغلال»[1].

ولكي يكون الشـــعر شـــعراً، فلا بد أن يكون صادقاً في التعبير عن المشاعر والأحاسيس، صادقاً في الدلالة على ما تجيش به نفس الشاعر من خواطر وانفعالات، صادقاً في تصوير شـــعور صاحبه ومعاناته، وما عدا ذلك فليس بشعر.

وموضوع الشـــعر عنده ووظيفتـــه هي: (الغنـــاء المطلق، بما في النفس من مشاعر وأحاســـيس وانفعالات، حين ترتفع هذه المشاعر والأحاســـيس عن الحياة العادية، وحين تصل هـــذه الانفعالات إلى درجـــة التوهج والإشـــراق، أو الرفرفة والانســـياب علـــى نحو من الأنحاء)[2].

ديوانه «الشاطئ المجهول»:

جمـــع مجموعة من قصائده، ونشـــرها فـــي أول ديوان له وســـماه «الشـــاطئ المجهول» وقد صدر في كانون الثانـــي (يناير) عام ١٩٣٥م،

---

(١) الرسالة ـ السنة العشرون ـ المجلد الأول ـ عدد ٩٨٥ تاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢م ص٥٤٦.

(٢) العالم العربي ـ المجلد الأول ـ جمادى الأول ١٣٦٦، صفحة ٤١.

كما وعد بإخراج دواوين جديدة مثل (أصــداء الزمن)، و(حلم الفجر)، و(قافلــة الرقيق)، و(الكأس المســمومة) ولكنه صــرف النظر عنها في النهاية.

وبالاطلاع على قصائده ودراســتها، نلمح فيها ملامح شــخصيته، وحالات نفسه، ومشاعره وأفكاره، واهتماماته وقضاياه، فهي سجل أمين لحياته الشخصية والفكرية، وإن الإنسان يستطيع أن يدرك مراحل حياته الأدبية وســماتها من الاطلاع على قصائده، وإن ترتيــب هذه القصائد حسب تاريخ نشرها يفيد في معرفة المراحل التي قطعها، وحالته النفسية والفكرية في كل مرحلة.

بقي يقول الشــعر إلى أن اتجه الوجهة الإسلامية، عندها عزف عن قوله، وصارت عنده اهتمامات جديدة، وإن الإنســان ليعجب، ويحتار في معرفة الصارف له عن نظم الشــعر! هل وجد نفســه؟ وعرف غايته وســر وجوده؟ وانحلت العقدة الكبرى التي كانــت تقلقه، وتدفعه إلى التوهج، فتنساب القوافي على لســانه؟ هل انتهت الأزمة الكبيرة، أزمة الشــعور بالضياع الكامل في الحياة، وعبث الجهد المبذول فيها؟وهل انتهت رحلة الضياع عنده، وانتهى بانتهائها نظم الشعر؟ فأحس بالوجود الكبير![1].

قد يكون الجواب على كل هذه التســاؤلات بالإيجاب، وقد يكمن في هذا الجواب السبب الذي ترك الشعر من أجله!.

---

(١) انظر منهج الفن الإسلامي، لمحمد قطب: ٩ ـ ١١.

الإسلام وعوالم الشعراء:

قد يكون اتجاهه الإسلامي الواضح، هو الصارف الذي صرفه، لأن طبيعة الإسـلام التي تعرَّفَ هو عليهـا، هذه الطبيعـة العملية الحركية الجـادة الثابتة لا تتفق مع طبيعة الشـعراء، لأنهم (أسـرى الانفعالات والعواطف المتقلبة، تتحكم فيها مشـاعرهم، وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت، ويرون الأمر الواحد في لحظةٍ أسـود، وفي لحظة أبيض، يرضون فيقولون قولاً، ويسخطون فيقولون قولاً آخر.

ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حـال، هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشـون فيها، ويتخيلون أفعـالاً ونتائج، ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها، فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء، لأنهم يخلقون هم في خيالهم واقعاً آخر يعيشون عليه)!.

وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول، وفق الانفعال الذي يسـيطر عليهم، في لحظة مـن اللحظات، تحت وقع مؤثر مـن المؤثرات، وهم يقولون ما لا يفعلون، لأنهم يعيشـون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم، ويُؤْثِرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم، ومن ثم يقولون أشـياء كثيرة، لا يفعلونها، لأنهم عاشوا في تلك العوالم الموهومة، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة.

«إن طبيعة الإسـلام ـ وهو منهج حياة متكامل ، معـد للتنفيذ في واقع الحياة، وهو حركـة ضخمة في الضمائـر المكنونة، وفي أوضاع الحياة الظاهرة ـ إن طبيعة الإسـلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء، كما عرفتهم البشرية ـ في الغالب ـ لأن الشاعر يخلق حلماً في حسه، ويقنع

به، فأما الإســلام فيريد تحقيــق الحلم، ويعمل علــى تحقيقه، ويحوّل المشاعر كلها لتُحقق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع»(١).

«ومن ثم لا تبقى في الطاقة البشرية بقيةٌ للأحلام المهومة الطائرة، فالإسلام يســتغرق هذه الطاقة في تحقيق الأحلام الرفيعة، وفق منهجه الضخم العظيم»(٢).

وقد آثَرْنا نقل فقراته كاملة ـ على طولها ـ لندرك طبيعة غالبية الشعراء، وطبيعة الإسلام المخالفة لها، فقد يكون تركه للشعر ناتجاً عن صدق اتجاهه نحو الإســلام، وشــعوره بأن هذا الإســلام قد ملأ حياته، واستوعب فكره وعقلــه، وأحلامــه وانفعالاته، ومــن ثم لم يبق فــي طاقتــه الضخمة بقية للخيالات والأوهام، لأنه صرفها إلى الجهد العملي الحركي الواقعي الجاد!.

قصيدتان إسلاميتان له:

ولم نعرف لــه بعد اتجاهه الإســلامي إلا قصيدتيــن، قالهما وهو يكتوي بنار المحنة والابتلاء، وكانتا من عيون الشعر العالمي، وهما:

١ ـ (هُبَل. هُبَل): يصور بها مفاسد الطاغوت الجاهل ومآسيه، والأعداء التي استغلت سذاجته، فصنعت له (الأمجاد زائفة فصدقها الغبي) والجماهير المسحوقة التي انساقت وراءه بلا روية.

٢ ـ (أخي): وهي النشيد الإسلامي الهادر، الذي رسم به معالم طريق الدعوة، وصور أشــواكها، وبين عاقبتها، وقد وعته قلوب الشباب العاملين، وتردد على شــفاههم، وقد قاله في لحظة انفعال ظاهر،

---

(١) في ظلال القرآن: ٥: ٢٦٢١ طبعة الشروق.

(٢) في ظلال القرآن: ٥: ٢٦٢٢.

إذ إنه عندما كان خارجاً من زنزانته إلى ساحة السجن، لمح يد أحد إخوانه تحييه بحرارة ظاهرة من إحدى الزنازين، ولم يعرف صاحبها، ولكن حركتها نقلت إلى قلبه كل ما يريد أخوه أن يقوله، فتجاوبت روحه، وانفعلت أحاسيسه، وتوهجت نفسه، وانطلق لسانه بذلك النشيد.

* * *

المبحث الثالث
سيد قطب الناقد

مارس سيد قطب الكتابة في النقد والتحليل في وقت مبكر، شديد التبكير من حياته الأدبية، وكان ظهوره كناقد يوازي ظهوره كشاعر، وعندما اشتغل في صحيفة الأهرام، عهدت إليه إدارتها تحرير صفحة النقد والأدب فيها، وقام بالمهمة بنجاح، وهو ما يزال طالباً في كلية دار العلوم.

أول كتاب له في النقد:

بل إن أول كتاب مطبوع له، هو كتاب في النقد، وهو «مهمة الشاعر في الحياة» حيث أعده وألقاه محاضرة في مدرج كلية دار العلوم، وكان لا يزال طالباً في السنة الثالثة فيها، وقدمه أستاذه (محمد مهدي علَّام) كما قدم كتابه عندما قدمه للطبع، وأشاد بمناقبه، وسجل إعجابه بشخصيته وشجاعته وثقته واتزانه، وإنْ خالفه في بعض آرائه، واعتبره مفخرة من مفاخر دار العلوم، وصرح بأنه يسره أن يكون سيد قطب أحد تلاميذه، بل قال: (إنه لو لم يكن لي تلميذ سواه، لكفاني ذلك سروراً وقناعة، واطمئناناً إلى أنني سأُحَمِّلُ أمانة العلم والأدب مَن لا أشك في حسن قيامه عليها)[1].

وقد كان عنيفاً في نقده، جريئاً في عرض آرائه، صريحاً في تسجيل أفكاره، موفقاً في الموضوعات التي طرقها، والنماذج التي استدل بها.

---

(١) مهمة الشاعر في الحياة: ٩.

انظر: مقدمته للكتاب ولكلمة مهدي علام في تقديمه وتعقيبه عليها: ٧ ـ ١١.

وشـــهدت المجلات الأدبية ـ بعد تخرجه من الكلية ـ صولات له وجـــولات، في معاركـــه الأدبيـــة النقدية التـــي أثارها، وقادهـــا بجرأة وشـــجاعة[١]. ســـواء في مجلة (الأســـبوع) أو (الأهرام) أو (الرسالة) أو (الثقافة) أو (العالم العربي)، أو غيرها.

كما نشـــر مقالات نقدية كثيرة في هذه الصحف والمجلات، وألقى محاضرات نقدية في المجامع الأدبية، وقد نالـــت مقالاته ومحاضراته استحسان وإعجاب جمهور المثقفين والأدباء.

نشر أربعة كتب نقدية:

جمع بعض هذه المقالات في كتابه (كتب وشخصيات)، وهو ثالث مؤلَّف نقدي له، إذ سبقه كتابان (مهمة الشاعر في الحياة) و(نقد كتاب مســـتقبل الثقافة في مصر) للدكتور طه حسين، وكان في نيته أن يجعل (كتب وشخصيات) مؤلفاً من أجزاء، وكان ينوي أن يصدر هذه الأجزاء تباعاً، ولكنه لم يُصدر إلا الجزء الأول[٢].

وفي نهاية حياتـــه الأدبية، أصدر كتابه النقـــدي الرابع الرائع (النقد الأدبـــي أصوله ومناهجـــه) الذي وضع فيـــه خلاصة آرائـــه في أصول ومناهـــج النقد الأدبـــي، والذي خرج بـــه على كل المـــدارس الأدبية المعاصرة، واعْتُبر نواة لمدرســـته الخاصة في الأدب والنقد، وكان في هذه الفترة متربعاً على عرش النقد الأدبي في مصر، بعدما انصرف عنه النقاد الأوائل مثل العقاد والمازني وشكري وطه حسين.

---

(١) أشرنا ـ بمنتهى الإيجاز ـ إلى بعض هذه المعارك في مبحث «.. في الصحف والمجلات» من هذا الكتاب.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

وكان متوقعــاً أن يُرســي دعائم مدرســته الأدبية الجديــدة، ويبين مناهجهــا وآراءها، لولا انصرافه إلــى اهتمامات جديــدة، أَثْرَتْ حياته الفكرية والعملية فيما بعد.

وخطة ســيد قطب في مقالاته النقدية، أنه كان يقدم لمقاله بمقدمة يذكر فيها بعض آرائه في طبيعة العمل المنقود، قصة أو شعراً أو بحثاً، ثم يتناول هذا العمل بالنقد!

وقد بيّــن أن للناقد عملين أساســيين هما: (عمله فــي الجو العام، وعمله مع كل مؤلف على حدة، فأما عمله في الجو العام فهو التوجيه والتقديــم، ووضعُ الأســس وتشــخيص المذاهب، وتصويــر أطوارها ومناهجها.

وأما عملــه مع كل مؤلف، فهــو وضع «مفتاحه» فــي أيدي قرائه، الذين يقرؤون أعمالــه متفرقة، ولا يدركون الطبيعــة الفنية التي تصدر عنها هذه الأعمال، ولا يتعرفون إلى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل[١].

سيد يُفصِّل مفاتيح للشخصيات المنقودة:

وقد وفق سيد في تفصيل مفاتيحه للشــخصيات الأدبية المختلفة، ودل هــذا على موهبتــه الفنيــة، وذوقه الســليم، وتقديــره الصحيح، وتشخيصه الصادق.

ولم يكن من همه القيام بدراســات مفصلة مطولة عن الشخصيات، وإنما يكتفي بتفصيل المفتاح المناسب لها، ووضعه في يد القارئ،

---

(١) كتب وشخصيات: ٦.

والمساحة العريضة التي جال فيها سيد، تدل على باعه الطويل، وذوقه السليم، ودأبه العجيب، وثقافته الواسعة، فقد نقد مختلف التخصصات العلمية: الشعر والقصة، والرواية والدراسة، والمسرحية والترجمة، والتاريخ والدراسات النفسية والفلسفية والإنسانية، والتراجم والسير، والبحوث والمقالات، وغير ذلك من فنون الأدب والعلم والمعرفة.

عقبات في طريق النقد:

لم تكن طريق النقد ممهَّدة أمامه، فمنذ أن ابتدأت مقالاته النقدية في الثلاثينيات بُذلت محاولات كثيرة لإغرائه واحتوائه، من مختلف الأدباء والمدارس الأدبية، وقام بعضهم بمساعٍ حثيثة لثنيه عن مواقفه، أو تغيير أحكامه وآرائه، والضغط عليه بمختلف الوسائل، كي يغيرها أو يتراجع عنها، ولكن نفسه الأبية العزيزة، وشخصيته القوية، وإيمانه بمبادئه وثباته عليها، أَبَتْ عليه الاستسلام للإغراءات، أو الرضوخ للضغوط، وكان نتيجة لذلك يفتقد أصدقاءه ومعارفه من الأدباء، الواحد تلو الآخر، لأنهم لم تعجبهم أحكامه على نتاجهم، حيث كانوا يتوقعون منه أن يراعي صداقتهم وزمالتهم، وأن يخالف ما يراه ويعتقده من أجلهم، ولما كان يأبى هذا، ويجهرَ برأيه صراحة، انْفضوا عنه، وكالوا له التهم، وقد كان يعز عليه ويؤثر في نفسه فقد هؤلاء، ولكنها ضريبة النقد، التي لا بد من دفعها!

يقول: (ومن يومها ـ يوم تصدى للنقد ـ وأنا أفقد الأصدقاء واحداً إثْرَ واحِدٍ، لأكسب عدداً معادلاً من الخصوم! بل عدداً أكبر، لأني أضُمُّ إليه كل يوم خصوماً، ولكني أعاهد القراء على أنني سأمضي في الطريق، فحسبي أن أعوض ما أفقد من بين القراء المحايدين وهم بحمد الله كثيرون)[1]!

---

(١) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤م، صفحة ١٠٤٤.

ما يحتاجه النقد من وقت وجهد:

وقد كان ينفق الكثير مـــن وقته ـ المزدحم بالأعمـــال ـ في النقد، حيث كان يقرأ كل ما أنتجته المطابع من الفنون الأدبية المختلفة، وإذا أراد نقد عمل شخص، فإنه يحرص على قراءة كل ما أنتجه من بحوث ومقالات، ليتعرف على شـــخصيته، ويُفصل مفتاحه، ويكتب عنه مقالة معدودة الصفحات.

يقول عن الوقت والجهد الـــذي ينفقه: (فالنقد ضريبة وتضحية، فما أحسب الناقد في الشرق العربي إلا خاسراً، لو حسب المسألة بالقياس إلى نفسه: إنه لا يُرضي أحداً إلا القليلين، وإنه لينفق من الجهد ليقول شيئاً ذا قيمة ـ أكثر مما ينفقه في أي فن آخر من الفنون الأدبية، فكتابة مقال تســـتأديه على الأقل قراءة كتاب، أو عشـــرة كتب أو عشرين في بعض الأحيان)!

ويدلل على صحة دعواه بتجربتـــه قائلاً: (لقد صنعتُها، حينما كتبتُ في الرســـالة منذ عام أربعة فصول عن: الدكتور طه حســـين ومدرســـة الأسلوب التصويري، والأســـتاذ توفيق الحكيم ومدرسة التنسيق الفني، والأســـتاذ المازني وطريقة الحركة الحيوية، والأســـتاذ العقاد ومدرسة المنطق الحيوي، ولقد كلفتني كل مقالة قراءة كل كتاب لهؤلاء الأربعة، ومعظم ما كتبوه من مقالات، ولـم أكن لأزيد على هذا الجهد شـــيئاً لو اعتزمت أن أؤلف عنهم كتاباً، وكل ما يعزيني عن هذا الجهد أن هؤلاء الأربعة هم مع آخرين عندي اليوم موضوع كتاب)[١].

---

(١) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤م، صفحة ١٠٤٥ وهو كتاب (المذاهب الفنية المعاصرة) ولكنه ـ للأسف ـ لم ينشره!

تقويمه لأشهر الأدباء المصريين:

ويصرح سيد بأنه لا يوجد في مصر في منتصف الأربعينيات ناقد يؤدي ضريبة النقد من جهده ووقته: (ولكنني أصرح ـ وليقل من شاء ما شاء ـ بأنه ليس هناك الآن ناقد يؤدي هذه الضريبة، كان هناك رجلان يستطيعان أداءها ـ على اختلاف في النوع والطاقة ـ هما العقاد والمازني، فانصرفا ـ وحق لهما ذلك ـ إلى الخَلْق والابتكار.

ثم تصدى لها الدكتور مندور، والدكتور مندور من خيرة الشبان المثقفين، ومن القلة النادرة بين الجامعيين في مصر، الذين لديهم ما يقولونه، وما يزيدون به شيئاً غير الفهارس والعنوانات، ولكنه ـ مع هذا كله وعلى الرغم من كتابه «الميزان الجديد» ـ لا يصلح ناقداً، إنه ناقل ثقافة وشارح آداب، أما النقد فلا.

إن الحاسة الأولى للناقد تنقصه: حاسة التفرقة لأول وهلة بين الأصالة والزيف، وبين النضج والفجاجة)[1].

كان الناقد الأول في مصر:

ونستنتج من كلامه هذا، أنه بعد انصراف العقاد والمازني عن مهمة النقد، صار سيد قطب الناقد الأول في مصر، ولم ينازعه على هذه المنزلة إلا الدكتور محمد مندور، وقد عرفنا من كلامه هذا منزلة الأخير في عالم النقد.

انتهى المطاف الأدبي النقدي بسيد قطب إلى هذه المنزلة، وقد كان في نيته أن يُصدر عدداً وفيراً من البحوث والدراسات النقدية.

(١) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤م، صفحة ١٠٤٦.

ولكنه أعلن تخليه عن هذا الطريق، بعدما وصل إلى نهايته، وصار الأســتاذ الرائد فيه، وراح يبحث عن طريق جديد، يبدأ فيه الســير من أوله، لينتهي به إلى الريادة!.

عَجَبــاً بِأَنَّكَ ســالِمٌ مَنْ وَحْشَــةٍ   في غايَــةٍ ما زِلْــتَ فيهــا مُفْرِدا

يقــول: «النقد ضريبة، يؤديها الناقد من وقتــه وجهده! ـ وأنا أؤديها قدر ما أســتطيع ـ وإنني لأرغب في التخلي عن أدائها، لأنشئ أعمالاً أدبية أخــرى، فلولا إجــازة أعطيتُها لنفســي في صيف هــذا العام ما استطعت أن أؤلف كتاباً، وأشــهد أنني لم أتعب فيه أكثر من تعبي في إعداد مقالة من مقالات النقد الصغيرة»[1].

* * *

(١) المرجع السابق صفحة ١٠٤٦ ولعل الكتاب هو (التصوير الفني في القرآن) الذي صدر في أبريل ١٩٤٥م.

المبحث الرابع
سيد قطب القاص

تمتع سيد قطب بموهبة فنية في مجال كتابة القصة، وقد كتب عدة قصص فنية رائعة، منها ما نشره، ومنها ما عدل عن نشره.

وقد كان ينشر مقالاته في المجلات، ينقد بها بعض القصص المطبوعة لبعض الكتاب، مثل محمود تيمور، ومحمود بدوي، وعبد الحميد جودة السحار، ونجيب محفوظ، والعقاد، وطه حسين، والحكيم، وغيرهم، وتميز في نقده بحاسة فنية، دلت على مقدار اطلاعه على القصص العربي والعالمي، ومعرفته بمواطن الجمال والنقص فيها، وكيفية صياغتها، ورسم أدوارها، وتحريك الشخصيات فيها، والتنسيق الفني بينها.

جناح القصص في مكتبته ضخم:

وقد كان جناح القصص في مكتبته ضخماً، يكاد يحوي كل القصص والأقاصيص المؤلفة بالعربية، يقول ـ بعدما فوجئ بأقصوصة «وسوسة الشيطان» لعبد الحميد جودة السحار ـ: «وقادتني هذه المفاجأة إلى أن أراجع كل ما تحويه مكتبتي من الأقاصيص المؤلفة بالعربية ـ وهي تكاد تشمل كل ما تحويه المكتبة العربية في هذا الباب ـ».

ثم يتابع الموازنة بين أقصوصة السحار، والقصص المترجمة في مكتبته: «وأردت أن أتابع الموازنة فعدتُ إلى ما تحويه مكتبتي من الأقاصيص المترجمة ـ وهي تكاد تشمل كل ما نُقل إلى اللغة العربية ـ»[1].

---

(١) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الأول ـ عدد ٦٦٨ تاريخ ٢٢ أبريل ١٩٤٦م، صفحة ٤٣٣.

فإذا كانت مكتبته تكاد تحوي كل ما صدر من القصص والأقاصيص مؤلفاً بالعربيــة أو مترجماً إليها ـ وهو عدد ضخــم! ـ فكم تحوي من مختلف الفنون الأدبية الأخرى؟ وكم تحــوي من مختلف العلوم؟ كم سيكون حجمها؟ ولا شــك أن سيد قد قرأ كل ما تحويه هذه المكتبة!! واســتوعبه وتفاعل معه! ولعلنــا بهذا نحاول أن ندرك ثقافته الواســعة الناتجة عن هذا الاطلاع!

قصص ألفها وقصص أراد تأليفها:

دخل ســيد قطب عالم القصة بخطــى ثابتة، وموهبة عاليــة، وثقافة واسعة، وقد ألّف بعض القصص: ففي الواقعية كتب قصته المصورة «طفل من القرية»، وفي الرمزية «المدينة المسحورة»، وفي الرومانسية «أشواك»... وقد أحدثت هذه القصص فور صدورها، وبخاصة «أشواك» أثراً كبيراً في عالم الأدب، واستقبلها الأدباء والمثقفون، واكتشفوا بها موهبة سيد قطب الجديدة في عالم القصة، وأضافوها إلى مواهبه الفنية الأخرى.

كان في نيّته أن يصدر عدداً من القصص مثل «من أعماق الوادي» و«القطط الضالة»، وبحثاً عن «القصة الحديثة»، ولكنه عدل عنها في النهاية.

وقد كان سيد قطب قبل دخوله عالم التأليف في القصة يحجم عن دخول هذا الميدان الجديد، ويخشى على نفسه أن يفشل فيه.

يقول: «القصة أمر عســير، إذا أريد لها أن تكون عمــلاً فنياً كاملاً، وعن نفسي أذكر: إن القصة هي العمل الفني الوحيد الذي كنت أستهوله، وأحجم عن محاولته، طالما أنا أقرأ القصص الأوروبي والروسي خاصة ـ ثم انصرفــت بعض الوقت لقــراءة القصص الموضوعة فــي العربية، فرأيتني أنســى إحجامي، وأحاول كتابة القصة القصيرة، فهذه المجموعة

الجديدة (قصص روسية وفرنسية وإسبانية ترجمها للعربية عبد الرحمن صدقي تحت عنوان «ألوان من الحب») قد ردَّتْ عليَّ إحجامي، وتركتي أُقدِّرُ الموهبة والمهارة اللازمتين لكتابة القصة الفنية»[١].

الأسس الفنية لصياغة القصة:

ويبين سيد قطب الأسس الفنية اللازمة لتأليف القصة ونجاحها، واعتبارها قصة فنية: «إن الفكرة فيها ليست كل شيء، إنما طريقة التعبير عن هذه الفكرة: الأسلوب، اللمسات، الكلمات، الانسجام الخفي بين التوقيعات المختلفة الصادرة عن المنظر والحادثة والعبارة والأثر النفسي».

والقصة في رأيه ـ بعد الفكرة الجيدة والتعبير الجميل ـ هي: (عملٌ في حاجة إلى مَلَكَة التنسيق، القائمة على التصوير والموسيقى في آن، التصوير الذي يُعَوِّدُ العين انسجام الألوان، والموسيقى التي تُعَوِّدُ الأُذُنَ انسجام الألحان، وبعد أن توجد الفكرة يجبُ أن تشترك اللمسة واللفظة في تكوين الجو المناسب لها، فكل منظر يُشار إليه، وكل حادث يتضمنه السياق، يجب أن ينسجم مع رنة الأسلوب، وإيحاء الألفاظ، ويجب أن يبرز كذلك أثره في الانفعالات النفسية المصاحبة، ويؤلف ذلك كله اللوحة التي نسميها القصة الفنية)[٢].

بهذا البيان الدقيق، كشف لنا عن موهبته في عالم القصة، تأليفاً ونقداً وتحليلاً، وعلى هذه الأسس الفنية سار في قصصه المؤلفة، فجاءت لوحات فنية رائعة.

---

(١) الثقافة ـ السنة السادسة ـ المجلد الأول ـ عدد ٢٧٢ تاريخ ١٤ مارس ١٩٤٤م، صفحة العدد ٢٠، وصفحة الجزء ٢٦٠.

(٢) المرجع السابق.

المبحث الخامس
سيد قطب المحاضر

تفتحت موهبة سيد قطب في الخطابة والتحديث والمحاضرة، منذ صغره، فعندما كان في القرية كان يقف في وسط الأهالي، الذين يأتون إلى منزل أسـرته، يقرأ عليهم الجريدة السياسـية اليومية، بنفس واثقة، ويشـاركهم أحاديثهم وكأنه شـاب. وعندما قامت ثورة الشـعب سنة ١٩١٩م اعتلـى منابر مسـاجد القرية، ينفخ في بوق الثورة، ويسـتمع أهالي القرية حديث الصغير مندهشين معجبين.

وفي القاهـرة صار يلقي المحاضرات وهو مـا زال طالباً في الكلية، منها محاضرته «مهمة الشاعر في الحياة» التي ألقاها على مدرج كلية دار العلوم، وأعلن فيها آراءه الأدبية بثقة وجرأة وقوة، أثارت إعجاب الجميع.

محاضراته عديدة منوعة:

ثم تعددت محاضراته وندواته الأدبية، منذ أن تخرج في الكلية في عام ١٩٣٣م، وإلى أن سـافر إلى أمريكا عـام ١٩٤٩م، وقد كان يلقي هذه المحاضرات في جمهـور كبير من الأدبـاء والمثقفين، وكان فيها ـ كعادته ـ يعلن آراءه بشكل صريح وجريء، وقد نشرت له مجلة «دار العلوم» عدداً من هذه المحاضرات.

وعندما اتجه وجهته الإسـلامية، صار يلقـي محاضرات عديدة في مختلف النوادي والجمعيات والمؤسسات.

وقد حضر أبو الحسن الندوي محاضرة له، تحدث فيها عن فرنسا فقال عنه إنه «قرأ كلمة بمناسـبة هذه الحفلة (اسـتنكار اعتداء فرنسا

على المغرب عام ١٩٥١م) كانت موجهة إلى عبيد فرنسا، وكانت كلمة أدبية تهكم فيها بهؤلاء العبيد، الذين يُسبحون بحمد فرنسا بكرة وأصيلا».

وبيَّن أَثَرَ كلمته في الجمهور فقال: «وكانت الكلمة تقاطَعُ بهتافات صارخة، وتصفيقات حارة، وكان الجمع يهتف بين حين وآخر (تسقط فرنسا العاهرة)»[1].

وصف لطريقته في المحاضرة:

ووصفت مجلة (الدعوة) ندوة لسيد قطب أقيمت في قاعة المحاضرات في الجامعة الشعبية في القاهرة في ١١ أبريل ١٩٥٣م، وكانت حول (الصحافة والرأي العام أيهما يوجه الآخر؟) اشترك معه فيها(فكري أباظة مدافعاً عن الصحافة، وحافظ محمود منتقداً انتقاداً ليناً، وتوفيق دياب الذي وقف بَيْنَ بَيْنَ).

أما هو فقد: «هاجم الصحافة هجوماً عنيفاً، لأنها صاحبة الجلالة، ويجب أن تضحي، ولا تتعامل بحساب الربح والخسارة، وأشار إلى أنها دائماً مع العهد القائم، وتقوم بتضليل الرأي العام، لا توجيهه، وانتقد الانحدار الأخلاقي في المقالات والتحقيقات الصحفية، وعزا السبب في هذا كله إلى أن دَخْلَ الصحافة من الإعلانات أولاً، ومن المصروفات غير المنظورة من أصحاب الملايين، هو الذي يوقعها في هذا المأزق، فهي تعطي أهل الملاليم بقدر ملاليمهم، وأهل الملايين بقدر ملايينهم!

---

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي: ١٢١.

ثم أجاب سيد قطب بعد ذلك عن أسئلة الحاضرين بنفس الصراحة التي انتقد فيها الصحافة[1].

أسلوبه الناجح في المحاضرات:

أما أسلوب سـيد قطب في محاضراته، فقد أوضحه تلميذه الأستاذ يوسف العظم، وهو أدرى الناس به لطول صحبته له، ونترك له المجال ليحدثنا عنه. يقول:

«للأستاذ سـيد قطب موهبة في الحديث، تجذب كل من يستمع إليه، فهو لا يعـد في الخطبـاء إذا انصرف المفهـوم الخطابي إلى العاطفة الثائـرة، ولكنه في طليعـة المتحدثيـن إذا تصورنا المنطق السليم والحجة الدامغة والتسلسل فيما يورد من أفكار، وما يدلي به من آراء.

وحديث الأسـتاذ سـيد حين يقابل جمهوره، يبدأ هادئاً، ولكن في ثقة، بسيطاً، ولكن في عمق، سـلس العبارة، ولكن في غير سوقية ولا تبذل، وقد يهاجم الأسـتاذ خصومه، ويبكت مـن ينصرفون عن الحق، ممن يعبدون الرجال والمال، ولكن في أدب وعفة مقال.

من أروع ما يُعرف عن أسـتاذنا، وما لمسناه فيه، أنه قدير إلى أبعد حدود القدرة على مهاجمة الحاكم بصورة تثيـر الجمهور، وتحرك فيه كوامن السـخط والغضب على الظالمين، دون أن يؤخَذَ على الأسـتاذ المتحدث مأخذ واحد، بأنه سـب أو شـتم، أو خرج عن حدود اللياقة والذوق، بل النظام والقانون.

---

(١) الدعوة: عدد ١١٢ تاريخ ٦ أبريل ١٩٥٣م صفحة ٣.

والذين استمعوا لأستاذنا سيد على مدرج الجامعة، أو في المركز العام للإخوان المسلمين في القاهرة، أو في المنتديات والمؤتمرات يُجمعون على أن لدى الرجل حجة قوية وأسلوباً منطقياً، ونبرة صوته معبرة، تأخذ بالألباب، وتسيطر على السامع، وتَحمله بأسلوب لا قسر فيه ولا رهق، أن يستجيب للرجل، وأن ينقاد لما يقول»[١].

* * *

(١) بحث الأستاذ يوسف العظم ضمن كتاب (الشهيد سيد قطب) صفحة ٣٤ ـ ٣٥.

المبحث السادس
سيد قطب الباحث

شـغفت نفس سـيد قطب بالبحـث والتحليل منذ مطلـع حياته الأدبيـة، وكان يجد لذة عجيبـة في هذا المجال، ويُمضي السـاعات الطوال في مكتبته، في صحبة كتاب علمـي أو أدبي، وما كان يحس بالزمن وهو يمر، وعندما كان جسمه يعلن التمرد، ويوقعه في المرض، كان الطبيب يُلزمه بترك البحث والدراسـة، وعدم بـذل أي مجهود، راحة لأعصابه، ولكن نفسـه ترفض الالتزام بهـذا، فيقضي وقته على السرير في صحبة الكتاب.

كانت المقالات الأدبية التي ينشرها في مختلف المجلات، حصيلة بحث طويل، وكان بعضها يستأديه قراءة كتاب، وبعضها الآخر يستأديه قراءة عشـرة كتب، باحثاً محللاً لهـا، ومن المعـروف أن هذه القراءة الفاحصة الواعية تأخذ من وقته الكثير.

يستوفي ما يحتاجه البحث من وقت وجهد:

إذا أراد بحـث موضوع، فإنه يسـتوفي كل خصائص البحث، بهمة عالية، ودأب ومثابرة، ولم يكن يكتب بحثه، إلا بعد أن يرجع إلى كل المراجع عنه، وبعد أن يفكر فيه ويتأمله، ويلاحظ قضاياه، ويعيشها، لم يكن يسلقه سلقاً، وإنما ينضجه على نار هادئة، ولهذا كان يستحوذ على إعجاب القراء.

عندما نشـر بحثه «المرأة لغز بسـيط» في سـت حلقات في مجلة (الأسـبوع) قال: (ولقد عنيتُ منذ عشر سنوات تقريباً في أن أدرس هذا

الموضوع، بمقدار ما تُهيء الظروف لشاب، وحاولت أن أجد اللغز فيمن عرفتهن، أو عرفهن أصدقائي، وفيمن قرأت عنهن أو قرأت لهن، فكان بحثي عن اللغز هو اللغز نفسه»[١].

وعندما أعد بحثه عن (الصور والظلال في الشعر العربي) واستقصى البحث فيه قال: «رجعتُ فيه إلى كل ما يملك فرد أن يرجع إليه من مصادر الشعر العربي»[٢].

بحثه يستغرق سنوات:

وعندما أعد بحثه عن «المدارس الأدبية المعاصرة» اعتذر عن الوقت الطويل الذي استغرقه هذا البحث قائلاً: «ومنذ عامين لديّ كتاب عن (المدارس الأدبية المعاصرة) وما يؤخرني عن كتابته إلا استيفاء بعض الدراسات الشخصية لأبطاله، وقد استطعت أن أجمع عن كثب معظم ما أريد جمعه عن العقاد وتوفيق الحكيم، وشيئاً مما أريد جمعه عن طه حسين والمازني، وقليلاً عن المنفلوطي والزيات، ومتفرقات عن تميور وحقي ولاشين وآخرين.

وبعدما أستوفي هذه الدراسات ـ لا قبله ـ سآخذ في الحديث عن المدارس الأدبية المعاصرة، ولو صرفت عامين آخرين، فأنا أُقَدِّرُ قيمة هذا العمل، وأعرف ما هو مطلوب مني إزاءه»[٣].

---

(١) الأسبوع ـ المجلد الرابع ـ عدد ٤٥ تاريخ ١٩٣٤/١٠/٣٠م، صفحة ٩.

(٢) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٧٠٤ تاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٦ صفحة ١٤٥٧.

(٣) الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٢٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م صفحة ١٠٨٨.

يطلب من المؤلفين مؤلفاتهم ليدرسها:

وعندما أعد بحثين، عن «الشعر المعاصر» وعن «القصة الحديثة» استوفى بحث كل أشعار وقصص الأدباء المصريين، ولكن هذا لم يكفه، وإنما كان يريد الحصول على نِتاج الشعر والقصة في العالم العربي كله!! فاستخدم طريقة غريبة للحصول عليه، وهي طريقةٌ لم يستخدمها أي أديب أو باحث!! فقد نشر إعلاناً في «مجلة الرسالة» قال فيه:

«إلى أدباء البلاد العربية... لم تبق إلاّ هذه الوسيلة! إنَّ لديَّ بحثين معطلين عن «شعر الشباب» وعن «القصة الحديثة»، لأنني لا أستطيع الحصول على أعمال المعاصرين من الشعراء والقصاص في البلاد العربية.. ولا أحب أن أقصر بحثي على أعمال الأدباء المصريين، فرجائي إلى كل شاعر وكل قصاص في البلاد العربية أن يتفضل فيرسل إليّ بأعماله في هذين البابين محولاً بثمنهما على البريد[١]».

فماذا حدث نتيجة هذا الإعلان؟ يقول: «حدث أنْ تفضل بعض الشعراء والأدباء في فلسطين والعراق والحجاز بإهداء دواوينهم وقصصهم إليّ، ولكن البقية لم تصلني، كما أن سورية ولبنان لم يسمعا النداء»[٢].

إن هذا الإعلان الجريء، يطلعنا على مقدار عناية سيد قطب بالبحوث التي يعدُّها، وحرصه على أن تكون نتيجة بحث مستوفى، ودراسة شاملة مستوعبة.

---

(١) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٧٧ تاريخ ٢٤ يونيو ١٩٤٦م صفحة ٧٠٥.

(٢) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٩٨ تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٤٦م صفحة ١٢٧٩.

وعندما اتجه وجهته الإسلامية، صار يبحث ويتعمق في البحث، ويتوسع فيه، ويستقصي جوانبه، فكتاب مثل «خصائص التصور الإسلامي» استغرق إعداده أكثر من عشرة أعوام[١]، وكتاب «نحو مجتمع إسلامي» بدأ إعداد موضوعه منذ أوائل الخمسينيات، واستشهد عام ١٩٦٦م ولم يتمه!!!

وكما كان باحثاً أدبياً وإسلامياً، كان باحثاً اجتماعياً، فعندما سافر إلى أمريكا، عني بدراسة المجتمع هناك دراسة فاحصة، وبذل في ذلك جهداً كبيراً. وأعد كتابه «أمريكا التي رأيت» ولكنه لم ينشره.

* * *

(١) أعلن عنه في بداية الخمسينيات وصدرت طبعته الأولى في أوائل الستينيات.

المبحث السابع
سيد قطب المحلل السياسي

دخل معترك الحياة السياسية منذ صغره، وقد كان له في قريته مشاركة سياسية محلية، ثم انضم إلى حزب الوفد فترة طويلة، ثم انفصل عنه وانضم إلى حزب السعديين فترة قصيرة، ثم هجر الأحزاب السياسية كلها بعد ذلك.

تحليلاته السياسية في الأربعينيات:

اشتهر في الأربعينيات بتحليلاته السياسية الصائبة، والتي نشرها على صورة مقالات في المجلات، مثل (الرسالة) و(العالم العربي) و(الفكر الجديد)، وتحدث فيها عن الاحتلال الإنجليزي لمصر، وعن فشل الأحزاب السياسية في مصر في نهضة المجتمع وتحرير البلاد، كما تحدث عن مشكلات العالم العربي الأخرى، مثل قضية فلسطين، وفظائع فرنسا في سورية، ومذابحها في المغرب العربي.

وفي أمريكا تمعَّن في الحياة السياسية هناك، وعرف بعض مخططات أمريكا في العام العربي، وأدرك حربها الشرسة ضد الحركة الإسلامية بوجه خاص، وعرف خلفيات قادتها السياسية، ودور الصليبية واليهودية في توجيه السياسة هناك.

وعندما عاد إلى مصر، اعتقد أن طريق الإسلام هو طريق الخلاص، وأنه متمثل بالحركة الإسلامية، فانضم إليها، ووضع كافة قدراته في خدمتها، وصار يكتب المقالات السياسية، ويحلل فيها الأحداث الجارية.

دعوته إلى قيام الكتلة الثالثة:

وأهم آرائه السياسية، التي تبناها ودافع عنها ودعا إليها، وتبنتها جماعة الإخوان المسلمين كذلك «الكتلة الدولية الثالثة» التي دعا إلى قيامها، وأَلقى المحاضرات عنها، وكتب المقالات موضحاً أبعادها، والتي تضم العالم الإسلامي كله، وتقف في وجه القوتين العُظْميين «الكتلة الغربية بزعامة أمريكا»، و«الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفياتي»، وأعلن أنها تَقْدِر على الصمود بسبب ما يملكه العالم الإسلامي من ثروات طبيعية مكنوزة، ومدد بشري هائل، ومركز استراتيجي حساس، وقبل هذا كله عقيدة إسلامية محركة، ومنهاج إسلامي حضاري، وتوفيق الله في النهاية، ولكنه أعلن كذلك أن الطريق أمام قيامها صعب وشاق، وأن القوى العظمى لن تسمح به!! وقد صدق ما توقعه، إذ قامت بعد ذلك «منظمة دول عدم الانحياز» وضمت مختلف الدول الآسيوية والأفريقية والأمريكية، ولكن الولايات المتحدة، تمكنت من احتوائها!!!

حديثه عن الحرب الأمريكية للسيطرة على العرب:

وقبل قيام الثورة في مصر عام ١٩٥٢م، أصدر كتابه (السلام العالمي والإسلام) بيَّن فيه رغبة الشعوب كلها في السلام، كما بيَّن أن هذا السلام لا يوجد إلا في الإسلام، وقد تجلت في هذا الكتاب موهبة سيد قطب في التحليل السياسي.

وقد كشف يوسف العظم النقاب عن ما قامت به المخابرات الأمريكية من حذف تحليل سياسي رائع، كتبه سيد قطب في الفصل الأخير من الطبعة الأولى من الكتاب، بعنوان (الآن)، حيث صدرت طبعته الثانية خالية منه!!!

وقد ذكر يوسف العظم بعض محتويات هذا التحليل، وحيث لم نستطع الوقوف عليه، فسنكتفي بإيراد كلام العظم في هذا المقام: قال على لسان سيد قطب:

«إن رؤوس الأموال الأمريكية بحاجة ملحة إلى حرب جديدة»...

«ومن هنا كان مشروع (مارشال) وكانت لهذا المشروع غايات أساسية ثلاثة»:

الغاية الأولى: كانت هي تصريف الإنتاج الأمريكي الفائض.

والغاية الثانية: هي القضاء على حالة التبطل بين عمال أمريكا.

والغاية الثالثة: كانت هي تعمير أوروبا، تحقيقاً للنشاط الاقتصادي العالمي كله، من ناحية، ومقاومة للشيوعيين في أوساط المتعطلين من ناحية أخرى.

ومن هنا يُعَدُّ (مارشال) صاحب هذا المشروع، في نظر الأمريكان أحد رجال التاريخ الأميركيين، وقد عدته بعض الصحف الأميركية أحد العشرين الذي صاغوا القرن العشرين، لا في أمريكا وحدها، بل في العالم على الإطلاق.

وتناول الأستاذ سيد قطب موضوع المساعدت الاقتصادية الأميركية، وموضوع النقطة الرابعة من مشروع ترومان، والصراع بين الكتل الشيوعية والغربية.. وحديث الحرب، سواء كانت حرباً محلية، وكأنما يشير إلى حرب فيتنام، أم حرباً عالمية شاملة... تناول كل ذلك بصورة مدروسة واعية، لفتت نظر المخابرات الأميركية، التي أشارت بدورها إلى السلطات المصرية أن تحذف كل هذا التحليل من الكتاب في طبعاتها التالية»[1].

---

(١) الشهيد سيد قطب: ٤٣ ـ ٤٤.

وقد نقلنا كلام سيد قطب لحافظ الشيخ ـ أَحد أعضاء اتحاد جامعة الخرطوم ـ عندما زاره في منزله، الذي تحدث فيه عن خطر أمريكا والصهيونية على هذه المنطقة وعن بعض مخططاتها للسيطرة عليها، وعلل فيه أسباب قيام الوحدة بين مصر وسورية وأسباب فشلها، وبها تتجلى موهبته الرائعة في التحليل السياسي[١].

سيطرة المخابرات على الصحف العربية:

وبَيَّنَ سيد قطب دور المخابرات الأجنبية في تمويل وتوجيه الصحف المصرية بقوله: «إن الصحف المصرية ـ إلا النادر القليل ـ مؤسسات دولية، لا مصرية ولا عربية! مؤسسات تساهم فيها أقلام المخابرات البريطانية والأميركية والفرنسية والمصرية والعربية أخيراً!! مؤسسات تحرَّرُ صفحات كاملة فيها بمعرفة أقلام المخابرات هذه، لتروج دعاياتها في أوساط الجماهير، مؤسسات تخدم الرأسمالية العالمية أكثر مما تخدم قضايا الشعوب العربية، وتخدم الاستعمار الخارجي والجهات الحاكمة، قبل أن تخدم أوطانها وشعوبها الفقيرة، وهذا هو السر في أن الدولة لا تفرض عليها القيود التي تفرض على الكتب، لأن وراءها أقلام المخابرات ومصالح الرأسمالية العالمية، وهي كفيلة بأن تسندها، وتذلل لها العقبات، وتفسح لها الطريق، لنشر دعاياتها المستوردة في أطراف البلاد العربية جميعاً»[٢].

* * *

(١) انظر مبحث «استشهاده» من هذا الكتاب.

(٢) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الأول ـ عدد ٩٤٣ تاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥١م صفحة ٨٥٤.

الفصل الرابع

تراثه الأدبي والفكري

المبحث الأول
أهمية نشر تراثه كله

ترك سيد قطب تراثاً أدبياً وفكرياً كبيراً، فقد عرفنا أنه ظل يكتب المقالات الأدبية المتنوعة في مختلف المجلات، مدة تزيد على خمسة وعشرين عاماً، وهذه المقالات مملوءة بالكنوز المخبوءة، والمعلومات المفيدة، وتدل على موهبته الفذة في عالم الأدب، وهي تراث أدبي مجهول، ضمته صفحات مجلات عديدة، هي بدورها مجهولة لنا، حيث وضعت على أرفف المكتبات ودور الكتب، وإن أي محاولة لإخراج هذه الكنوز هي محاولة شاقة ومضنية، وتحتاج إلى صبر وأناة، ودأب ومثابرة، وإذا تمت فسيكون فيها إضافة جديدة لسجل الأدب والثقافة، ومتعة للأدباء ومحبي الثقافة، وكشفاً لصفحات مجهولة من حياة هذا الرجل النابغة، وبياناً لبعض ملامح شخصيته، وإظهاراً لبعض مواهبه.

كذلك ترك لنا تراثاً فكرياً كبيراً، يتمثل في دراساته وبحوثه الإسلامية العميقة، التي نشرها في موسوعته (في ظلال القرآن)، وقد أعد عدة بحوث إسلامية أخرى، ولكن الطغاة أتلفوها، ولم يسمحوا لها أن ترى النور!!!

سيد قطب: قِمّةَ عُرفتْ ولم تُكتشف:

إن سيد قطب شخصية عجيبة حقاً، والأعجب من شخصيته هو الجحود الذي قوبل به في حياته، من الأدباء والدارسين، والتجاهل الذي لحقه بعد استشهاده، وكان حرياً بعشاق الثقافة والأدب، أن

يُعدوا دراسات عن شـــخصيته وفكره وتراثه الأدبي، كما كان حرياً بمريديـــه الإســـلاميين أن يُعـــدوا دراســـات عن فكره الإســـلامي، وشخصيته الحركية، ومواقفه البطولية، وما أضافه إلى الفكر الحركي الإســـلامي من أفكار!! ولو كان ســـيد قطب عند غيرنا، لكتبوا عنه الكثيـــر، وفاخروا به الدنيا، إنهم يجعلون مـــن بعض رجالهم علماء وعباقرة وفلاســـفة، وقادة رأي وروّاد فكر، وهم بجانب ســـيد قطب أقزام أقزام!!!

إن سيد قطب قمة عالية، قمة عُرفت ولم تُكتشف حتى الآن، وليس عجيباً أن يكـــون قمة، ولكن الغريب أنها لم تُثِـــرْ في نفوس المعجبين حوافز لاستكشـــافها، حيـــث اكتفوا بالنظـــر إليها من بعيـــد، معجبين مبهورين مندهشين.

وقد وجه لســـيد قطب كيد ماكر من أعدائه، انتهـــى به إلى القضاء على حياتـــه، كما لفه جهل كبير من كثير مـــن إخوانه!! وبهذا وقع بين كيد هـــؤلاء وجهل هؤلاء، وبقيـــت محاولات استكشـــافه في مراحلها الأولى، تستنهض همم الدارسين.

لئن كان أدباء آخـــرون، مثل العقاد وطه حســـين، قـــد وجدوا من تلاميذهم من يدرســـهم ويجمع تراثهم - حتى المقالات الصغيرة التي كتبوها في المجلات - فأعتقد أن ســـيد وهو يوازي قادة الأدب والفكر هؤلاء، يوازيهم في المجال الأدبي والفكري، ويزيد عليهم في المجال الإســـلامي والحركي، بل لا مقارنة بينه وبينهم في هـــذا المجال! إني أعتقد جازماً أنه أولى منهـــم بالعمل على جمع تراثه كله، ســـواء كان بحوثاً أم قصائد أم مقالات!

رد الدعوة إلى إلغاء تراثه الأدبي والفكري:

ومن أغرب الدعوات التي ظهرت بعد استشهاده، دعوة صدرت عن بعض مريديه وتلاميذه، يدعون فيها إلى إلغاء كل تراثه الأدبي، السابق على اتجاهه الإسلامي الجاد، بل إلى إلغاء كتبه الإسلامية الأولى، التي أصدرها قبل إدخاله السجن عام ١٩٥٤م.

ويعللون لدعوتهم هذه بأن اهتماماته الأولى اهتمامات أدبية، ليست إسلامية حركية جادة، فكأنها لهو وتسلية، ولا يجوز أن يُضيَّع الوقت فيها، كما أن في هذا التراث الأدبي، اتجاهات باطلة لسيد قطب، مخالفة للإسلام، ونشرُها يسيء إلى شخصيته، ويؤثِّر على صورته في نفوس مريديه، ثم إن سيد نفسه، أعلن عن تخليه عن هذه البحوث والكتب والمقلات، في أواخر حياته، وأثبت في آخر الجزء الثالث عشر من «في ظلال القرآن» قائمة بالكتب التي تبناها. وترك ما عداها!!

ونحن نحسن الظن بهؤلاء، ونلمح صدق النية في دعواهم هذه، ولكننا نرى ضرورة وأهمية إخراج هذا التراث المطمور، ونشره للأدباء والمثقفين، خدمة للأدب والثقافة، وإضافة جديدة لعشاق الأدب، وكشفاً لبعض مواهب الرجل الأدبية.

لا يوجد في حياة سيد قطب ما يُخجل، كما لا يوجد في تراثه ما يُستحيا من نشره، لأنه كان صادقاً في حياته، صادقاً مع نفسه، صادقاً في أدبه.

إن هذا التراث الأدبي الذي يدعو الداعون إلى أهماله، أَخَذَ من وقت وجهد سيد قطب الكثير، وملأ ما يقرب عن أربعين سنة من حياته، وهي سنوات طويلة لها أثر عميق في شخصيته.

تراثه غطى أربعين سنة من عمره:

يقول سيد قطب عن نفسه في «معالم في الطريق»:

«إن الــذي يكتب هذا الكلام (ضرورة الاعتماد على الإســلام فقط كمصدر وحيد للثقافة) إنســان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة، كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع، في معظم حقول المعرفة الإنسانية، ما هو من تخصصــه وما هو مــن هواياته، ثــم عاد إلى مصــادر عقيدته وتصوره، فإذا هــو يجد كل ما قــرأه ضئيلاً إلى جانــب ذلك الرصيد الضخم، ومــا هو بنادم على ما قضى فيه أربعين ســنة من عمره، فإنما عرف الجاهلية علــى حقيقتها، وعلى انحرافها، وعلــى ضآلتها، وعلى قزامتها، وعلى جعجعتها وانتفاشها، وعلى غرورها وادعائها كذلك!»[١].

وإذا أســقطنا ما قدمه في هذه الســنين، واكتفينا بما وصل إليه من فكر ناضج ورأي سليم، فإن صفحات عديدة ســتُطوى من حياته، وإن جوانب كثيرة ســتكون مجهولة، إن كل جانب من جوانب حياته يمثل صورة أو فصلاً، لا بــدّ من معرفته وإدراك خفايــاه، ولا نعرف هذا إلا بالاطلاع على تراثه الأدبي الضخم، غير معقول أن نقف مع سيد قطب على القمة دون أن نعرف الرحلة التي قطعها حتى وصل إلى هذه القمة، ولا ملامح الطريق التي سار فيها!! وإن في آثاره الأدبية وصفاً للطريق، وبياناً للزاد الذي حمله معه في هذه الرحلة!!

أمَا إن في هذا التراث اتجاهات جاهلية مخالفة للإسلام، فنحن نُقرُّ بها ونعترف بوجودهــا، ولكن هذا لا يعيب الرجــل، بل على العكس

---

(١) معالم في الطريق: ١٧٥ ـ ١٧٦.

يرفع قدره في أعين الناس، ويدل على أنه لم يقطف ثمرة المعرفة واليقين إلاّ بعد جهد ومعاناة، وإن في بيان بعض ملامح رحلة الضياع التي قطعها، والتيه الذي تاه فيه، بيان لقيمة النقلة البعيدة التي نقله إليها الإيمان، والآفاق السامية التي حلق فيها على هدى هذا النور ـ ولا يُعرف فضل الإيمان عليه إلا بالاطلاع على صفحات من حياته السابقة ـ وبيان لعقيدة الإيمان الفاعلة المحركة، وبيان لميزة جديدة من مزايا سيد قطب في التفاعل مع هذا الإيمان.

تاريخ حياة الصحابة قبل الإسلام:

إن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، لم يكتف المؤرخون المسلمون بذكر سيرتهم الإسلامية فقط، ولم يهملوا حياتهم الجاهلية الأولى، حفاظاً على صورتهم الوضيئة في أعين المسلمين، لا بل ذكروا كل ما وصل إليهم من صور حياتهم الجاهلية، واعتبروا ذكرها أمراً ضرورياً، لبيان فضل الإسلام الذي نقلهم هذه النقلة، وبيان فضلهم في التفاعل مع الإسلام.

أفلا يكون عمل المؤرخين هذا قدوة لنا حين نتحدث عن سيد قطب، ودافعاً لنا إلى بيان ملامح حياته الأولى، وما خَلَّفَ فيها من تراث؟!!!

وحين نجدُ أنّ سيد قطب نفسه قد أعلن عن تخليه عن بعض كتبه الأولى، فهذا دليل على أن الرجل ـ وقد وصل إلى الريادة ـ أراد أن يبيِّن للدعاة الكتب الناضجة، التي تمثل لهم زاداً فكرياً وحركياً في طريق العمل الإسلامي، وأن بعض ما قدمه في السابق قد أدى غرضه في حينه! ولا يعني هذا إعدام كل هذا التراث الكبير!!

ولا تعني دعوتنا إلى نشـــره أننا نعتقد أن كل فقــرة منه تصلح زاداً للدعـــاة العامليـــن، لأن بعض تراثه أدبـــي محض، ولكنـــه زاد للأدباء والمثقفين، ولا بد كذلك من إلقاء الضوء على الكتاب الذي تبناه سيد قطب، والكتاب الذي تخلى عنه وتبرأ منه.

ثـــم إن معرفة حياته الأدبيـــة الأولى، والاطلاع علـــى تراثه الأدبي الضخم، ضروريـــان لمعرفة خلفيته الأدبية والفكرية، ولكشـــف مواهبه ومزايا شـــخصيته، هـــذه الحيـــاة وهذا التـــراث مدخل لمعرفـــة نتاجه الإسلامي: «فلولا تكوين ســـيد الأدبي في ســـابقة حياته، وتحليه بقوة عارضة، ورصانـــة لغة، وفكر مفتـــوح على آفاق المعرفـــة، وتعمق في الفهم.. لما وصل سيد إلى قوة هذا العطاء، وإلى هذا الفكر الناضج.

إن تكوينه الســـابق لدخوله إلى ميدان الدعوة الإسلامية كان فاتحة عمل عظيم.. وقدرة معطاءة»[1]..

تصنيف آثاره وأبحاثه وكتبه:

ولا أعني بالتصنيف ذكر الفنون التي كتب فيها، فقد ذكرنا سابقاً أنه ما ترك فناً من فنون الأدب، ولا حقلاً من حقول المعرفة إلا وكتب فيه.

وإنما أعني بالتصنيف تقسيم هذا التراث إلى أقسام ثلاثة:

القســـم الأول: مقالاته المختلفة في المجلات، والتي اســـتمرت ما يزيد على ثلاثيـــن عاماً، وهي مقـــالات مختلفة، منهـــا الأدبية، ومنها السياسية، ومنها الاجتماعية، ومنها النفسية، ومنها الإسلامية.

---

(١) المجتمع: عدد ١٦٦ تاريخ ٤ سبتمبر ١٩٧٣م: صفحة ٢٨.

القسم الثاني: البحوث الكثيرة التي أعدها، ولم ينشرها!!

القسم الثالث: مؤلفاته المطبوعة.

بالنسبة إلى القسم الأول لن أتحدث عنه هنا، لأن هذه الدراسة لا تستوعبه، ولأنني لم أتمكن ـ رغم ما بذلت من جهد ـ من الاطلاع على كل المجلات التي كتب فيها، حيث لم أطلع إلا على نتاجه في مجلات: «الأسبوع» و«الرسالة» و«الثقافة» و«العالم العربي» و«الكتاب المصري» و«دار العلوم».

وبالنسبة إلى القسم الثاني سوف أذكُرُ البحوث التي أشار هو نفسه إلى أنها قيد البحث، أو قيد التحرير، أو تحت الطبع، وأغلب الظن أن هناك بحوثاً أخرى أعدها، ولكني لم أجد إشارته إليها، لأني لم أطلع على كل مقالاته!!

أهمية ترتيب كتبه حسب صدورها:

وبالنسبة إلى القسم الثالث، فسوف أُعَرِّفُ تعريفاً موجزً جداً بهذه الكتب، وأتناولها حسب تاريخ صدور طبعاتها الأولى، لا حسب موضوعاتها، لأنني رأيت بعض من كتبوا عن سيد قطب، لم يَعْرِفوا السابق من هذه الكتب، ومن ثم لم يرتبوها حسب ظهورها، وأرى أن معرفة أسبقها ظهوراً يفيدنا فائدة كبيرة في معرفة التطور الفكري الذي مر به سيد قطب ولا بد لمن يريد دراسة هذه الكتب أن يصنفها حسب صدورها، كما لا بد لمن يريد دراسة مقالاته أن يرتبها حسب تاريخ نشرها.

وقد عانيتُ كثيراً في ترتيبها على هذا الأساس، وبهذه المناسبة أقرر أن دور النشر العديدة التي نشرت هذه الكتب ـ سواء بطريق مشروع أو

غير مشـــروع ـ وقعت في خطأ فاحش، وهو عدم إشـــارتها إلى تاريخ الطبعة الأولى للكتاب، مع أن الطريقة المثلى هي الإشـــارة إلى تاريخ الطبعة الأولى عنـــد إعادة طبعه، وذلك حتى يكـــون القارئ على بينة، وحتى لا يقـــع الباحث في حيـــرة، لأن أفكار الكاتب فـــي تطور، فقد يسجل رأياً في الكتاب، ثم يتخلى عنه في طبعة لاحقة له، والتطور أبرز ما يكون في أفكار ســـيد قطب، ولا يُعرف هذا إلا بتصنيف كتبه على هذا الأساس. وأنصح كل من يريد أن يقف على التطور في أفكار سيد قطب أن يرتب كتبه ومقالاته حسب صدورها!!

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني
تعريف بكتبه المطبوعة

تأخُر سيد في نشر الكتب:

تأخر سيد قطب في تأليف الكتب ونشـرها، حيث أمضى أكثر من عشـرين سـنة من حياته الأدبية يكتب البحوث والمقالات والقصائد، وبعد أن آنس من فكره نضجاً صار يؤلف الكتب.

يقول في خطابه إلـى الدكتور أحمد أمين: «لقد كنـتُ مريداً بكل معنى كلمة المريد لرجل من جيلكم تعرفونـه عن يقين، (يعني العقاد) ولقد كنت صديقـاً أو ودوداً مع الآخرين من جيلكم كذلك، لقد كتبت عنكم جميعاً بلا اسـتثناء، شـرحت آراءكم وعرضت كتبكم، وحلَّلت أعمالكم بقدر ما كنت أستطيع، ثم جاء دوري.. جاء دوري في أن أنشر كتباً بعد أن كنت أنشـر بحوثاً ومقالات وقصائـد، لقد جاء دوري في نشـر الكتب متأخراً جداً، لأنني آثرت ألا أطلعَ المئذنة من غير سلَّم، وأن أتريث في نشر كتب مسجلة حتى أُحس شيئاً من النضج الحقيقي، يسمح لي أن أظهر في أسواق الناشرين»[1].

تجاهل كبار المؤلفين له غيرة منه:

وبعد أن قـرر تأليف الكتب عـام ١٩٤٥م، صار يصدرهـا تباعاً، فأصدر عشـرة كتب في أقل من خمس سـنوات، مما رفـع منزلته في أوسـاط المثقفين والأدباء، وصار فـي فترة وجيزة فـي طليعة الأدباء والمفكرين فـي العالم العربي، واسـتحوذ على قلوب عشـاق الأدب

---

(١) الثقافة ـ السنة الثالثة علشرة ـ عدد ٦٦٣ تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١م صفحة ٨.

والثقافة والفكر، لكن الأدباء الآخريـــن فوجئوا بهذا الصعود المفاجئ، وصاروا ينفُسون على سيد قطب مكانته الجديدة، وتجاهَلوا نتاجه الغزير ـ وكأنهم تواصوا بذلك ـ وكان في مقدمتهم أستاذه العقاد.

يقول في حديثـه إلى الدكتـور أحمد أميـن: «فمـاذا كان موقف أستاذي؟ (يعني العقاد)، وماذا كان موقف جيلكم كله! ماذا كان موقف جيل الشيوخ لا من هذا الكتاب وحده (يعني التصوير الفني في القرآن) ولكن من الكتب العشرة التي نشرتُها حتى الآن؟

أراجع كل ما خطته أقلام هذا الجيل كله عن عشرة كتب، فلا أعثر إلا على حديث في الإذاعة لفقيد الأدب المرحوم الأستاذ المازني، وإلاّ إشارة كريمة للأستاذ توفيق الحكيم في أخبار اليوم»[1].

وقد زاد تجاهل الأدباء والمفكرين له بعد اتجاهه الإسلامي، وبعد اصطلائه بنار المحنة والعذاب في سجون الطغاة!!

وفيما يلي نقدم تعريفاً موجزاً بكتبه، ونتحدث عنها حسـب تاريخ صدورها:

١ ـ مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر:

أعده في الأصل محاضرة، ألقاها فـي مدرج كلية دار العلوم، عندما كان طالباً في السنة الثالثة فيها، وقدمه إلى الحضور أستاذه محمد مهدي علّام، كمـا قدم الكتاب عندما دفعه سـيد إلى المطبعـة، وقد أثنى في تقديمه على سـيد قطب، وبيّن اعتزازه بأن يكون أستاذاً له، وأنه لو لم يكن له تلميذ سـواه لكفاه ذلك سـروراً، كما بَيَّنَ فـي تقديمه إعجابه

---

(١) الثقافة ـ السنة الثالثة عشرة ـ عدد ٦٦٣ تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١م صفحة ٨.

بجرأته الرشيدة، واستقلاله بالرأي، وعصبيته البصيرة، وسجل توفيقه في بحثه، وإن خالفه في بعض آرائه، واعتبره مفخرة من مفاخر دار العلوم.

وقال سيد قطب في تقديمه: (هذا مجهود ضئيل الحجم، أُعد ليكون محاضرة فحسب، فلا يحتاج إلى مقدمة تبيِّن أغراضه وتوضح اتجاهه، فهو ذاته يصح أن يكون مقدمــة لمبحث كامل في موضوعه هذا «مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر» وسيكون).

وقد بيَّين في كتابه مهمة الشاعر في الحياة، ومنزلة الشعر بين الفنون الجميلة، ثم بيَّن من هو الشــاعر، وفرَّق بينه وبين المصور، وتحدث عن الخيال في الشعر، وعن تناســق الخيال، وتحدث عن ذوق الشاعر، وأثر البيئة في الــذوق والخيال، وتحدث عن التعبيرات الشــعرية، وفرَّق بين التعبيرات الشــعرية والتعبيرات النثرية، وختمه بالحديث عن شــخصية الشاعر، وصلته بالعصر الذي يعيش فيه، ومكان العاطفة في نفسه وشعره.

وهو أول مؤلف نقدي له، وكَوْنُ أولِ مؤلفاته كتاباً في النقد الأدبي له دلالة خاصة على تفتح مواهبه النقدية مبكراً.

وقد طُبع كتابه عام ١٩٣٣م.

٢ ـ الشاطئ المجهول:

هو أول ديوان مطبوع له، وهو الأخير!! إذ لم يطبع دواوينه الشعرية الأخــرى، التي أعلن أنها تحت الطبع، وقد صــدرت طبعته الأولى في أول يناير ١٩٣٥م[١]. وهو الكتــاب الوحيد الذي لم يطبع طبعة أخرى، لا في حياته، ولا بعد استشــهاده، ولذلك أصبح الحصول على نسخة

(١) مجلة دار العلوم ـ السنة الأولى ـ العدد الثالث ـ يناير ١٩٣٥م صفحة ٨٢.

منه شبه مستحيل، وقد بيع منه ألفاً وخمسمائة نسخة، وبلغ عدد صفحاته مائتين وثماني صفحات[١].

وحيث لم أتمكن من الاطلاع عليه ـ رغم ما بذلت من جهد ـ فسأكتفي للتعريف به بنقل فقرات من مقال محمود الخفيف في الرسالة، ينقد به هذا الديوان.

ابتدأ سيد قطب ديوانه بمقدمة نقدية بقلمه هو، نقل الخفيف بعض ما جاء فيها: «ففي الديوان نظريات علمية وفلسفية، والشاعر ملم بها، والشاعر متصل بالعوامل المجهولة، تربط قواه الروحية بالوحدة الكونية الكبرى، وللشاعر إحساس متيقظ بالزمن ومروره، ويملأ الشغف بكشف المجهول والحديث عن السر حيزاً كبيراً في ديوانه، والشاعر في هذا الديوان يقف موقف المصور في كثير من القصائد، وفي الديوان ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقى يتفشى فيه كله، كذلك تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار»[٢].

القسم الأول من كتابه سماه (ظلال ورموز) نشر فيه بعض قصائده التي يحاول بها كشف المجهول مثل (الشعاع الخابي) و(خراب) و(في الصحراء) و(في خريف الحياة) و(غريب) و(الإنسان الأخير) و(الشاعر في وادي الموت)، ولعله لهذا السبب أطلق عليه اسم (الشاطئ المجهول) حيث لم يتمكن من كشف سر الحياة المجهولة.

أما بقية ديوانه فيشتمل على بعض قصائد ريفية، وقصائد غزلية، وقصائد وطنية، هي في الجملة جيدة، تحس أنها صادرة حقاً عن قلب»

(١) الرسالة ـ السنة الثانية ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٩ تاريخ ٢٦ أكتوبر ١٩٣٤ صفحة ٢١٢.

(٢) الرسالة ـ السنة الثالثة ـ المجلد الأول ـ عدد ١٠١ تاريخ ١٠ يونيو ١٩٣٥ صفحة ٩٥٩.

«ولقد أعجبتني بنوع خاص قصائده (توارد خواطر) و(سر انتصار الحياة) و(المعجزة) و(الليلات المبعوثة)، وطربت كثيراً لها، ولو نظر الشاعر أو الناقد سيد قطب معي نظرة حق لفهم السر في نجاحه في تلك القصائد، التي يستحق من أجلها أطيب الثناء، ولولا هناتٌ في بعض تعبيراته لعدت هذه من عيون الشعر»[١].

وبعض قصائده أنشدها وهو في رحلة الضياع، ويبدو فيها قلقه وحيرته وشكه وضياعه، ولذلك لم يرض عنه بعد اتجاهه الإسلامي ـ ولعل هذا هو السر في عدم إعادة طبعه ـ وقد قال يوسف العظم عنه: «غير أن أستاذنا في أخريات عهدنا به كان يصرح بأن الديوان أثر من آثار جاهليته، وكم كان يحب أن تصل يده لكل ما جاء فيه في كل نسخة وصلت أية بقعة في الأرض حتى يأتي عليه»[٢].

٣ ـ نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر:

عندما أصدر الدكتور طه حسين كتابه عن (مستقبل الثقافة في مصر) عام ١٩٣٧م قامت حوله ضجة كبيرة، لأن الدكتور كان جريئاً جداً في عرض آرائه، التي تدعو إلى اعتبار مصر جزءاً من الحضارة الغربية، وإلى أخذ هذه الحضارة بحلوها ومرها، وخيرها وشرها، وقام المفكرون والأدباء في مصر، ينقدون هذا الكتاب، ويظهرون زيفه[٣].

---

(١) الرسالة ـ نفس المرجع: ٩٦٠. وانظر: دراسة عن الغزل في الديوان نشرها فايد العمروسي في دار العلوم ـ السنة الأولى ـ العدد الرابع ـ أبريل ١٩٣٥م صفحات ٢٢٠ ـ ٢٢٥.

(٢) مقال يوسف العظم في كتاب (الشهيد سيد قطب) ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) انظر: نقد كتاب مستقبل الثقافة: ١٠ ـ ٣٣.

وكان سيد قطب في طليعة مَن تصدوا لنقده فور صدوره، وكان نقده له من وجهة نظر تربوية، لا إسلامية، إذ راح يفند آراءه تربوياً وتعليمياً، ونشر هذا النقد في حلقات مسلسلة في صحيفة «دار العلوم». وقد تبنت جريدة (الإخوان المسلمون) ـ التي كانت تصدر في هذه الفترة ـ هذا النقد، ونشرتْه على صفحاتها[1].

وبعد انتهاء هذه المقالات جمعها سيد قطب في كتاب، وأصدر طبعته الأولى عام ١٩٣٩م، يُعَرِّفُ سيد قطب بهدف الدكتور طه حسين من كتابه «ولم يرسم هذا الكتاب الضخم سياسة التعليم فحسب، أو سياسة الثقافة المدرسية فحسب، ولكنه تجاوزها إلى ما بعد مراحل التعليم كلها، إلى ثقافة المجتمع وعواملها: إلى المسرح والخيالة والمذياع والصحافة، وتجاوزها إلى الأدباء والجو الأدبي، وإلى واجب الدولة والهيئات للبحث العلمي والنشاط الفكري، وإلى كل ما يتصل بكلمة (ثقافة) بأوسع معانيها، وفي أوسع حدودها، ملائماً بين كل مرحلة والتي قبلها والتي تليها»[2].

ولم يكن سيد قطب معارضاً لكل آراء طه حسين. يقول: «وفي هذا الكتاب ما نوافق الدكتور فيه أشد الموافقة، وفيه ما نخالفه فيه أشد المخالفة، ومنه ما يحتمل الأخذ والرد والزيادة والنقصان»[3].

٤ ـ التصوير الفني في القرآن:

وهو أول كتاب إسلامي له، كما هو أساس مكتبته القرآنية، وبه تعرَّف إلى القرآن، فأضاء الإيمان جوانبَ نفسه، ولولا هذا الكتاب ما

(١) انظر: مبحث «سيد قطب مع جماعة الإخوان المسلمين».

(٢) انظر: كتاب مستقبل الثقافة: ٦.

(٣) المرجع السابق: ٨.

عرفنا كيف ستكون مسيرة سيد قطب المستقبلية، وقد صدرت طبعته الأولى في أبريل عام ١٩٤٥م.

وتكفينا هذه الإشارة الموجزة هنا، لأننا خصصنا له دراسة مستقلة هي كتاب «نظرية التصوير الفني عند سيد قطب» والحمدلله.

٥ ـ الأطياف الأربعة:

صدرت طبعته الأولى عام ١٩٤٥م عن لجنة النشر للجامعيين، وقد اشترك في تحريره سيد قطب وإخوته: حميدة وأمينة ومحمد قطب. حيث شغل كل منهم حيزاً من الكتاب.

ابتدأت حميدة قطب الكتاب بقصتها (غربة) ثم مقطوعاتها (عبادة الحياة) و(أيها القبر) و(غرور) و(قلب متمرد) و(الحلم واليقظة) و(إلى المجهول) و(الزمن الساحر) و(في الليل) و(في ضوء القمر) و(اليد الخفية) و(عظمة الليل) و(أرنب يستغيث).

ثم تبعتها الطيف الثاني (أمينة قطب) التي ساهمت بقصصها (المنوال المسحور) و(رحلة إلى الماضي) و(خريف وربيع) و(رسول الفناء) و(ثياب العيد) و(أختان).

ثم ساهم الطيف الثالث محمد قطب في صورته النفسية (ذكريات الطفولة) وقصته القصيرة (في الامتحان) وصورته النفسية: (بين الأرض والسماء) و(الزمن).

وختم الطيف الرابع سيد قطب الكتاب بمقالات مختلفة الاتجاهات سبق له نشرها في (الرسالة) بدأها بأربع مقطوعات في رثاء أمه التي توفيت عام ١٩٤٠م، نشرها تحت عنوان (أماه)، وأتبعها بلفتاته في

(الزمن الساحر) وهتفاته في (الفاكهة المحرمة) وسبحاته في (في التيه) وصلواته في (عبادة الأصنام) وخطراته في (مع نفسي).

وقد أهــدى هؤلاء الأطياف كتابهــم إلى أمهم التي تأثــروا كثيراً بوفاتها.

وقد عرَّف ســيد قطب بالأطياف الأربعة بقوله: «صبية وفتاة، وفتى وشــاب. أولئك هم الأطياف الأربعة! إخوة في الدم، إخوة في الشعور. كلهم أصدقاء، وذلك هو الرباط الأقوى، إنهم يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف، هم أنفسهم، كل ما يملكون في الكون العريض! كل ما يربطهم بالكون أن يتطلعوا إليــه هنيهة، ليُردوه صوراً في عالمهم المســحور.. إنهم أبداً يحلمون، وقد يتفزَّعون في الحلم. ولكنهم إليه يعودون»[1].

وبعد أن يرسم صورة خاصة لكل طيف من الأطياف الأربعة يختم تعريفه بقوله: (أولئك هم الأطياف الأربعة وهــذه خطراتهم في كتاب، إنها عصارة من نفوسهم، وظلال من حياتهم، إنها أطياف الأطياف)[2]!!

والحق ـ كما يقول وديع فلســطين في تعريفه بالكتاب ـ «إن كتاب الأطياف الأربعة ممتع يلتذ القارئ بقراءته، حتى ليكاد يســتعيد بعض فصوله مرات ومرات، فإن الصور الخاطفة التي ساقها مؤلفوه، والمشاعر السامية التي أودعوها صفحاته، دلت على قدرة مشاعة بين إخوة أربعة، وفطنة مشتركة بينهم، ولباقة أدبية يتميزون بها ويتحلون»[3].

---

(١) الأطياف الأربعة: ٧.

(٢) نفس المصدر: ٨.

(٣) انظر تعريفه في الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الأول ـ عدد ٦١٨ تاريخ ٧ مايو ١٩٤٥م صفحة ٤٩٠.

٦ ـ طفل من القرية:

أصدرته لجنة النشر للجامعيين عام ١٩٤٦م[١] وأهدى الكتاب إلى الدكتور طه حسين، صاحب كتاب (الأيام)، وكان سيد قطب معجباً بكتاب طه حسين إلى حد كبير، كما كان معجباً بكتاب توفيق الحكيم (يوميات نائب في الأرياف) وعلى منوالهما نسج كتابه هذا.

وكتابه هذا صور ريفية، قال في المقدمة: (هذه صور من حياة القرية، عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان، لم أنمق فيها شيئاً، ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلى صفحة القرطاس)[٢].

وقد سجل فيه حياته تسجيلاً وافياً، حيث صور بيئته في القرية، ووضْع أسرته الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والسياسي، كما صور المدرسة ونظامها ومدرسيها، ومستوى التعليم فيها، وصور الحالة الصحية في القرية، واعتقادات أهلها في المرض والعلاج، وصور الخرافات السائدة في القرية عن العفاريت والجن، والرعب الذي تثيره هذه الخرافات في النفوس، وصور الحالة الاجتماعية في القرية، وعلاقات أهلها ببعض، وقوانين اللصوص فيها، وسرقاتهم وأنواع السرقات ودوافعها وأصحابها، وصور المستوى الديني لأهل القرية، واعتقاد أهلها بالأولياء الأحياء والأموات، وصور حال الأحياء منهم وشخصياتهم وسلوكهم، كما رسم صورة للقرية وحقولها ومزروعاتها ومياه الفيضان فيها، والعمال الأغراب فيها، ووضعهم الاجتماعي والاقتصادي السيء.

---

(١) الكتاب: ٣: ٤٦٥.

(٢) طفل من القرية: ٥.

وهو في تســـجيل حياته، في طفولته في القرية، لم يرتب الحوادث ترتيباً تاريخياً وإنما اتبع فيهـــا الطريقة التصويرية، فكان فيها أقرب إلى الرســـام المصور منه إلـــى الكاتب، وقد اســـتطعنا أن نعرف من صوره ملامح شخصيته في القرية وتركيبها وما أثر فيها.

وفصول الكتـــاب هي: «المجذوب» و«ضابط الجمباز» و«المدرســـة المقدسة» و«بعثة طبية» و«ســـيد الحكيم» و«العفاريت» و«حركة ثقافية» و«قانون اللصوص» و«جمع الأســـلحة» و«الحصـــاد» و«أحزان الريف» و«الرحيل».

وأكثر الفصول تسجيلاً لحياته هي «المدرسة المقدسة» و«العفاريت» و«حركة ثقافية» و«أحزان الريف».

٧ ـ المدينة المسحورة:

ألفه في عام ١٩٤٦م، ونشرته له دار المعارف بمصر في سلسلة (اقرأْ)[١] وهي قصة خياليـــة رمزية، ألفها على غرار قصص (ألـــف ليلة ولية)، حيث بعث (شهرزاد) و(شهريار) بطلا قصص ألف ليلة وليلة الأسطورية، وراحت شهرزاد تقص على مسامع الملك شهريار قصة (المدينة المسحورة).

وقد تجلت في هذه القصة الخيالية موهبته القصصية، ورأيناه في أسلوب جديد، يختلف عن الأســـلوب الذي عهدناه فيه، كناقـــد أو أديب (ذلك أنه ينطوي على سلاسة في السرد، وإشـــراق في العبارة، ويسر في التناول، يبلغ في نفس القارئ وقلبه ووجدانه ما يحب أن يبلغه كاتب القصة من قرائه)[٢].

---

(١) الكتاب: ٣: ٤٦٥.

(٢) مقال يوسف العظم في (الشهيد سيد قطب): ٣٤.

كانت شخوص القصة تتحرك وتتكلم، وكان يختفي خلف المسرح، وبيده الخيط الدقيق يحرك به هذه الشخوص، ويهمس لها بما يريد من معانٍ وأفكار لتنطق به، ولكنه كان أحياناً يظهر من خلف المسرح، ويقف أمام النظارة، ويسمعهم بعض مشاعره وأفكاره، من هذه المشاهد التي ظهر فيها قوله: «كم يفقد الإنسان حينما يفقد الأحلام.. إن هذا العالم ضيق ضيق، تافه تافه، حقير حقير، إن ما تبلغه الحواس لهو أمد قصير، وإن ما يبلغه الوعي لهو أفق قريب، وإن الخيال والأحلام ليبلغان بهذا المخلوق الإنساني المحدود أبعد الآماد وأوسع الحدود، ألا ما أشقى الإنسان الذي لا يملك من هذا العالم إلا ما تبصره عيناه»[1]!!

ومنها قوله: «الحقيقة الكبرى لن تَحُدَّها نظرة جيل، والواقع الأصيل لن يحصره إدراك فرد.. إن الحقيقة أعلى بكثير وأكبر بكثير من كل ما يتصوره فرد أو جيل، وإن الواقع لأعمق بكثير وأفسح بكثير مما تحده الأبصار والحواس، وإن ما يسميه أبناء الفناء بالواقع والحقيقة إن هو إلا طرف صغير ضئيل من الواقع ومن الحقيقة... إنهم لن يصلوا إلى شيء إلا بالوجدان والخيال والأحلام، هذه هي الأشعة السحرية التي تكشف الآباد والآفاق»[2]...

وقد تأثر سيد قطب في مدينته المسحورة بينابيع ثلاثة كانت مصدر إلهامه ومنطلق عطائه:

١ ـ قصص ألف ليلة وليلة.

---

(١) المدينة المسحورة: ٧١.

(٢) المرجع السابق: ١١.

٢ ـ القصص الفرعوني الأسطوري، المليء بالحديث عن السحر والتمائم.

٣ ـ قصة أهل الكهف الواردة في القرآن الكريم، حيث سحر المدينة، وجمد الحياة فيها مئات السنين، ثم دبت الحياة فيها فجأة، ثم مات أهل المدينة جميعاً بعد ذلك مباشرة. تماماً كأصحاب الكهف[1].

٨ ـ كتب وشخصيات:

هو ثالث كتاب نشره عام ١٩٤٦م، إذ سبقه «طفل من القرية» و«المدينة المسحورة». وقد أهدى كتابه إلى الأدباء والشعراء والقصاصين والباحثين، الذين نقد أعمالهم الأدبية، وبيَّن في إهدائه أن كتابه (مرآة) يرفعها لهم، ليروا فيها صفحتي الوجه.

وبيَّن في تقديمه وظيفة النقد. وأشار إشارة موجزة إلى وضع النقد في مصر في العصر الحديث. كما بيَّن عمل الناقد على وجه التحديد، وأنه يتحدد في ناحيتين: الأولى عمله في الجو العام وهو التوجيه والتقويم، ووضع الأسس وتشخيص المذاهب، وتصوير أطوارها ومناهجها.

والثانية عمله مع كل مؤلف، وهو وضع (مفتاحه) في أيدي قرائه، ليتعرفوا به على ملامح شخصيته.

يقول عن خطته في الكتاب «على هذه الأسس سرت في هذه الفصول، وأسميتها (كتب وشخصيات) لأنني حاولت أن أصور (شخصية) كل أديب، تناولت أحد كتبه بالنقد، فالكتاب وصاحبه في هذا الكتاب موصوفان مرسومان مميزان»[2].

---

(١) يوسف العظم في بحثه الذي أعده عنه، وهو تحت الطبع الآن.

(٢) كتب وشخثيات: ٧.

وكل فصول الكتاب سبق نشرها في المجلات، في صورة مقالات.

قسم الكتاب إلى أقسام رئيسة:

القسم الأول أسماه (في أصول النقد) تحدث فيه عن (النقد والفن) و(طريقة الأداء في الفن) و(الصور والظلال في الفن).

والقسم الثاني (في عالم الشعر) تحدث فيه عن (الوعي في الشعر) و(النفس الإنسانية في الشعر العربي) و(الطبيعة في الشعر العربي) ونفحات من فارس) و(العقاد الشاعر)، وقد ظهر في هذا القسم في آراء في الشعر جديدة، خالف فيها ـ مخالفة صريحة ـ أستاذه العقاد، بل ونقده في بعض آرائه، وكانت هذه بذور مدرسته الأدبية الجديدة.

والقسم الثالث (في عالم القصة والرواية) تحدث فيه عن كثير من القصص والروايات الأدبية.

والقسم الرابع (في النفس والعالم) خصصهُ لكتب الدراسات النفسية والإنسانية.

والقسم الخامس (في البحوث والدراسات)، والقسم السادس (في التراجم والتاريخ).

وقد نشر على غلاف الكتاب الأخير قائمة بالكتب التي ألفها، أو التي في طريقه إلى تأليفها، وبلغت ثلاثة وعشرين كتاباً.

٩ ـ أشواك:

قصة حب رومانسية، ظهرت في مايو عام ١٩٤٧م[١].

---

(١) الكتاب: ٤: ١٢٩٢.

وقد سجل فيها بأسلوبه الأدبي الرفيع، وموهبة القصاص المصور، حوادث قصة حب حقيقية، بينه وبين فتاة قاهرية، أحبها من كل قلبه، فتقدم إلى خطبتها، وراح يتخيل في أحلامه عش الزوجية الهانئ، وفي ليلة الخطبة ـ وهو يلبسها خاتم الخطوبة ـ اعترفت له بأنها كانت على علاقة حب مع أحد الشبان، وكان هذا النبأ هو الخطوة الأولى التي سار فيها الاثنان في طريق الأشواك، هي تحب خطيبها الجديد، وهو يحبها من كل قلبه، وما يطيق فراقها أو الانفصال عنها، ولكن كبرياءه لم تقبل أن يقترن بفتاة ليست عذراء القلب، وتمزق بين هتاف قلبه ونداء كبريائه، ألفُ جاذب يجذبه إليها، وألفُ دافع يدفعه عنها، وفي هذه الفترة أنشد قصائد فنية رائعة، صادرة عن معاناة حقيقية صادقة.

وانتصر كبرياؤه في النهاية، وانفصل عنها، وقلبه يتمزق، ونفسه شاردة، وقد تركت في نفسه أثراً بقي لفترة طويلة، وبقي يتحسس وخز الأشواك التي أدمته.

أما هي فقد اقترنت بشاب جديد، وعاشت معه حياتها الزوجية، وأما هو فقد بقي على حالته بدون زواج.

وقد ألف قصته (أشواك) يتحدث فيها عن تجربته معها، ويصورها بمختلف مراحلها، فأساس القصة واقعي حقيقي، ولكنه أضاف إليها ما أوحاه إليه خياله، بأسلوب تصويري رائع.

وقد أهدى قصته إلى صاحبته، وشريكته في قطع طريق الأشواك، وقال في إهدائه:

«إلى التي خاضت معي في الأشواك، فدميتْ ودميتُ، وشقيتْ

وشقيتُ، ثم سارتْ في طريق، وسرتُ في طريق: جريحين بعد المعركة. لا نفسُها إلى قرار، ولا نفسي إلى استقرار[١].

والقصة تحفة أدبية وفنية رائعة، وقد أحدثت فور صدورها ضجة في دنيا الأدب والنقد، لروعة الأسلوب الأدبي الموثر الذي كتبت به.

١٠ ـ مشاهد القيامة في القرآن:

صدرت طبعته الأولى في أبريل عام ١٩٤٧م عن دار سعد مصر بالفجالة بالقاهرة[٢] وهو الكتاب الثاني في (مكتبة القرآن)، التي كان ينوي إصدارها، وقد ألفه على طريقة (التصوير الفني)، فعندما أصدر (التصوير الفني في القرآن) عام ١٩٤٥م، تحدث فيه عن فكرة التصوير، وخصائصها في التصوير والتخييل والتجسيم والتناسق... إلخ، وآفاقها في القصة والمثل والحوادث الماضية ومشاهد الطبيعة ومشاهد القيامة... إلخ، وعند الحديث على مشاهد القيامة في (التصوير الفني) قال: «ومشاهد القيامة هي أكثر المشاهد تنوعاً في القرآن، حتى لهممتُ أن أفرد لها فصلاً خاصاً لولا تضخم الكتاب»[٣]. ثم صح عزمه على إفرادها بكتاب مستقل هو هذا الكتاب.

وقد استعرض في كتابه (خمسين ومائة مشهد، موزعة في ثمانين سورة)[٤].

---

(١) أشواك: ٥.

(٢) الكتاب: ٥: ١٦٨.

(٣) التصوير الفني في القرآن: ١١١.

(٤) مشاهد القيامة في القرآن: ٨.

والمشاهد التي استعرضها، هي التي تتفق مع تعريفه للمشهد (وهو الذي تتوافر فيه الصورة والحركة والإيقاع، أما المواضع التي ورد فيها ذكر اليوم الآخر مجرداً، أو ذكر الجنة تجري من تحتها الأنهار، أو ذكر العذاب الأليم أو المهين أو العظيم، دون أن يرتسم منها مشهد شاخص أو متحرك، فلم أتعرض لها، وهي كثيرة جداً، فلا تكاد سورة واحدة من سور القرآن تخلو من ذكر أو إشـــارة أو تلميح، وكذلك أغفلتُ القليل من المشاهد القصيرة»[١].

وقد بيّن طريقته في اســـتعراض المشـــاهد وتبويبها، وهي: (الطريق الاستعراضي، مراعياً الترتيب التاريخي ـ على قدر الإمكان ـ لورودها، فعرضتها بترتيب السور التي وردت فيها.

ورتبتُ هذه الســـور حســـب نزولها.. وذلك عمـــل تقريبي لا جزم فيه)[٢] وقد عـــدل عنه عند كتابة (الظلال) حيث فســـر الســـور القرآنية حسب ترتيبها في القرآن لا حسب نزولها.

خصص الفصل الأول من (المشـــاهد) للحديث عـــن (العالم الآخر في الضمير البشري) حيث اســـتعرض فيه هذه الفكرة استعراضاً سريعاً، عند الوثنيـــات والجاهليـــات القديمة، وعند الأمم الأولـــى: المصريين القدماء، والفرس والإغريق والرومان، وعند اليهودية والنصرانية.

وخص (العالم الآخـــر في القرآن) بفصل مســـتقل، تحدث فيه عن سمات هذا العالم كما وردت في القرآن.

---

(١) المرجع السابق: ٨.

(٢) المرجع السابق: ٩.

١١ ـ روضة الطفل:

سلسلة ألّفها سيد قطب، بالاشتراك مع أمينة السعيد ويوسف مراد، وأصدرتها دار المعارف بمصر، وقد صرد منهـا حلقتان: الأولى (أرنبو والكنز) والثانية (كتكت المدهش) ونالتا إعجاب الأطفال[١].

ولم أتمكــن ـ رغم ما بذلت من جهد ـ مــن الحصول على هاتين القصتين، ولا معرفة ما إذا أصدر حلقات أخرى من هذه السلسلة.

١٢ ـ القصص الديني:

سلسلة قصص دينية كتبها للأطفال، بالاشتراك مع عبدالحميد جودة السحار.

وبما أنني لم أتمكن من الاطلاع على هذه السلسلة، ولا معرفة عدد حلقاتها، فسأكتفي بنقل تعريف يوسف العظم لها: (تناول فيها أنبياء الله نبياً نبياً، وأكثر من الحديث عن الرسول الأعظم ﷺ، بأسلوب قصصي جذاب، يستميل به عقل الطفل ونفسه، وينمي في فكره الخلق والفضيلة والمثل، من خــلال حكاية تحكى، أو قصة تروى في يســر وســهولة وإشراق.

وإبداع أســتاذنا ســيد يقوم على جمــال العرض وســهولة الكلمة وتسلسل الفكرة، منذ آدم أبا البشر رســولاً ونبياً، حتى محمد صلوات الله عليه خاتماً للأنبياء والمرســلين.. وقصة الرســول الكريم منذ ولد حتى التحق بالرفيق الأعلى)[٢].

---

(١) مجلة الكاتب المصري ـ المجلد الخامس ـ عدد ١٨، مارس ١٩٤٧م صفحة ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٢) مقال يوسف العظم في كتاب (الشهيد سيد قطب): ٣٦.

١٣ ـ الجديد في اللغة العربية:

وقد ألّفها بالاشتراك مع آخرين، ويبدو أنه كتاب منهجي قررته وزارة المعرف على المدارس، كمنهج دراسي للغة العربية.

١٤ ـ الجديد في المحفوظات:

ألّفه مع آخرين، وهو كتاب منهجي آخر، مقرر على المدارس التابعة لوزارة المعارف، كمنهج دراسي للمحفوظات.

وهذه الكتب الأربعة، كتب تربوية له، تتعلق بالتربية والتعليم، ولم أتمكن من الاطلاع عليها لمعرفة موضوعاتها، لأنها لم تُعَدْ طباعتها كسائر كتبه، ولم توجد في الأسواق أو المكتبات نسخ عن طبعاتها الأولى[1].

١٥ ـ النقد الأدبي أصوله ومناهجه:

أصدر سيد قطب كتابه (النقد الأدبي) في يونيو ١٩٤٨م[2]. وقد ضمنه آخر آرائه النقدية، وهو الكتاب النقدي الرابع والأخير له، وفي كتابه هذا تظهر أصالة سيد قطب في النقد، وقد أرسى به دعائم مدرسة أدبية جديدة في النقد والشعر والفن، كان هو رائدها، وكان متوقعاً أن يدعمها بالمزيد من دراساته وبحوثه ونظراته، لولا أنه انصرف عن هذه الناحية، إلى الاهتمام بالفكر الإسلامي والعمل الإسلامي، انصرف عن

---

(١) أشار سيد إلى هذه الكتب الأربعة في نهاية الجزء الثالث عشر من تفسيره في ظلال القرآن من الطبعة الثالثة المنقحة، ضمن الكتب التي لم يتخل عنها، وأثبتت القائمة دار الكتاب العربي في لبنان، في نهاية المجلد الثامن من الظلال، بينما أسقطتها دار الشروق في طبعتها للظلال.

(٢) الكتاب: ٦: ٢٨٨.

عالم الأدب والنقد وهو في قمة العطاء والحيوية والفاعلية، ليدخل عالم الفكر الإسلامي الذي انتهى به إلى الريادة والقيادة والشهادة.

قسم كتابه إلى قسمين:

القسم الأول: خصصه للحديث عن أصول النقد الأدبي، وقد تحدث فيه عن العمل الأدبي وصلته بالحياة، كما تحدث عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية في العمل الأدبي، وبيّن أنه لا انفصال بينهما، وإنما هما مرحلتان متعاقبتان، القيم الشعورية تحدث أولاً في النفس، وتنتج عن تجربة شعورية ومعاناة حقيقية، ثم تليها القيم التعبيرية، حيث يعبر الأديب وهو في حالة شعورية متوهجة، يعبر عما عاناه وأحس به، فتكون هذه التعابير صادقة في الدلالة على شعور صاحبها.

وقد تحدث في القيم التعبيرية عن الألفاظ، وكيفية دلالتها على المعاني الذهنية أولاً، ثم على الصور والظلال المصاحبة لها ثانياً، ثم بيّن كيف يستخدم الأديب ـ الناجح الصادق ـ الألفاظ للدلالة على تجاربه الشعورية.. وقد استفاد سيد قطب في هذا الفصل عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية، استفاد من طريقة القرآن الكريم في التعبير، وهي طريقة التصوير، تلك الطريقة التي خصص كتابه (التصوير الفني في القرآن) لبيانها.

ثم تحدث عن فنون العمل الأدبي، وهي الشعر والقصة والأقصوصة، والتمثيلية والترجمة والسيرة، والخاطرة والمقالة والبحث، وقد خالف في كلامه على هذه الفنون بعض آراء المدارس الأدبية المعاصرة.

والقسم الثاني: من الكتاب خصصه للحديث عن مناهج النقد الأدبي، وهي المنهج التاريخي، والمنهج النفسي، والمنهج المتكامل.

وقد تحدث عن قواعد كل منهج ومن اعتمده من الأدباء والنقاد العرب في القديم والحديث، واستشهد بأقوالهم، وبيّن المآخذ على كل منهم، ثم بيّن أنه يفضل المنهج المتكامل الذي يجمع حسنات المناهج الثلاثة كلها، ويتلافى المآخذ التي أخذت عليها.

١٦ ـ العدالة الاجتماعية في الإسلام:

ألّف كتابه هذا قبل إيفاده إلى أمريكا، وقبل سفره عهد إلى شقيقه محمد قطب بمهمة طبعه، وقد صدرت طبعته الأولى في أبريل ١٩٤٩م[1].

وهو أول كتاب له في الفكر الإسلامي، والكتابان الإسلاميان اللذان سبقاه هما (التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن) كتابان أدبيان، عني فيهما ببيان طريقة القرآن في التعبير، والوقوف على خصائص أسلوبه.

قلنا سابقاً إن سيد قطب أقبل أول مرة على القرآن، يطالعه لدواع أدبية، عندما كان يعد كتابه (التصوير الفني في القرآن)، ولكن الرجل فوجئ بوجود قواعد ومناهج في هذا القرآن، تصلح أساساً لإنشاء مجتمعات، وإقامة حياة، وقد استرعت هذه انتباهه، وشدته إليها شداً، فكتب عنها ملاحظات صغيرة، وراح يكمل بحوثه وكتبه الأدبية ـ التي أشرنا إليها ـ وفي نيته أن يعود إلى هذه القواعد والمناهج ليدرسها ويتمعن فيها، ويظهرها للناس، ويحاول أن يجعلها الأسس المتينة لإقامة المجتمع الإسلامي المنشود.

---

(١) الكتاب: ٧: ٧٥٦.

الجو الذي ألف فيه الكتاب:

وقد اختار ميدان العدالــة الاجتماعية، يكتب فيهــا، ويبيّن منهج القرآن في إقرارهــا، وقواعده في تحقيقها، لأن البــلاد كانت تمر في مرحلة اجتماعية حرجة، فقد خرجت مصر من الحرب العالمية الثانية محطمــة اجتماعيــاً واقتصاديــاً وسياســياً، وتزلزلت بُنيــة المجتمع المصري، فبالإضافة إلى طبقات الإقطاعيين والباشوات وكبار الملاك، الذين اســتحوذوا على غالبية الثروة في البلاد، ظهرت طبقات أغنياء الحرب والمســتغلين والمنتفعين، وبقيت غالبية الشعب المصري في فقر مدقع، لا تجد قوت يومها، وتبيــت ليلتها طاوية، وحدثت هزات اجتماعية، وانتشر المتســولون وقطاع الطرق، وراح الشعب يئن تحت وطأة الظلم الاجتماعي.

ونشــط الشــيوعيون في مصر في الدعاية لمذهبهم، وراحوا يمنّون الفقراء والعمال والفلاحين المعدميــن بجنتهم الموهومة، ويزينون لهم الشــيوعية، فأقبل عليها الناس، ومعروف أن دعاة الشيوعية كالحشرات والديدان لا تنشط إلا على الأوساخ والنفايات.

كان ســيد قطب يعيش هذه المأســاة، ويزعجه المظاهر الاجتماعية الشائهة، ويزعجه نشاط الشيوعيين، فراح يبشر بالعدالة الاجتماعية التي وضع يديه علــى خطوطها العريضة فــي القرآن، وأنشــأ مجلة (الفكر الجديد) التي بشّــر فيها بهذه العدالة، ونقد فيهــا المظاهر الاجتماعية الشائهة، وحارب الشيوعيين والقصر والطبقات التي تتحكم في البلاد.

ثم أكبّ علــى القرآن الكريم، وأظهر مناهجــه وقواعده في العدالة الاجتماعيــة، وبيّن للشــعب الفقيــر المحــروم المظلــوم أن العدالة

الاجتماعية الصحيحة الصادقة، ليست عند الشيوعيين ولا عند الغربيين، وإنما هي واضحة في الإسـلام، وأن الإسلام وحده هو طريق الخلاص مما يعانون من ظلم اجتماعي وفقر اقتصادي.

أحدث الكتاب ضجة في مختلف الأوساط:

وقد أحدث كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) فور ظهوره ضجة في مختلف الأوساط: فالأوساط الشيوعية اعتبرته عدوها الرئيسي، لأنه يفتح عيـون الشـعب المحـروم المظلوم على بـاب جديـد للعدالة الاجتماعية غير الباب الذي يدعونهم هم إليه.

والأوساط الحكومية الرسمية، اعتبرته انتصاراً لخصومهم (الإخوان المسـلمون) الذيـن كانوا فـي هـذا الوقـت وراء جدران السـجون والمعتقلات، وكان سيد قطب قد أهدى كتابه إلى طليعة الشباب المؤمن المجاهد، الذين يلمحهم ـ بعين الخيال ـ قادمين، ليرفعوا عن الشـعب ألوان الظلم والحرمان، ويعيدوا المجتمع الإسلامي حقيقة واقعة.

وللحقيقة نقول إنه لم يكن يقصـد في هذا الإهداء جماعة الإخوان المسـلمين بعينها، وإنما يـرى أن وجود هؤلاء الشـبان أمر ضروري، تحتمه طبيعـة الظروف الراهنة ـ وهو ما لمسـه بعد ذلـك متمثلاً في جماعة الإخوان المسلمين ـ ولكن الحكومة ظنت أنه يقصد بإهدائه هذا الجماعة، فصادرت الكتاب بعدما طُبع، ولم تسمح له بالظهور إلا بعد إلغاء الإهداء.

والأوساط الإسلامية اعتبرته فتحاً جديداً في المكتبة الإسلامية، ونصـراً مؤزراً للفكر الإسـلامي، في صراعه مـع الأنظمة الفكرية

الأخرى، واعتبرت مؤلفه مفكراً إسلامياً كبيراً، يتمتع بالإيمان والصدق والإخلاص، مما قرب المسافة بينه وبين الحركة الإسلامية، لقد كان الكتاب إرهاصاً لانضمام صاحبه إلى الحركة الإسلامية بعد ذلك!

طُبع كتابه عدة طبعات في حياته، والطبعةُ الأخيرة هي الطبعة السادسة التي صدرت عن دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة عام ١٩٦٤م، وهي طبعة جديدة منقحة، أضاف إليها آخر أفكاره، وحذف منها بعض الأفكار الأخرى التي تَبين له خطؤها، ومما أضافه إليها فصل (التصوير الإسلامي والثقافة) وهو أحد فصول (معالم في الطريق)[١].

١٧ ـ معركة الإسلام والرأسمالية:

انقطع سيد قطب عن التأليف طوال عامين، أثناء وجوده في أمريكا، وعندما عاد إلى مصر وجد الأوضاع الاجتماعية والسياسية تزداد سوءاً، وفي هذه الفترة تعرف على جماعة الإخوان المسلمين.

وفي فبراير ١٩٥١م، ألّف كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية) وقد صدر عن دار الكتاب العربي بمصر[٢].

وبما أنه يتحدث في كتابه عن المعركة الطاحنة بين الإسلام والرأسمالية فقد كتبه بأسلوب المعركة، وهو أسلوب قوي موحٍ، أسلوب

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام: ٢٦٦ ـ ٢٧٨ دار الشروق.

(٢) الكتاب: المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ـ تاريخ أبريل ١٩٥١م صفحة: ٤٥٠ وانظر تعريفاً به في مجلة الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء السابع ـ يوليو ١٩٥١م صفحة ٧٣٧ ـ ٧٣٨.

الحدة والثورة والجرأة، وكأنه يصدر بلاغات عن سير المعركة، ويحدد المشتركين فيها، ويُعرف بصفاتهم وملامحهم.

أطلق في الفصل الأول (صيحة النذير) فـــي وجوه المتحكمين: إن الوضع الاجتماعي السيء في البلاد لا بد أن يتغير، ولا بد من حدوث هزة تُزلزل البنية الاجتماعية بكاملها.

وفي الفصل الثاني (إني أتهم) توجــه بأصابع الاتهام إلى الأوضاع الاجتماعية والقائمين عليها، بأنها تشل قوى الأمة عن العمل والإنتاج، وأنها تهدر الكرامة الإنســانية، وأنها تشيع الفســاد في المجتمع، وأنها تدفع الشعب دفعاً للارتماء في أحضان الشيوعية.

وفي فصل «في الإســلام خلاص» بيّن وبوضوح أن الإسلام وحده هو القادر على علاج كافة المشــكلات الاجتماعيــة الخطيرة، والقضاء على كافة المظاهر الاجتماعية الشائهة، وإيجاد الحلول الناجعة، هذا إذا استلم سدة الحكم، وتسلم القيادة والتوجيه.

وفي فصل «شبهات حول حكم الإسلام» عالج بعض هذه الشبهات وقضى عليها مثل (بدائية الحكم) و(حكم المشايخ والدراويش) وطغيان الحكم، وغموض النصوص والحريم والأقليات.

وفي الفصل الأخير (عداوات حول حكم الإســلام) كشف عن هذه العــداوات، وبيّن بواعثها، وأظهر خفاياهــا، وأبان عن خطرها، واســتعرض أهــم أصحابهــا (عــداوات الصليبييــن) و(عــداوات المستعمرين) و(عداوات المستغلين والطغاة) و(عداوات المحترفين من رجال الدين) و(عــداوات المســتهترين والمنحلين) و(عداوات الشيوعية والشيوعيين).

١٨ ـ السلام العالمي والإسلام:

صدر في أكتوبر عام ١٩٥١م، عن دار الكاتب العربي بالقاهرة[1].

ألّف سيد قطب كتابه هذا في فترة اضطراب عالمي، اضطراب في الأحوال السياسية، وتغير معدلاتها وموازينها ومراكز الثقل الدولية فيها، واضطراب في الأحوال الاجتماعية، وتمزق الروابط بين كافة أفراد المجتمع الدولي، تمزق الروابط بين أفراد البيت والأسرة والمدينة والقطر، واضطراب في الأحوال الاقتصادية، وسوء توزيع الثروات، وتفشي الأمراض الاقتصادية كالربا والاستغلال والاحتكار، والمشاكل والأزمات الاقتصادية الدورية.

وقد عانى العالم كله من حربين عالميتين، أكلتا الأخضر واليابس، وراح ضحيتها الملايين من القتلى، والملايين من الجرحى، ومئات الملايين من الأموال التي أنفقت فيها، ونتجت عنها الآثار الخطيرة في كافة المجالات والأنشطة، نتج عنها القلق والأمراض النفسية، ونتج عنها الفساد الأخلاقي، وتغير الموازين والمقاييس والمعايير الأخلاقية، ونتج عنها تغير المعادلات الدولية، هزيمة دول عظمى، وظهور أمم أُخرى فتية، واكتوت الإنسانية كلها بنار هذه الحروب، وظهرت فيها آثارها ونتائجها بشكل واضح.

ولم يصل المجتمع العالمي إلى السلام بعد هاتين الحربين العالميتين، بل استمرت الحرب الباردة بين الدول العظمى، وتوزعت الكتلتان الشرقية الروسية والغربية الأمريكية، اقتسام باقي العالم، وبسْط نفوذهما عليه.

---

(١) الكتاب: المجلد العاشر ـ الجزء التاسع ـ نوفمبر ١٩٥١م صفحة ٩٣٠، والمجلد الحادي عشر ـ الجزء السادس ـ يونيو ١٩٥٢م صفحة ٧٤٩ ـ ٧٥٠.

ولم يتحقق تبعاً لذلك السلام السياسي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي.

وسيد قطب الذي عاصر هاتين الحربين، وأحس بالمشكلات الدولية المختلفة، ورأى بؤر الصراع التي تهدد بنشوب حرب عالمية ثالثة، أو حروب محلية مختلفة، وشاهد القلق والاضطراب مرتسماً على الوجوه البشرية، وعاين الآثار الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن هذا كله.

ووازن بين هذا الاضطراب العالمي، وبين السلام الذي يحققه الإسلام، فقدم خدمة عظمى للبشرية المنكودة، وأظهر لها ملامح هذا السلام في الإسلام، حيث تحدث عن أثر العقيدة ووظيفتها، وتحدث عن سلام الفرد مع نفسه وضميره، وسلام البيت، وسلام المجتمع، وسلام الدولة، والسلام الدولي، وبيّن أن هذا كله لا يتحقق إلا بالإسلام. ودعا البشرية كلها إلى الالتزام بالإسلام، ليتحقق هذا السلام. وبيَّن في كتابه أن التكتلات المستفيدة من الحروب هي التي تحول بين البشرية وبين السلام، ولذلك فهي تحارب الإسلام بعنف كي تحجب نوره عن العالم، وقد ضاقت المخابرات الأمريكية بتحليلات سيد قطب السياسية الموفقة في الكتاب، فأوحت إلى الحكومة المصرية بحذف هذه التحليلات من طبعاته اللاحقة[1].

١٩ ـ في ظلال القرآن:

عندما ألّف سيد قطب كتابه (التصوير الفني في القرآن) عام ١٩٤٥م وبيّن فيه طريقة القرآن في التعبير، وأظهر فيه المجال الفني المتناسق

(١) انظر صفحات مبحث «سيد قطب المحلل السياسي» من هذا الكتاب.

العجيب، كانت إحدى أمانيه في ذلك الوقت أن يعرض القرآن كله في ذلك الضوء، وأن يتناوله سورة سورة، وآية آية، يبين فيه خصائص وسمات هذا الجمال الفني، ويظهر آفاقه ومجاله، ويسجل ما تحسه نفسه، وما يتذوقه قلبه، وما توحيه إليه خواطره، من هذا الجمال المعجز[١].

وبقيت هذه الأمنية كامنة في شعوره فترة من الوقت طويلة.

الظلال في مجلة المسلمون:

وفي ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥١م، أصدر سعيد رمضان مجلة (المسلمون)، وكانت مجلة فكرية شهرية، ويكتب فيها قادة الفكر والرأي في العالم الإسلامي، وطلب سعيد رمضان من سيد قطب أن يشترك فيها بمقال شهري، وأبدى رغبته أن لو كان هذا المقال في موضوع مسلسل، أو تحت عنوان دائم.

وفي هذا الوقت ظهرت رغبة سيد قطب الكامنة، وقفزت إلى ذهنه، فصار يفسر القرآن تحت عنوان دائم (في ظلال القرآن).

كتب الحلقة الأولى في العدد الثالث من المجلة في شهر فبراير (شباط) ١٩٥٢م[٢] وابتدأ بسورة الفاتحة، ثم ثنى بسورة البقرة، وقد نشر في المجلة سبع حلقات.

وفي نهاية الحلقة السابعة في العدد التاسع من المجلة، أعلن عن إيقاف نشر هذه الحلقات في المجلة، لأنه سوف يقوم بتأليف التفسير وطبعه في كتاب مستقل، في أجزاء تظهر تباعاً: وقال: (بهذا الدرس

(١) في ظلال القرآن ـ الطبعة الثانية ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة: ٦.

(٢) المسلمون: السنة الأولى ـ المجلد الأول ـ العدد الثالث ـ فبراير ١٩٥٢م صفحة ٢٨ ـ ٣٢.

ينتهي ما قُدر له أن ينشر من هذه السلسلة في (المسلمون)... وذلك أن (في ظلال القرآن) ستنشر مستقلة في ثلاثين جزءاً على التتابع، تظهر كل حلقة على رأس شهرين، ابتداءً من شهر سبتمبر القادم بإذن الله، تنشرها دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي وشركاه، أما (المسلمون) فتأخذ في نشر بحث آخر تحت عنوان (نحو مجتمع إسلامي))[١].

الظلال قبل سجن سيد:

وفعلاً ظهر الجزء الأول من (الظلال) في أكتوبر عام ١٩٥٢م[٢].

وقد وفّى سيد قطب بتعهده مع القراء، حيث راح بهمة عجيبة يصدر كل شهرين جزءاً من هذه الظلال، بل كان يزيد على هذا أحياناً، ويُصدر الجزء من (الظلال) في أقل من شهرين، وفي الفترة الواقعة ما بين أكتوبر ١٩٥٢م، إلى أول يناير ١٩٥٤م كان قد أصدر ستة عشر جزءاً من (الظلال)، أي في سنة وأربعة أشهر.

وقد اعتُقل سيد قطب للمرة الأولى مدة ثلاثة شهور، من يناير إلى مارس ١٩٥٤م، وأصدر وهو في السجن الجزءين السابع عشر والثامن عشر.

وبعدما خرج من السجن لم يصدر أجزاء جديدة، حيث أشرف على مجلة (الإخوان المسلمين) وكان مهتماً بأمور الدعوة، ولم تسمح له كثرة المشاغل أن يصدر من (الظلال) شيئاً.

---

(١) المسلمون: السنة الأولى ـ المجلد الأول ـ العدد التاسع ـ يوليو ١٩٥٢ م صفحة ١٥.

(٢) مجلة الكتاب ـ المجلد الحادي عشر ـ الجزء التاسع ـ نوفمبر ١٩٥٢ م صفحة ١١٣٧.

ولم يلبث طويلاً خارج السجن، إذ أُعيد إليه هو والألوف من أفراد (جماعة الإخوان المسلمين) في نوفمبر ١٩٥٤م.

وفي الفترة الأولى من سجنه لم يكتب شيئاً من (الظلال)، لأنه كان يُنقل من سجن إلى آخر، وقد صب عليه من صنوف العذاب ووسائل التعذيب ما لا يوصف، ولم يستطع معها أن يكتب شيئاً.

وبعد أن صدر عليه الحكم بالسجن خمسة عشر عاماً، وتوقف عنه التعذيب، واستقر في السجن، وتكيفت نفسه مع الوضع الجديد، انصرف إلى إكمال ما بدأ به، وكتب الأجزاء الباقية من الظلال.

كانت اهتمامات سيد قطب في غالبية الأجزاء، من الأول إلى السابع والعشرين من الطبعة الأولى، كما حددها هو في مقدمة هذه الطبعة بقوله: «وما جاوزت أن أسجل خواطري وأنا أحيا في تلك الظلال، كل ما حاولت ألا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية، تحجب القرآن عن روحي، وتحجب روحي عن القرآن، وما استطردت إلى غير النص القرآني ذاته، من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية، وما أَحْفَلَ القرآنَ بهذه الإيحاءات، كذلك حاولتُ أن أعبر عما خالج نفسي، من إحساس بالجمال الفني العجيب في هذا الكتاب المعجز، ومن شعور بالتناسق في التعبير والتصوير»[1].

وفي الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الظلال، بدأ يبرز عند سيد قطب الاتجاه الحركي، الذي تولد عنده نتيجة لتجربته العملية في الحركة بالإسلام، ونتيجة لنظراته المتجددة في القرآن، وكان لا بد من أن يُعيد النظر في (الظلال)، ويُعيد كتابته على أساس من اتجاهاته الحركية الجديدة.

---

(١) في ظلال القرآن ٦/١ ـ ٧ الطبعة الثانية ـ عيسى الحلبي ـ بمصر.

الطبعة المنقحة من الظلال:

فكان أن أصدر سيد قطب الطبعة المنقحة من الظلال، وهي الطبعة الثالثة، وقد أصدرتها دار إحياء الكتب العربية في القاهرة.

كتب سيد قطب الأجزاء العشـرة الأولى من الطبعة الثالثة المنقحة بتركيز شـديد، وكان يقف عند الآيات طويلاً، ويسجل حولها خواطره، ويتعرض للحديث عن ما تشـير إليه، من أمور في العقيدة أو الفقه أو التشريع أو المعاملات أو السياسة أو الاقتصاد أو التاريخ أو الفلسفة أو التربية أو الاجتماع أو غير ذلك، ويقف طويلاً على إيحاءاتها الحركية، ويسـجل للعاملين للإسلام موحياتها، ويرسـم لهم على ضوئها معالم الطريق، كما كان أكثـر تركيزه على قضايا العقيـدة، وبخاصة الألوهية والحاكمية والتشريع.

ولذلك تضاعف حجـم الطبعة المنقحة هـذه، إذ كان حجم الجزء منها يزيد على ضعف حجمه في الطبعة الأولى.

وكان الجزء السـابع أكثر هذه الأجزاء العشرة تركيزاً، إذ توسع في الحديث عن قضايا العقيدة أثناء مقدمته المطولة لسورة الأنعام.

وفي الأجزاء الثلاثة الباقية من الحادي عشـر حتى الثالث عشر، لم يقف طويلاً عند الآيات، لأنه قال أكثـر ما يريد قوله في الأجزاء العشرة الأولى، ومع ذلك جاءت موسعة أكثر منها في الطبعة الأولى، وكتبهـا على نفـس المنهج الذي كتب بـه الأجراء العشـرة، وكان النضوج واضحاً في أفـكاره في هذه الأجزاء، وقد كتب هذه الأجزاء الثلاثة الأخيرة في الفترة التي أطلق فيها سـراحه، وهي بضعة شهور من عام ١٩٦٥م.

وقد كان سيد قطب يتمنى أن يعيد كتابة باقي الأجزاء من الثالث عشر إلى السابع والعشرين على هذا المنهج الجديد، ويترك الأجزاء الثلاثة الأخيرة بدون إعادة، لأنها كتبت على ضوء هذا المنهج، ولكن الطغاة عجلوا بالقضاء عليه قبل أن يحقق هذه الأمنية، التي ضاعت مع الكثير من أمانيه الأخرى، وحالت المؤامرة المرسومة للقضاء عليه بينه وبين تحقيقها.

لماذا سمحوا لسيد بالكتابة في السجن؟:

قبل إدخال سيد قطب السجن ـ في المرة الأولى ـ كان قد تعاقد مع دار إحياء الكتب العربية على نشر (الظلال)، ولما أُدخل السجن مُنع من الكتابة، فرفعت الدار الناشرة دعوى على الحكومة، تطالبها بدفع تعويض قيمته عشرة آلاف جنيه، لأنها تضررت من عدم السماح لسيد قطب بالكتابة، وأراد الله (للظلال) أن يظهر، فسمحت الحكومة لسيد قطب بالكتابة في (الظلال)، وعينت الشيخ محمد الغزالي رقيباً دينياً، يُعرض عليه ما كتبه سيد قطب قبل طبعه، وباشر الغزالي مهمته، وصارت تُعرض عليه كتابات سيد قطب، وقد أجاز الغزالي كل ما كتبه، وأذن له بالطبع، ولم يحذف إلا فقرات من تفسير سورة البروج، أشار فيها سيد قطب إلى التعذيب الذي لاقاه هو والمجاهدون في السجون.

هذه هي المراحل التي مرّ فيها تأليف (الظلال) باختصار[١].

الظلال لون جديد في التفسير:

لم يَعتبر كتابه تفسيراً للقرآن فقط، لذلك أطلق عليه اسم (في ظلال القرآن) وهو لم يتكلف إطلاق هذا العنوان عليه عندما بدأ في كتابته!!

---

(١) أفادني بهذه المعلومات الأستاذ محمد قطب ـ أحسن الله جزاءه ـ.

واعتبر كتابه تسجيلاً لحياة هانئة عاشها (في ظلال القرآن) يقول: (في ظلال القرآن، عنوان لم أتكلفه فهو حقيقة عشتها في الحياة)، وكانت تعنُّ له في هذه الحياة «خواطر في العقيدة، وخواطر في النفس، وخواطر في الحياة، وخواطر في الناس... كنت أكتفي بأن أعيشها ولا أسجلها»[1] ويقول عن (ظلاله) «وبعدُ: فقد يرى فريق من قراء هذه الظلال أنها لون من تفسير القرآن، وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادئ العامة للإسلام كما جاء بها القرآن، وقد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهي في الحياة والمجتمع، وبيان الحكمة في ذلك الدستور.. أما أنا فلم أتعمد شيئاً من هذا كله، وما جاوزت أن أسجل خواطري وأنا أحيا في تلك الظلال»[2].

وفي الحقيقة إن (الظلال) ليس تفسيراً للقرآن، بالمعنى التقليدي لكلمة تفسير، وإنما هو موسوعة تعرَّض فيها سيد قطب لكافة فنون المعرفة والثقافة على ضوء الإسلام، وعلى منهج القرآن، كما تعرَّض لمناهج الحياة في الإسلام، المناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والحركية، والأهم من هذا كله أن (ظلاله) حياة في (ظلال القرآن) بكل ما تحمله كلمة حياة من معنى، إنه وهو يتحدث عن الآيات يتحدث عن حقيقة لمسها، وحياة عاشها، وتجربة واقعية مرّ بها، وحلاوة تذوقها، ونعمة أحس بها. ولذلك هو ليس تفسيراً للقرآن فقط، بل هو أكثر من التفسير بكثير.

---

(١) في ظلال القرآن ٥/١ من الطبعة الأولى بمصر.

(٢) المرجع السابق: ٦/١.

ولقد لقي (الظلال) رواجاً كبيراً في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، لأن صاحبه يتحدث عن تجربة، ويصف حياة، وقد بذل نفسه في سبيل ما يؤمن به، وقد طُبع عدة طبعات باللغة العربية، منها الشرعية ومنها المسروقة، ومن أهم هذه الطبعات الطبعات اللبنانية التي ظهر فيها في ثمانية مجلدات ضخمة، وطبعة دار الشروق الأخيرة التي ظهر فيها في ستة مجلدات ضخمة.

وقد صدرت عن الظلال دراسات قيمة وجيدة منها (فقه الدعوة) جمع أحمد حسن، و(طريق الدعوة في ظلال القرآن) جمع أحمد فائز في جزءين، و(اليوم الآخر في ظلال القرآن) لأحمد فائز أيضاً.

٢٠ ـ دراسات إسلامية:

صدرت طبعته الأولي عن مكتبة لجنة الشباب المسلم عام ١٩٥٣م، والكتاب عبارة عن مقالات إسلامية مختلفة، كتبها سيد قطب في أوقات مختلفة، ونشرها في مجلات مختلفة، مثل الرسالة والكتاب والدعوة، في الفترة ما بين ١٩٥٠م وعام ١٩٥٣م.

وقد بلغ مجموع هذه المقالات التي ضمها الكتاب ستاً وثلاثين مقالة، منها (خذوا الإسلام جملة أو دعوه) و(إلى النائمين في العالم الإسلامي) و(إسلام أميركاني) و(ضريبة الذل) و(العبيد) و(قوة الكلمة) وسلسلة (المسلمون متعصبون) و(حسن البنا وعبقرية البناء).

وقد قدَّم للكتاب محب الدين الخطيب، واعتبر أهم مميزات أدب سيد قطب هي القوة، وأطلق على أدبه لقب (أدب القوة)، وبيَّن كيف أن قوة الكلمة أزعجت قوى الطغيان في البلاد، وتمنى على سيد قطب أن يصدر كتاباً مثله في مطلع كل عام، يتحف به القراء والمثقفين والعاملين.

٢١ ـ هذا الدين:

بعد أن أُدخل (الإخوان المسلمون) في سجون عبد الناصر، ولاقوا صنوف التعذيب والعذاب، وفُجعوا في آمالهم وأمانيهم، فَقَدَ البعض منهم الثقة بنفسه أولاً، وبهذا الدين وقدرته على مواجهة الجاهلية ثانياً، وبإمكانه تحقيق غاية الحركة الإسلامية القريبة ثالثاً.

أدرك سيد قطب، وهو القائد المربي، ما يعانيه إخوانه، وما تختلج به نفوسهم، وخشي أن تكون النتائج سيئة، أن تؤدي بهم إلى ترك راية الجهاد، فألّف كتابه (هذا الدين)، بيَّن فيه خصائص هذا الدين، وأنه منهج للبشر، وأن الله قادر على أن ينصره بجنود من الملائكة، ولكنه شاء أن ينتصر بجهود البشر لِحِكَم كثيرة، وأن هذا الدين منهج متفرد، لا يماثله منهج آخر، وأنه منهج ميسر، لا عسر فيه ولا مشقة، ويَسهل على النفوس الجادة النهوض بتكاليفه، وأنه منهج مؤثر، يُحدث أثره الفعال في النفس والمجتمع، متى ما حملته نفوس صادقة، عزمت على التضحية.

كما بيَّن أنّ لهذا الدين رصيداً من النجاح، وأن هذا الرصيد يتمثل في رصيد الفطرة، لأنه بعقيدته وشريعته ونظامه يوافق الفطرة الإنسانية المستقيمة، كما يتمثل في رصيد التجربة، حيث أن مبادئه ليست مثالية خيالية غير صالحة للتطبيق العملي الواقعي، فقد طبق ونجحت التجربة، وكانت الفترة المحدودة التي طبق فيها أثقل من عمر البشرية كلها، وأكثرها سعادة وطمأنينة.

إن كتاب (هذا الدين) يعتبر مرحلة جديدة في فكر سيد قطب وأسلوبه، فهو بداية اتجاهه الحركي الإسلامي، حيث أدرك به الخصائص الحركية لهذا الدين، وبهذا أظهر أن المستقبل لهذا الدين.

وكما كان كتاب (التصويــر الفني في القرآن) أســاس منهجه الجمالي الفني في فهم القرآن وتفســيره جمالياً، كذلــك كان كتاب (هذا الدين) بداية استخدامه المفتاح الحركي لفتح كنوز القرآن الحركية المذخورة، التي لم يطلع عليها قبل سيد قطب أحد سواه، ولذلك رأيناه بعد تأليف هذا الكتاب يعيــد النظر في الظلال، ويُصدر الطبعــة الجديدة المنقحة منه، على أساس منهجه الحركي في التفسير!!

٢٢ ـ المستقبل لهذا الدين:

وهو يكمل مهمة الكتاب الســابق (هذا الدين)، فبعد أن أعاد ذلك الكتاب الثقة في نفوس العاملين، ورسم لهم ملامح الإسلام وخصائص منهجه، بيَّن في هذا الكتاب أن المستقبل هو لهذا الدين.

كما بيَّن كيف أن الإسلام منهج حياة شامل كامل، يستوعب مختلف شؤونها ويقيمها على أسسه ومبادئه، ويلبي كافة حاجات الإنسانية، ولا يوجد أي دين يؤدي هــذه المهمة، وتتوفر فيه هذه الخصائص ســواه؛ ولذلك ـ وبهــذا الاعتبار ـ فإن المســتقبل إنما هو لهــذا الدين فقط، وتحدث فــي كتابه عن الفصام النكــد الذي تمّ بيــن الديانة النصرانية المحرفة وبين العلــم الحديث، وأنه تم لملابســات خاصة هناك، وأن الإســلام لن يقع خصام بينه وبين العلم، كما بيَّــن أن الرجل الأبيض الذي يقود الحضارة الغربية قد انتهى دوره، واستنفذت الحضارة الغربية أغراضها، وســجل بعض صيحات الخطر أطلقها بعض علماء الغرب، يُحذرون فيها من المصير البشــع الذي تقود الحضارة الغربية البشــرية إليه. وأعلن أنه لا بد من مخلص يغير مســار القافلة، ويخلصها من ما هي فيه، وأنه لن يكون إلا الإسلام.

٢٣ ـ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته:

خصصه للحديث عن العقيدة الإسلامية وخصائصها، وقد أعلن عنه أولاً باسم (فكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان) ولكنه عدل عن هذا الاسم، وأطلق عليه اسم (خصائص التصور الإسلامي)، وقد جعل هذه الدراسة في قسمين: القسم الأول عن (خصائص التصور الإسلامي) والقسم الثاني عن (مقومات الصور الإسلامي)، ولم يظهر من هذه الدراسة إلاّ القسمُ الأول فقط.

لقد أمضى سيد قطب وقتاً طويلاً وهو يبحث ويدرس، حتى أخرج هذا الكتاب، وقد استغرق تأليفه حوالي عشر سنوات، من عام ١٩٥١م حتى عام ١٩٦٠م ولا غرابة في ذلك؛ فالعقيدة الإسلامية هي التي أنهت رحلة الضياع التي قطعها سيد قطب لفترة من الوقت، وهي التي نقلت خطاه هذه النقلة البعيدة.

والكتاب من أعمق كتب سيد قطب، وقد تحدث عن العقيدة بأسلوبه المعهود، بسلاسة ووضوح وجاذبية، وهو قد أفادَ كثيراً من أسلوب القرآن في عرض العقيدة.

تحدث عن أسلوب القرآن في عرض العقيدة، ثم بين الركام الذي أوجده البشر في إضافاتهم للعقيدة، والتيه الذي ساروا فيه، ثم تحدث ببيان ووضوح عن خصائص هذه العقيدة وهي: الربانية. الثبات. الشمول. التوازن. الإيجابية. الواقعية. التوحيد.

٢٤ ـ الإسلام ومشكلات الحضارة:

الحضارة المادية الغربية التي تسلمت قيادة البشرية في القرن

العشرين حضارة بشـــرية جاهلية، يقودها الشيطان وجنوده من الإنس والجن، يقودون البشـــرية إلـــى الهاويـــة، ويدغدغون لهـــا عواطفها وشـــهواتها ونزواتها، وهي تســـير معهم كالقطيع، الذي لا يدري أين يذهب به صاحبـــه، وقد أنتجـــت هذه القيـــادة الجاهلية الشـــيطانية للحضارة مشكلات إنسانية، أوقعت فيها البشـــرية، وصار المفكرون والمصلحون يتخبطون في حل هذه المشـــكلات الحضارية، وفشلوا في إيجاد الحلول الناجعة.

وســـيد قطب الذي عرف هذه الحضارة عن كثب، وعايشـــها قرابة أربعين عاماً، وتحسس مشـــكلاتها القاتلة، ورأى جهود المصلحين في حلها كأنها عبث أطفال، وهو من جهة ثانية تعرَّف إلى الإســـلام، الدين الإلهي الخالـــد، الذي حفظه الله من التحريف، وجعل إصلاح البشـــرية مقصوراً عليه، ســـيد قطب عرف هذا الإسلام، وعرف دوره في إصلاح البشرية، والآمال التي تعلقها عليه.

ألّف كتابه (الإســـلام ومشـــكلات الحضارة) ليعطي البشرية العلاج الناجع ويُعَرِّفها على الدواء الشـــافي، ويدعوها إلـــى الإقبال على هذا الإســـلام، لتحل كافة مشـــكلاتها التي أحدثتها حضارتها المادية، التي أوجدتها القيادة الجاهلية الشيطانية.

وكان في كتابه يُشخص المشكلة، ويُبين سماتها وآثارها، ويستشهد لها بكلام مفكري الحضارة وعلمائها، ثم بعد هذا يصف الدواء، ويبين الحل الإسلامي لهذه المشكلة، وهو يشخص المشكلة بأسلوب الخبير، ويقدم الحل الإسلامي بطريقة العالم المفكر.

٢٥ ـ معالم في الطريق:

وهو آخر مؤلفاته المطبوعة، إذ سيق سيد قطب وإخوانه إلى السجن بعد ظهـور الكتاب بفترة قصيـرة، وهو الذي عجّل فـي إصدار حكم الإعدام على صاحبه، وجعلـه الطغاة من بين حيثيات الحكم، بل كانوا يسألون المعتقلين في التحقيق عن قراءتهم للكتاب.

وقد كتبه سـيد قطب بأسـلوب ثوري عنيف، مدعم بالبراهين، وكان أسلوبه فيه يتميز عن أسلوبه في باقي كتبه.

طبيعة الكتاب ومهمته:

بيّن فـي مقدمة الكتـاب أنه لا بد مـن طليعة مؤمنة تقـوم بالبعث الإسـلامي، وتعزم على السـير في الطريق، لتعيد القيـادة الإيمانية إلى البشرية، وأن الطريق أمامها مليء بالأشواك، لأن القيادة الجاهلية الشيطانية لن تُسلم قيادتها لها بسـهولة، بل تحاربها بكل مؤسسـاتها وإمكانياتها، ولكن العاقبة لهذه الطليعة إن هي صبرت. ورسـم لهـذه الطليعة معالم طريقهـا، التي لا بد أن تقام مـن القرآن الكريم «لهـذه الطليعة المرجوة المرتقبة كتبـت ـ معالم في الطريق ـ، منها أربعة فصول مسـتخرجة من كتاب ـ فـي ظلال القـرآن ـ (وهي طبيعـة المنهج القرآنـي) و(التصور الإسـلامي والثقافة) و(الجهاد في سـبيل الله) و(نشـأة المجتمع المسلم وخصائصه) مع تعديلات وإضافات مناسبة لموضوع كتاب المعالم، ومنها ثمانية فصول ـ غير هذه المقدمة ـ مكتوبة في فترات، حسـبما أوحت به اللفتات المتوالية إلى المنهج الرباني الممثل في القرآن الكريم»[1].

---

(١) معالم في الطريق: ١١ ـ ١٢ دار دمشق.

فكتابه هذا كتابٌ فـي العقيدة والفكر، والبنـاء والتنظيم، لم يؤلفه للثقافة فقط، وإنما ليصـوغ العاملون أفكارهم علـى ضوئه، وليجعلوه رائداً لهم فـي مسـيرتهم، وليقيموا البنـاء والتنظيم علـى هدى منه، وليهتدوا به في طريقهم اللاحب الطويل.

الكتاب وصية سيد قطب للدعاة:

والكتاب كله بلاغ للناس جميعاً، ووصية من سـيد قطب للعاملين من بعده، وهـو يغادر هذه الحياة الدنيا، والفصـل الأخير منه (هذا هو الطريق) تحدث فيه عن قصة أصحاب الأخدود، التي وردت إشارة لها في سـورة البروج، وما توحيه هذه القصة للعاملين بشكل عام، وطلائع البعث الإسـلامي بشـكل خاص، يتجلى في هذا الفصل وصية الرائد القائد لجنوده، وهو ذاهب إلى ربه.

يقول: (لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسـرون هم أنفسـهم؟ وكم كانت البشـرية كلها تخسـر؟ كم كانوا يخسـرون، وهم يقتلون هذا المعنى الكبير، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشـاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح، بعد سيطرتهم على الأجساد)[1].

ويبين ما توحيه خاتمتهم في الأخدود قائـلاً: «لم يكن بد من هذا النموذج، الـذي لا ينجو فيه المؤمنون، ولا يؤخـذ فيه الكافرون: ذلك ليسـتقر في حس المؤمنين ـ أصحاب دعـوة الله ـ أنهم قد يُدعون إلى نهاية كهذه النهاية، في طريقهم إلى الله، وأن ليس لهم من الأمر شـيء،

---

(١) معالم في الطريق: ٢٣٥ ـ ٢٣٦، دار دمشق.

إنما أمرهم وأمر العقيدة إلى الله، إن عليهم أن يؤدوا واجبهم، ثم يذهبوا.. وواجبهم أن يختاروا الله، وأن يُؤْثِروا العقيدة على الحياة، وأن يستعلوا بالإيمان على الفتنة، وأن يصدقوا الله في العمل والنية..

ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم كما يفعل بدينه ودعوته ما يشاء[1].

بهذه الكلمات ختم سيد قطب كتابه، وبهذا الكتاب ختم سيد قطب حياته في هذه الدنيا الفانية، وغادرها إلى ربه، يحمل معه أسمى وسام، وسام الشهادة، غادر الدنيا وإخوانه وتلاميذه ومريدوه في أمس الحاجة إليه، في حاجة له أكثر من حاجتهم له في أي وقت مضى، مضى إلى ربه تاركاً وراءه ـ فيما ترك ـ عدداً من البحوث والدراسات القرآنية والتربوية والحركية الناضجة، التي ماتت بمغادرته، لأنه لن يُظهرها إلا سيد قطب فقط، الذي تميز عن غيره من العاملين بمميزات كثيرة أهلته ـ هو وحده ـ للقيام بهذه المهمة، وإعداد تلك الدراسات!!

نهاية مسيرة سيد قطب العالمية الناضجة:

لقد وصل سيد قطب ـ بتوفيق الله ـ بعد جهد موصول واطلاع بصير، وتجربة عميقة، أكثر من أربعين عاماً من عمره، وعرف كيف يستفيد منها بموهبته، فهو لم يكد يراهق حتى بدأ حياته الأدبية في جد واحتفال، وكان الاطلاع عمله الأول، وراح ينتج بحوثاً أدبية، تجلى فيها الخصب والنماء.

ثم سار في طريقه الإسلامي، وقطع فيه خطوات قصيرة في العد، إذ لا تزيد هذه الحياة على عشرين عاماً، ولكنها ثقيلة في الميزان، مباركة

---

(١) المرجع السابق: ٢٤٢.

في العطاء، صادقة في النية والاتجاه، وقد أوصلته هذه الطريق المباركة إلى شجرة المعرفة، فاستروح بنسيمها، وعاش فترة سعيدة في ظلالها، فترة أطالت عمره وباركته وزكته، وصار كلما أراد أن يتحف العاملين والمجاهدين بتحفة جديدة، يهز هذه الشجرة هزاً رفيقاً فتتساقط ثمارها الناضجة في يسر ورخاء، فيقدم هذه الثمار زاداً لهم.

ويتجلى هذا في كتبه الإسلامية التي قدمها، فعندما ظهر كتابه الأول (التصوير الفني في القرآن) قال العارفون: هذا هو كتاب سيد قطب! وعندما ظهر كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) قالوا: لا بل هذا هو كتاب سيد قطب، وعندما ظهر كتابه (خصائص التصور الإسلامي) قالوا: لا بل هذا هو، وعندما ظهر (في ظلال القرآن) قالوا: هذا هو الكتاب. وأخيراً عندما ظهر كتاب (معالم في الطريق) قالوا: هذا هو كتاب سيد قطب، ولو لم يكن له غيره لكفاه.

وأعتقد أنه لو قدر الله ـ جلا وعلا ـ لكتبه الإسلامية الحركية الأخرى بالظهور بعد (المعالم) لغطَّت على ما سبقها، فالشجرة عنده متهيئة للعطاء، خاصة في آخر أيامه، ما يكاد يلمسها لمسة رقيقة حتى تعطي الجنى الشهي في رفق ولين.

هذه هي الكتب الخمسة والعشرون، التي طبعها سيد قطب في حياته.

حقيقة كتيبات حملت اسمه بعد استشهاده:

أحب أن أبيّن ـ فيما يلي ـ حقيقة كتب ظهرت بعد استشهاده، وأوحت إلى القراء أنها ألّفها سيد قطب، وقدمها إلى المطبعة بهذا الشكل الذي ظهرت فيه، مع أن الأمر ليس كذلك!!

١ ـ أفراح الروح:

مجموعة من الخواطر والأفكار، خطرت في ذهن سيد قطب وهو في أمريكا، في الفترة ما بين عامي ١٩٤٩م و١٩٥٠م، سجلها في رسائل خاصة إلى أخيه وأختيه وأصدقائه، في مصر وسائر البلاد العربية، وفي إنجلترا وفرنسا كذلك[١]. ويتحدث عن شعوره أثناء كتابتها قائلًا: «وكنت أجدني أقرب إلى حقيقتي وأنا أكتبه، إلى حد أن أعيش هذه الأفكار والخواطر، وأترجمها شعوراً وسلوكاً، لحظة بعد لحظة، ويوماً بعد يوم، وكنت أجد من الصفاء الروحي والرضا النفسيِّ بسبب عيشتي لهذه الأفكار، ما يملأ حياتي غبطة، أن لا أجد ما يخجلني أمام نفسي من عزلة بين ما أقوله للناس، وما أزاوله في الحياة، وكنت من الفرح بهذا التوافق، إلى حد أن أحفظ ـ أنا الذي لا أحفظ له ـ فقرات كاملة من هذه الرسائل الخاصة، لكثرة استعادة ألفاظها وأنا أستشعر مدلولاتها»[٢].

ثم خطر له أن هذه الرسائل الخاصة تصلح للنشر لأنها قصة واقع حي، فجمع طائفة منها وأرسلها إلى عادل الغضبان رئيس تحرير مجلة الكتاب، التي كان يكتب فيها سيد قبل ذهابه إلى أمريكا، وكان الغضبان يراسل سيد، ويستحثه أن يكتب شيئاً لمجلته، ولكن الغضبان لم ينشر هذه الرسائل، واحتفظ بها إلى حين عودة سيد قطب من أمريكا، وسلمه إياها في أول لقائه به[٣].

---

(١) الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ـ أبريل ١٩٥١م صفحة: ٣٩٠ وقد أخطأ من زعم أنها رسالة لأخته أمينة قطب فقط.

(٢) الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ـ أبريل ١٩٥١م صفحة: ٣٩١.

(٣) المرجع السابق: ٣٩٣.

احتفظ سيد قطب بهذه الرسائل، ولم يشأ أن يطبعها في كتاب مستقل، وعندما بدأت محنته الأولى حصلت مجلة (الفكر) التونسية على هذه الرسائل، فنشرتها تحت عنوان (أضواء من بعيد)[١].

وبعد إعدام سيد قطب عام ١٩٦٦م، جمعت (الدار العلمية) في بيروت هذه الرسائل المنشورة في مجلة (الفكر) ونشرتها تحت عنوان (أفراح الروح) وصدر الكتيب عام ١٩٧١م، في ثلاثين صفحة من القطع الصغير.

٢ ـ نحو مجتمع إسلامي:

عندما صدرت مجلة (المسلمون) عام ١٩٥١م في القاهرة، اتفق سعيد رمضان مع سيد قطب على أن يشترك في تحريرها، بمقالة دائمة، فكتب سبع حلقات في سلسلة (في ظلال القرآن) ثم تعاقد مع دار إحياء الكتب العربية بمصر، على أن تنشر له (الظلال) في أجزاء متتابعة.

وبعد أن توقف عن كتابه الظلال في مجلة المسلمون، كتب فيها خمس مقالات في زاوية جديدة أسماها (نحو مجتمع إسلامي) والمقالات هي (المستقبل للإسلام) و(كيف نستوحي الإسلام) و(طبيعة المجتمع الإسلامي) و(مجتمع عالمي) و(نظام رباني). وقد نشرها في الأعداد العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من المجلة[٢].

---

(١) وهو نفسه عنوان مقالة نشرها في (الكتاب) المجلد التاسع ـ الجزء الثاني ـ فبراير ١٩٥٠م صفحات ١٤٣ ـ ١٤٥. وقد نشرتها مجلة (الفكر) التونسية في العدد السادس من السنة الرابعة مارس ١٩٥٩م.

(٢) أنظر (المسلمون) هذه الأعداد، في المجلدين الأول والثاني.

ثم توقف عن الكتابة تحت هذه الزاوية.

وقد سبق أن أعلن عن بحث له تحت عنوان (نحو مجتمع إسلامي) قبل أن يكتب في (المسلمون) هذه الحلقات، وكان المراقبون يرتقبون هذا البحث في شوق ولهفة، ولكنه كان يعيد النظر في بحثه دائماً، على ضوء ما استفاده من دراساته وبحوثه ونظراته المتكررة الفاحصة في القرآن.

وعندما أصدر كتابه (الإسلام ومشكلات الحضارة) عام ١٩٦٢م، أشار في فصل (طريق الخلاص) إلى هذا البحث بقوله (وفي حدود جهدي الخاص: لقد أعددتُ لهذا (ملامح المجتمع الإسلامي وخصائصه) بحثاً ضخماً مفصلاً تحت عنوان (نحو مجتمع إسلامي)[1].

وتصريحُ سيد هنا بأن بحثه ضخم مفصل يدل على أن البحث كبير الحجم، وقد قضى أكثر من أربعة عشر عاماً وهو يعد هذا البحث، مما يدل على أنه بذل فيه جهداً كبيراً، وأولاه عناية خاصة.

ثم استشهد سيد قطب، وتسابقت المكتبات إلى نشر كتبه، والاتجار بها، وصورت عنها عدة طبعات.

وفي عام ١٩٦٩م، نشرت (مكتبة الأقصى) في عمان، كتاباً تحت عنوان (نحو مجتمع إسلامي) لسيد قطب، وأقبل الجميع على الكتاب، وهم يظنون أنه هو نفس البحث الذي أعلن عنه سيد قطب، البحث الضخم المفصل، وفوجئوا به إذ رأوه على هذه الصورة، والحقيقة أن مكتبة الأقصى جمعت المقالات الخمس المنشورة في المسلمون، ونشرتها تحت هذا العنوان، وكان عليها أن تشير إلى أصل الكتاب الذي نشرته ـ حتى لا يقع اللبس، ولا تضيع الحقيقة العلمية!!

---

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة: ١٨٥.

٣ ـ في التاريخ فكرة ومنهاج:

نشر سيد قطب مقالتين تحت هذا العنوان في مجلة (المسلمون) في العددين الأول والثاني[١].

وبعد استشهاد سيد قطب، وتسابق المكتبات إلى المتاجرة بكتبه، نشرت الدار السعودية للطباعة والتوزيع بجدة، هاتين المقالتين في كتيب أسمته بهذا الاسم (في التاريخ فكرة ومنهاج) وأضافت إليهما مقالتين أخريين، عن التصور الإسلامي للأدب، لا أدري أين نشرهما، فتوهم الناس أن هذا الكتاب ألّفه سيد قطب في حياته.

٤ ـ معركتنا مع اليهود:

مجموعة مقالات كتبها سيد قطب في مجلة (الدعوة) المصرية في أوائل الخمسينيات، وقسم منها اقتطع من (في ظلال القرآن) و(إلى المتثاقلين عن الجهاد)، وقد جمع هذه المقالات زين العابدين الركابي، وقدَّم لها بمقدمة جيدة، بيَّنَ فيها جوانب من عظمة سيد قطب، ونشرتها لأول مرة (الدار السعودية للنشر والتوزيع) بجدة.

وقد أحسن الجامع ـ زين العابدين الركابي ـ صنعاً، عندما كان يشير في الحاشية، عند أول كل مقالة إلى المجلة التي نُشرت فيها، وكان من المستحسن أن يشير ـ بالإضافة إلى إشاراته تلك ـ في أول الكتاب إلى أصله حتى يعرف القارئ حقيقته لأول وهلة!!

---

(١) المسلمون ـ المجلد الأول ـ العدد الأول ـ سبتمبر ١٩٥١م: ٥٨ ـ ٦٢ والعدد الثاني أكتوبر ١٩٥١، صفحة ٥٥ ـ ٦٠.

٥ ـ تفسير سورة الشورى:

اقتطعت (الدار السعودية) تفسير سورة الشورى من كتاب (في ظلال القرآن)، ونشرتها في كتاب مستقل، وظن البعض أن سيد قطب خصّ تفسير هذه السورة بكتاب مستقل، زيادة على تفسيره لها في (الظلال)، ولا أدري لماذا أخذ هذا القسم من التفسير؟ ولماذا سورة الشورى بالذات؟ وماذا يميز تفسيره لها عن تفسيره لباقي السور؟ لا سبب لهذا إلا الرغبة في تحقيق الكسب المادي عن أي طريق كان!!

٦ ـ تفسير آيات الربا:

وقصة هذا الكتاب هي قصة سابقه (تفسير سورة الشورى) اختارته (الدار السعودية) من (الظلال) ونشرته في كتاب خاص، لا لهدف سوى التجارة والربح!

٧ ـ قصة الدعوة.

٨ ـ إسلام أو لاإسلام.

٩ ـ إلى المتثاقلين عن الجهاد.

١٠ ـ رسالة الصلاة.

كتيبات أربع، اختارها الناشرون من (في ظلال القرآن)، ونشروها على الملأ، وظن الناس أن هذه كتابات جديدة لسيد قطب، فأقبلوا عليها بشغف ولهفة، واستفاد الناشرون منها ربحاً حراماً، ودخلاً غير مشروع، لأنه تحايل وسرقة، وغش وتزوير.

وإذا لم يتم وضع حد لعبث العابثين واستغلال المستغلين، وجشع الطامعين، فكم سنرى كتباً جديدة، تنزل الأسواق تحملْ عناوين جديدة،

للمؤلف الشـهيد سـيد قطب، وإذا أجاز بعض الناشـرين لأنفسهم أن يقتطعوا ملازم من (الظلال)، يقدمونها إلى المطابع! فكم سـنرى كتباً جديدة له؟

إن سيد قطب الرجل الرائد المجاهد، الذي مات في سبيل ما يؤمن به، مات في سبيل كتبه وبحوثه الحقة، ولم يؤلفها، ليستغلها المستغلون من بعـده، ويتاجروا بها، ويكسـبوا آلاف الجنيهات منهـا، ويثروا من ورائها، الثراء الفاحش الحـرام، وأمر عجيب أن يموت مؤلف من أجل كتبه، وأن يتعيش مرتزقة عليها، ويتاجروا بها باسم الإسلام!

إنني أدعو إلى إخراج تراث سيد قطب المطمور في بطون المجلات في المكتبات، أدعو إلى إخراجه وتصنيفه وتبويبه ونشـره، ولكن على أن يُشار على غلاف الكتاب أو في مقدمته إلى أصل الكتاب وحقيقته، وأدعو إلى إجراء دراسـات عديدة عن سـيد قطب، تشمل مختلف ما أنتجه، وتتعرض لكافة المجـالات التي أنتج فيها، وتعرف على مواهبه الفذة العديدة، وشتان بين دراسـة وثائقية علمية جادة، تهدف إلى نشر الحقيقة، وبين تجارة مادية، لا ترعى عهداً، ولا تُظهر حقاً!!

* * *

المبحث الثالث
بحوث لم تنشر

رزق الله سيد قطب ـ فيما رزقه إياه ـ موهبة فذة في اختيار البحوث وتصنيفها، كما رزقه نظرة فنية في تبويبها، وتمتَّع بهمة عالية، وجلد دائب، وصبر عجيب، وتوفُّر كامل على البحث، والسير فيه، واستيفاء جوانبه، وتقصي حاجاته، حتّى إتمامه أو مقاربة إتمامه.

والعجيب في سيد قطب ـ فوق هذا كله ـ أنه لم يكن يرضى عن بحوثه ويركن إليها، ويعتمد عليها، فما يكاد يقطع مرحلة طويلة من البحث، ويقارب على نهايته، حتى يتولد في ذهنه بحث جديد، يراه أولى من البحث السابق، فيترك الذي بين يديه، ويبدأ سيراً جديداً مع بحث جديد، وهكذا.

والذي يدرس آثار سيد قطب، وبخاصة مقالاته في الصحف والمجلات، يطلع على عدد من البحوث كان ينوي تأليفها، ويشير إليها في هذه المقالات، ولكنه كان يتخلى عنها في آخر لحظة، وإن هذه البحوث على اختلاف أنواعها لو أكملها ونشرها لأضافت الجديد المفيد إلى عالم الأدب والنقد والشعر والقصة والفكر الإسلامي.

والبحوث التي اطلعت على إشارته لها، والتي لم يُقَدَّرْ لها أن ترى النور هي:

١ ـ مهمة الشاعر في الحياة:

بحث ضخم كان ينوي تأليفه، واعتبر الكتاب المطبوع بهذا العنوان مقدمة لذلك البحث[١].

---

(١) مهمة الشاعر في الحياة: ٧.

٢ ـ دراسة عن شوقي:

كان ينــوي إعداد هذه الدراســة الشــاملة عن أمير الشــعراء أحمد شوقي، ويســتوفي كل قصائده وأشــعاره، لتكون النتائج التي يصدرها صادقة، وبعد خبرة ومعرفة واطلاع[١].

٣ ـ المراهقة: أخطارها وعلاجها:

كتاب في التربية، ومعالجة مشكلات الشــباب، قال عنه: «أنا على وشــك إخراج كتاب في التربية عن ـ المراهقة أخطارها وعلاجها[٢] ـ» مما يدل على أنه كان جاهزاً بين يديه.

٤ ـ المرأة لغز بسيط:

عني بدراسته مدة عشر سنوات، ونشر خلاصة له في مجلة الأسبوع[٣].

٥ ـ المرأة في قصص توفيق الحكيم:

وعد أن يكتب هذا البحث، ونشر هذا الوعد في مجلة الأسبوع[٤].

٦ ـ أصداء الزمن:

ديوان شــعر له، وهو الثاني بعد (الشــاطئ المجهول) الذي صدر فعلاً. وكان قد قدمه إلى المطبعة ووعد أن يصدر في عام ١٩٣٧م ولكن عدل عنه في آخر لحظة[٥].

---

(١) المرجع السابق: ١١.

(٢) الأسبوع ـ السنة الأولى ـ عدد: ٢٦ تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤م صفحة: ١٤.

(٣) الأسبوع ـ المجلد الرابع ـ عدد: ٤٥ تاريخ ٣ أكتوبر ١٩٣٤م صفحة: ٩.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مجلة دار العلوم ـ السنة الرابعة ـ العدد الثاني أكتوبر ١٩٣٧م صفحة: ١٤٤.

٧ ـ الكأس المسمومة:

ديوان الشعر الثالث له، أعلن عنه أنه تحت الطبع[١].

٨ ـ قافلة الرقيق:

الديوان الرابع، وأعلن عنه أنه تحت الطبع[٢].

٩ ـ حلم الفجر:

الديوان الخامس، وحل به ما حل بالدواوين السابقة[٣].

١٠ ـ القطط الضالة:

قصة مصورة له، أعلن عنها أنها تحت الطبع[٤].

١١ ـ من أعماق الوادي:

قصة أخرى أُعلن عنها أنها قيد التحرير[٥].

١٢ ـ المذاهب الفنية المعاصرة:

بحث نقدي من سلسلة بحوثه النقدية، أعلن أنه تحت الطبع[٦]. وقد أشار إليه في موطن آخر باسم (المدارس الأدبية المعاصرة)[٧].

---

(١) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) طبعة دار الكتب العربية بدمشق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) قائمة كتبه المنشورة في (معركة الإسلام والرأسمالية) الطبعة الثانية ١٩٥٢م نشر دار الإخوان للصحافة.

(٤) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات).

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني عدد ٥٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م صفحة ٨٨.

١٣ ـ الصور والظلال في الشعر العربي:

بحث آخر من سلسلة بحوثه النقدية[١].

١٤ ـ القصة في الأدب العربي:

بحث نقدي آخر له أعلن أنه قيد البحث[٢].

١٥ ـ شعراء الشباب:

أشار إليه في موطن آخر باسم (الشعر المعاصر) وهو من سلسلة بحوثه النقدية[٣].

١٦ ـ القصة الحديثة:

بحث آخر من سلسلة بحوثه النقدية[٤].

والبحوث الخمسة الأخيرة بحوث نقدية، وقد سلك طريقاً عجيباً في تحرير البحثين الأخيرين منها (شعراء الشباب) و(القصة الحديثة)، حيث كتب إعلاناً في مجلة الرسالة، وجهه إلى الأدباء العرب في العالم العربي، رجاهم فيه أن يرسلوا له كل نتاجهم الأدبي من الشعر والقصة، ليستكمل البحثين ويستقصي جوانبهما[٥].

---

(١) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق: وانظر الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني عدد ٦٩٨ تاريخ ١٨ نوفمبر ٤٦ صفحة ١٢٨٧.

(٤) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات).

(٥) انظر مبحث «سيد قطب الباحث» من هذا الكتاب.

١٧ ـ عرابي المفترى عليه:

بحث أعده لدراسة شخصية أحمد عرابي، وترجمة حياته، ورد المفتريات عنه[١].

١٨ ـ الشريف الرضي:

أعده لداسة الشريف الرضي وترجمة حياته، وبيان دوره في الأدب العربي[٢].

١٩ ـ لحظات مع الخالدين:

لم نعرف من هؤلاء الذين سيتركنا نعيش معهم لحظات، لكن نجزم أنه كان من بينهم الشاعر محمد إقبال[٣].

٢٠ ـ أمريكا التي رأيت:

بحث سجل فيه دراسته العميقة الفاحصة للحياة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، وكان من المتوقع أن يثير ضجة لو صدر، وكان سيد قطب راغباً في إصداره، إلا أنه عندما اعتقل عام ١٩٥٤م عهد بمسودة البحث المخطوطة إلى أحد معارفه، ليخفيه ريثما تستقر الأحداث وتنتهي الأزمة، وطلب منه الاحتفاظ به، لكن هذا الأخير لم تكن عنده الشجاعة الكافية، فلم يتمكن من الاحتفاظ بالأمانة، إذ عندما اشتدت وطأة الاعتقالات ضد الإخوان المسلمين، خاف الرجل

---

(١) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات).

(٢) المرجع السابق.

(٣) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي: ١٥٣ وقائمة (معركة الإسلام والرأسمالية) الطبعة الثانية ١٩٥٢م نشر دار الإخوان.

على نفســه، فأحرق البحث، وبهذا حرم الناس مــن بحث من أعمق بحوث سيد قطب[١].

وقد نشر سيد قطب في الرســالة ثلاث حلقات مختصرة من هذا البحث، بلغت صفحاتها خمس عشرة صفحة، تحدث فيها عن أمريكا وحضارتها ونشوئها وبدائية الشــعب الأمريكي في كل شيء، بدائيته في تفكيــره وعاداته وأذواقه وأعرافه، وكشــف الكثيــر من خلفيات الحياة هناك[٢].

٢١ ـ القصة بين التوراة والقرآن.

٢٢ ـ النماذج الإنسانية في القرآن.

٢٣ ـ المنطق الوجداني في القرآن.

٢٤ ـ الأساليب الفنية في القرآن[٣].

أشــار إلى هذه الأربعة فــي نهاية كتابه (كتب وشــخصيات)، وفي مقدمته لكتاب (مشــاهد القيامة في القرآن)[٤] ويبــدو أنه تعرض لهذه البحوث عندما ألّف موســوعته القرآنية (في ظلال القرآن) بالقدر الذي تسمح به طبيعة (الظلال) وعلى ضوء اهتماماته الإسلامية العديدة.

وعندما طبع الجزء الثالث عشــر من (الظلال) الطبعة المنقحة عام ١٩٦٤، أثبت في نهايته قائمة بالكتب المعتمدة لديه. وأشار إلى بحوث أخرى تحت عنوان (كتب تالية بإذن الله) وهي:

(١) أخبرني بهذه الحقيقة الأستاذ محمد قطب.

(٢) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني. أعداد: ٩٥٧، ٩٥٩، ٩٦١.

(٣) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) طبعة دار الكتب العربية بدمشق.

(٤) مشاهد القيامة في القرآن: ٧.

٢٥ ـ معالم في الطريق: (المجموعة الثانية).

٢٦ ـ في ظلال السيرة.

وأشـــار إليه في (الظلال) أثناء حديثه عن الثلاثــة الذين خلفوا عن غزوة تبوك[١].

٢٧ ـ في موكب الإيمان.

٢٨ ـ مقومات التصور الإسلامي.

وهو القسم الثاني المتمم للخصائص وقد علمنا أن قسماً كبيراً من البحث لم يتلف، أنه تحت الطبع الآن[٢].

٢٩ ـ أوليات في هذا الدين.

٣٠ ـ هذا القرآن.

٣١ ـ تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر:

وقد أشار إليه في (الظلال) عند تفسيره لسورة هود[٣].

٣٢ ـ نحو مجتمع إسلامي:

وقد أشار إليه عدة مرات في كتبه[٤].

* * *

(١) في ظلال القرآن ١٧٣٢/٣.

(٢) أشار إلى هذا محمد قطب.

(٣) في ظلال القرآن ١٨٨٥/٤.

(٤) منها كتاب (الإسلام ومشكلات الحضارة): ١٨٥.

ثبت المراجع

١ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر:

الدكتور محمد محمد حسين. دار النهضة العربية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٢م.

٢ ـ الإخوان المسلمون والمجتمع المصري:

محمد شوقي زكي. بدون إشارة إلى تاريخ أو مكان الطبع.

٣ ـ الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة

الدكتور إسحق موسى الحسيني. دار بيروت. الطبعة الأولى ١٩٥٢م.

٤ ـ الإخوان المسلمون في حرب فلسطين:

كامل إسماعيل الشريف. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٥١م.

٥ ـ الإسلام ومشكلات الحضارة:

سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.

٦ ـ الأطياف الأربعة:

سيد قطب بالاشتراك مع إخوته. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

٧ ـ أفراح الروح:

سيد قطب. الدار العلمية. بيروت.

٨ ـ أيام من حياتي:
زينب الغزالي. دار الشروق. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٩ ـ التصوير الفني في القرآن:
سيد قطب. دار الشروق. بلا تاريخ

١٠ ـ الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي:
عبد الرحمن الرافعي. مكتبة النهضة العربية. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٤٩م.

١١ ـ جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث:
عبد العزيز الدسوقي. الهيئة المصرية العامة للتأليف. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٧١م.

١٢ ـ الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر:
الدكتور محمد فؤاد شكري. دار الفكر العربي. القاهرة. بلا تاريخ.

١٣ ـ الخطط المقريزية ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ.
أحمد بن علي المقريزي، دار العرفان. بيروت. بدون تاريخ.

١٤ ـ دراسات إسلامية:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.

١٥ ـ سخريات صغيرة:
محمد قطب. لجنة النشر للجامعيين. مصر. الطبعة الأولى ١٩٤٧م.

١٦ ـ سيد قطب. خلاصة حياته ومنهجه في الحركة. والنقد الموجه إليه
محمد توفيق بركات. دار الدعوة. بيروت. بدون تاريخ.

١٧ ـ سيد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي:
محمد علي قطب. دار الحديث. بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

١٨ ـ الشهيد سيد قطب:
بقلم طائفة من الكتاب. نشـر جماعة أصدقاء الشـهيد سيد قطب. بدون تاريخ.

١٩ ـ طفل من القرية:
سيد قطب. الدار السعودية للنشر. جدة. بدون تاريخ.

٢٠ ـ عصر محمد علي:
عبد الرحمن الرافعي. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية ١٩٥١م.

٢١ ـ على المحك:
مارون عبود. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٤٦م.

٢٢ ـ فقه الدعوة. موضوعات في الدعوة والحركة:
أحمد حسن. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

٢٣ ـ الفكر الإسلامي المعاصر. دارسة وتقويم:
غازي التوبة. الطبعة الأولى. ١٩٦٩م.

٢٤ ـ في تيار الحياة:
أمينة قطب. دار مصر للطباعة. القاهرة. بدون تاريخ.

٢٥ ـ في ظلال القرآن:
سيد قطب. طبعة دار الشروق في ستة مجلدات كبار.

٢٦ ـ في الأدب الحديث:
عمر الدسوقي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة السابعة ١٩٦٦م.

٢٧ ـ كتب وشخصيات:
سيد قطب. دار الكتب العربية. بيروت. بدون تاريخ.

٢٨ ـ لعبة الأمم:
مايلز كوبلاد. تعريب مروان خير. دار الفتح. بيروت. بدون تاريخ.
٢٩ ـ لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا:
عبد المتعال الجبري. دار الاعتصام. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
٣٠ ـ محمد فريد:
عبد الرحمن الرافعي. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية ١٩٤٨م.
٣١ ـ مذابح الإخوان في سجون ناصر:
جابر رزق. دار الاعتصام. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
٣٢ ـ مذكرات السلطان عبد الحميد:
ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد حرب عبد الحميد. دار الأنصار. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
٣٣ ـ مذكرات سائح في الشرق العربي:
أبو الحسن الندوي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
٣٤ ـ المدنية المسحورة:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
٣٥ ـ مشاهد القيامة في القران:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
٣٦ ـ مصر والمسألة المصرية:
الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى. دار المعارف بمصر بدون تاريخ.
٣٧ ـ مصطفى كامل:
عبد الرحمن الرافعي، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٠م.

٣٨ ـ مع سيد قطب في فكره السياسي والديني:
الدكتور مهدي فضل الله. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٣٩ ـ معركة الإسلام والرأسمالية:
سيد قطب. الدار العربية للنشر ـ جدة ـ بدون تاريخ.

٤٠ ـ معالم في الطريق:
سيد قطب. دار دمشق. بدون تاريخ.

٤١ ـ من الشعر الإسلامي:
من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت. رقم (٣).

٤٢ ـ منهج الفن الإسلامي:
محمد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.

٤٣ ـ مهمة الشاعر في الحياة:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.

٤٤ ـ الناصرية في قفص الاتهام:
عبد المتعال الجبري. دار الاعتصام. الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٤٥ ـ النقد الأدبي، أصوله ومناهجه:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.

٤٦ ـ نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر:
سيد قطب. الدار السعودية للنشر ـ جدة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

* * *

الدوريات

أكتفي بذكر أســماء الدوريات التي رجعتُ إليها، أما ســنة الدورية ومجلدها، ورقم عددها وتاريخه، فقد ســجلته في حواشــي الصفحات عند الإشارة إليها:

١ ـ الأسبوع.

٢ ـ الاعتصام.

٣ ـ البلاغ الأسبوعي.

٤ ـ الثقافة.

٥ ـ الدعوة.

٦ ـ الرسالة.

٧ ـ الشهاب.

٨ ـ كلمة الحق.

٩ ـ الكتاب.

١٠ ـ الكاتب المصري.

١١ ـ العالم العربي.

١٢ ـ دار العلوم.

١٣ ـ المجتمع.

١٤ ـ المسلمون.

١٥ ـ المقتطف.

* * *

كتب صدرت للمؤلف
مرتبة وفق صدورها:

١ ـ سيد قطب الشهيد الحي.
٢ ـ نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.
٣ ـ أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.
٤ ـ المدخل إلى «في ظلال القرآن».
٥ ـ المنهج الحركي في ظلال القرآن.
٦ ـ في ظلال القرآن في الميزان.
٧ ـ مفاتيح للتعامل مع القرآن.
٨ ـ في ظلال الإيمان.
٩ ـ الشخصية اليهودية من خلال القرآن.
١٠ ـ تصويبات في فهم بعض الآيات.
١١ ـ مع قصص السابقين في القرآن.
١٢ ـ البيان في إعجاز القرآن.

١٣ ـ ثوابت للمسلم المعاصر.

١٤ ـ إسرائيليات معاصرة.

١٥ ـ سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.

١٦ ـ لطائف قرآنية.

١٧ ـ هذا القرآن.

١٨ ـ حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.

١٩ ـ الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.

٢٠ ـ التفسير والتأويل في القرآن.

٢١ ـ الأتباع والمتبوعون في القرآن.

٢٢ ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.

٢٣ ـ الخطة البراقة لذي النفس التواقة.

٢٤ ـ تفسير الطبري تقريب وتهذيب: ١ ـ ٧.

٢٥ ـ الرسول المبلغ ﷺ.

٢٦ ـ القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث: ١ ـ ٤.

٢٧ ـ تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس.

٢٨ ـ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.

٢٩ ـ القبسات السُنيَّة من شرح العقيدة الطحاوية.

٣٠ ـ سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد.

٣١ ـ صور من جهاد الصحابة.

٣٢ ـ إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني.

٣٣ ـ مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.

٣٤ ـ سعد بن أبي وقاص: المجاهد الفاتح.

٣٥ ـ الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب.

٣٦ ـ سيرة آدم عليه السلام: دراسة تحليلية.

٣٧ ـ بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني.

٣٨ ـ عتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه.

٣٩ ـ وعود القرآن بالتمكين للإسلام.

٤٠ ـ حديث القرآن عن التوراة.

٤١ ـ جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.

٤٢ ـ سفر التكوين في ميزان القرآن.

٤٣ ـ الانتصار للقرآن أمام متنبئ الأمريكان.

٤٤ ـ الأعلام الأعجمية في القرآن: تحليل وتوجيه.

٤٥ ـ الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية.

٤٦ ـ القرآن ونقض مطاعن الرهبان.

٤٧ ـ وقفات مع هذه الآيات.

٤٨ ـ تفسير ابن كثير تهذيب وترتيب: ١ ـ ٦.

٤٩ ـ بصائر.

٥٠ ـ الوجيز في الثقافة الإسلامية: بالاشتراك.

٥١ ـ التفسير المنهجي: بالاشتراك.

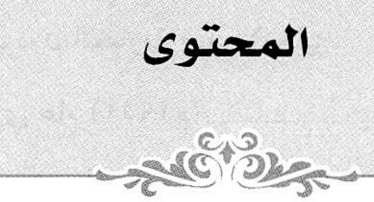
٥٢ ـ تفسير سورة التوبة: بالاشتراك.

٥٣ ـ المدخل العام إلى تفسير آيات الأحكام.

٥٤ ـ التفسير اللغوي الاشتقاقي للقرآن: تحت الطبع.

* * *

المحتوى



الباب الثاني

ثقافته ومواهبه وآثاره

* * *